"عالم مادلين المُثير"

رواية

تأليف: نهى علاء الدين

جميع الحقوق الخاصة برواية "عالم مادلين المُثير" و حقوق النشر كليا محفوظة كاملة للمؤلفة: نهى علاء الدين

"عالم مادلين المُثير"

عالم مادلين من صنع ذكرياتها الإستثنائية، فهل تقبل يومًا أن تُحاكَم بناء على أقوالها؟

رواية

تأليف:

نهى علاء الدين

٥ نوفمبر ٢٠١٧

الفهرس:

المقدمة.....٤
الفصل الأول.....٥
الفصل الثاني.....٧
الفصل الثالث.....٩
الفصل الرابع.....١١
الفصل الخامس.....١٣
الفصل السادس.....١٥
الفصل السابع.....١٧
الفصل الثامن.....١٩
الفصل التاسع.....٢٠
الفصل العاشر.....٢٤
الفصل الحادي عشر.....٢٦
الفصل الثاني عشر.....٢٨
الفصل الثالث عشر.....٣٢
الفصل الرابع عشر.....٣٦
الفصل الخامس عشر.....٤٠
الفصل السادس عشر.....٤٢
الفصل السابع عشر.....٤٦
الفصل الثامن عشر.....٥٠
الفصل التاسع عشر.....٥١
الفصل العشرون.....٥٤
الفصل الحادي و العشرون.....٥٨
الفصل الثاني و العشرون.....٥٩
الفصل الثالث و العشرون.....٦٣
الفصل الرابع و العشرون.....٦٦
الفصل الخامس و العشرون.....٦٨
الفصل السادس و العشرون.....٧٢
الفصل السابع و العشرون.....٧٧
الفصل الثامن و العشرون.....٨٢
الفصل التاسع و العشرون.....٨٥
الفصل الثلاثون.....٨٨
الفصل الحادي و الثلاثون.....٩١
الفصل الثاني و الثلاثون.....١٠٠
الفصل الثالث و الثلاثون.....١٠٢
الفصل الرابع و الثلاثون.....١٠٧
الفصل الخامس و الثلاثون.....١١٣
الفصل السادس و الثلاثون.....١١٥
الفصل السابع و الثلاثون.....١٢٠
الفصل الثامن و الثلاثون.....١٢٢
الفصل التاسع و الثلاثون.....١٢٥
الفصل الأربعون.....١٢٧
الفصل الحادي و الأربعون.....١٣٤
الفصل الثاني و الأربعون.....١٣٨
الفصل الثالث و الأربعون.....١٤٦
الفصل الرابع و الأربعون.....١٥٢
الفصل الخامس و الأربعون.....١٥٤
الفصل السادس و الأربعون.....١٦٣
الفصل السابع و الأربعون.....١٦٤
النهاية.....١٦٧

المقدمة:

مـادلين، فتـاة رقيقـة حساسـة واجهـت مصـاعب و عاشـت آلام قاسـية حاولـت أن تتخطاها و تقوى لتكمل حياتها، حاولت ألا تيأس، فبدأت حياة جديدة في مدينـة جديدة و ابتكرت طريقة خاصة بها تهدئها و تدعمها في حياتها الجديدة التي تحاول أن تبنيها، إلا إنها أزعجت بها غيرها و أثارت زوابع كانت لا تتمنى أن تعاصرها يومًا..

بدأت مادلين طريقتها هذه بتجميل ما يضايقها بما يرضيها و يجعلها تتسامح معه و تنساه.. قد تجمّلها بما يجمّل الشيء ذاته أو ما يجمّله لها بما يجعلها تتقبله، حتى لو كان فيه رسم صورة قاتمة بشعة لهذا الشيء، إن تطلب الأمر..

ثم تداخلت إنطباعات مادلين في تخيل الأحداث و الأشياء و أضافت مادلين لهذه الصور من مخيلتها لتقنع نفسها بهم تمامًا و قد تستخدم الأحلام بغير دراية منها و تمتزج بها بعض إشارات متداخلة متسلسلة و متراكبة مما تلقت من الحاضر كما شعرت به بطريقة معينه.. حتى و إن إختلفت رواياتها للأشياء و الأحداث، يظل، بنسبة كبيرة، المغزى واحد.. و تنجح محاولات مادلين و تكتمل بعد مرور شهرين مع كل من تقابله، بهذا تبنى ذكرياتها، و بعدها تثبت لديها الحقائق التي إختلقتها..

و مع تطور هذه الطريقة و تعقدها، قابلت مادلين الكثيرين أهمهم: ماكسيم، آيماس، ماثيو، جوريوس، و تايبريو.. كلهم أثروا فيها و أثرت فيهم، و بهذا إزدوجت حقيقتهم و بذلك تداخلت الحقائق و تشابكت، و كانت مادلين هي وحدها نقطة الوصل و الفصل بينهم.

حدث كل هذا في عام واحد، عام مميز، عام قضته مادلين في مدينة آلاي...

ملحوظة:

كل القوانين و آليات عمل المنشآت المذكورة في هذه الرواية تسرى فقط في مدينة آلاي.. بالإضافة إلى ذلك، وجب التنويه على إن لا صحة علمية أو إحصائية أو جغرافية لأي مما يقال في هذه الرواية، لهذا فهي تعود لقائلها..

الفصل الأول:

بعد إنتهاء صخب الإحتفالات ببداية العام الميلادي الجديد، عم الهدوء الليلي أنحاء المدينة، لكن لم يمهله الشتاء القارص أكثر من ساعة حتى شق البرق و الرعد سماء المدينة و هطل المطر و إنهال عليها بالثلوج.

إخترق هذه الأجواء صوت فتاة، صوت باكي متأثر راجي من يتحدث إليه مستنكرًا ما يحدث قائلًا: "لا تتركينا، مادلين! إلى أين أنتِ ذاهبة؟ إنتظري! قولي لي لِمَ تنوين الهروب و إلى أين ستذهبين.. مادلين!!"

ردت مادلين، مشتته: "أنا لا أهرب؛ سأمضي في طريقي، سيڤين.. سأذهب إلى مكان آخر.. بعيد عن هنا، مكان لن يكون بفظاعة هذا البيت و هذه الحياة؛ سيكون به مغامرة. تركت غموض القدر يفعل بي ما يشاء و تلقى رد فعلي.. و الآن، أضع نقطة النهاية و انتظر رد فعله. فقط لا تخبريها، سيڤين، لا تخبريها.."

نظرا إلى بعضهما البعض و تملأ عيناهما الدموع، ثم حررت مادلين يدها من قبضة سيڤين و حملت حقائبها بحزم و تأثر و هي تنظر لسيڤين إلى أن أخذت القرار بعدم النظر إلى الخلف فأدارت وجهها و سارت في طريقها و كأنها تحاول أن تثبِّت كل خطوة لها في الأرض حتى لا يمحيها الحنين و يجعلها تعود مرة أخرى.

بهذا المشهد ودعت مادلين ماضيها.. و عزمت أن تبدأ حياة جديدة في مدينة جديدة.

مادلين؛ فتاة ذات شعر إسود تتخلله خصلات نحاسية اللون، رقيقة البنية بشكل عام، عيونها سوداء عميقة الإحساس و إبتسامتها مشرقة، و من هنا إكتسبت سحرها الخاص.

استمرت مادلين في سيرها إلى أن وصلت المحطة و استقلت إحدى الحافلات.. و ما أن إنتهى خط سير الحافلة و وصلت إلى محطتها الأخيرة في مدينة جديدة، نزلت مادلين منها و استقلت حافلة أخرى.. و ظلت هكذا، و كما قررت، حتى تنتهي العملات الورقية التي معها من فئة الخمس و التي تعتبر تكلفة الإنتقال بالحافلة في بلدها، أنتروه.

من حافلة إلى حافلة و من مدينة إلى مدينة تنقلت مادلين حتى وصلت إلى إحدى المحطات في الصباح الباكر و هي لم يعد معها أي من هذه الورقات.. نظرت مادلين حولها و إذ بها تجد نفسها في مدينة آلاي؛ مدينة هادئة تقع على نهر واسع جنوب شرق أنتروه، مساحتها ٦٠٠٠كم٢ ، عدد سكانها ٩٤٠٠ نسمة.. تشتهر هذه المدينة بإقامة الإحتفالات بمناسبة بداية كل شهر فردي من شهور العام الميلادي.

سألت مادلين المارة عن أقرب فندق لها و تم إرشادها إليه و نزلت فيه لمدة شهر.. هذا الشهر لم يمر في سكون و راحة و استجمام، بل قضته مادلين محاولة أن تجد مسكن لها..

إلى جانب بحثها المستمر، إستعانت مادلين بإحدى موظفات الإستقبال في الفندق و التي استطاعت أن تجد لمادلين المسكن الذي كانت تبحث عنه بالضبط. ما كان على مادلين سوى أن قامت بشراء

المسكن و انتقلت إليه على الفور و استقرت فيه و أصبح منذ ذلك الحين مقر سكن مادلين في آلاي.

كانت مادلين تقضي معظم الوقت في غرفتها تكتب أربعة قصص و هي تنظر بإمعان إلى أربعة صور و كأنها تستمد منهم الإلهام و تكمل هي عليه من خيالها و أفكارها. كلما إنتهت مادلين من كتابة قصة، قرأتها مرارًا و تكرارًا لتحفظها عن ظهر قلب... كان في موضوعهم غموض، لم تعرفه سوى مادلين وحدها.

يوم وراء يوم، إزداد قلق مادلين من نفاذ الأموال التي معها خصوصًا بعد شراء البيت الذي تستقر فيه حاليًا في آلاي. فإختيار مادلين أن تؤسس حياة جديدة لها أفقدها حرية إختيار اتجاه خطوتها القادمة، لهذا أصبحت مادلين تطالع الصحف يوميًا خاصةً صفحة الوظائف الخالية.

و لِحظَّها، وجدت مادلين وظيفة في إحدى شركات التأمين. لم تتوقع مادلين إنها ستجد عملًا بهذه السرعة، في ظرف إسبوع واحد.

قالت مادلين، لنفسها، في أمل: "ستبدأ الحياة، لن أخضع أبدًا و من الغد سأثبت ذلك، فليكن عهد و سأدونه على تقويم هذا العام ليشهد ما أريد أن يشهد عليه العالم كله.. سأعيش كما أريد.. لأني سئمت مواجهة ما أخشى و سماع ما لا أريد و رؤية ما أكره.. كفى.. كفى! فليحفظني الرب، سأكون بسلام!"

قرأت مادلين قصصها مرة أخرى و هي تبتسم و في عينيها الدموع ثم نظرت إلى الأربع صور نظرة رضا..

الفصل الثانى:

في الساعات الأولى بعد شروق شمس يوم من أيام شهر مارس، جلست مادلين في غرفة المعيشة تحتسي مشروبها و تنظر من النافذة في لحظات استجمام لها قبل استعدادها للذهاب إلى عملها بعد ساعات قليلة..

فقد مرت ستة أسابيع روتينية على مادلين في عملها في شركة التأمين؛ لم تشعر فيهم مادلين بأي سعادة بل بقيود و توتر و إلزامات و إلتزامات و مسئوليات و واجهت العديد و العديد من المضايقات و الإستفزازات.. لم تشأ مادلين أن تكون هذه الأحاسيس جزء من حياتها الجديدة التي إختارتها لنفسها و التي تحاول أن تبنيها كما تشاء.

إستكمالًا للحظات الإستجمام، جلست مادلين على أريكتها و فتحت التلفاز، و بدأت في متابعة فيلم قديم.. و قالت: "قصة الفيلم تعاد كل عام و لم يتغير منها حدث أو شخصية، ياللروعة! القصة مستقلة لا تحتاج إستحضار من الماضي أو إستكمال في المستقبل."

أثناء مشاهدتها للفيلم، سمعت مادلين صوت مذياع بموسيقى كلاسيكية ممتعة. إتجهت مادلين نحو النافذة، رأت عربة تبيع الدونتس وصلت الشارع الذي تقطن فيه.. فقالت: " قد يكون شيء جديد؛ قد يكون شيء لذيذ أو بغيض.. فلأضيف شيء يثير الحماس في يومي المعتاد، قد يفرق معي الكثير..فلأجربه اليوم!"

بعد ساعتين و نصف تقريبًا، إرتدت مادلين معطفها و حملت ملفاتها و خرجت من بيتها و إتجهت مباشرة إلى عربة الدونتس..

أخذت مادلين تنظر إلى الملصق الإعلاني الموجود على جدران العربة ثم إبتسمت و إنتظرت ظهور البائع و هي تستمع للأغاني الكلاسيكية.. لم تمر أكثر من دقيقتين حتى سرحت مادلين و بدأت في تخيل العرض على الموسيقى و إنهمكت معه، و كأنها في الأوبرا.. قاطعها وصول بائع الدونتس و هي في بداية تخيلها، لحسن حظه و لسوء حظها، قائلًا: "صباح الخير، ما هو طلب حضرتك؟"

بائع الدونتس: شعره حالك السواد و عيناه زرقاء واسعة و بشرته بيضاء و متوسط الطول و رفيع البنية.

نظرت له مادلين نظرة مطولة و كأنها تكوِّن إنطباعها عنه ثم توقفت عن مزج التخيل بالتفكير و ما تراه بما تظنه و ردت: "أريد أن أتذوق الدونتس! كل ما في هذا الإعلان (مشيرة إلى الإعلان) يبدو لذيذ، لذلك قررت أن.... أبدأ بهذه التي تتناسب مع هذه المقطوعة الموسيقية و من هنا أترك لك الإختيار.."

"طلب محير!"

نظر حوله و هو يستمع إلى الموسيقى بعمق إلى أن إتجه نظره إلى واحدة سوداء تخترقها الخطوط البيضاء. أخذها و قال: "أظنها هذه! لكن طريقة إختيارك هذه..."

قالت، مقاطعة و مستكملة لكلامه: "غريبة؟ مريبة؟"

قال: "أبدًا على الإطلاق! (و هو يلف الدونت بورق مقوى) هي مبتكرة!"

ثم أعطاها الدونت..

"أشكرك!"

أخذتها مادلين منه و وضعت ثمنها في الصندوق المخصص للدفع.

قال لها: "هل حضرتك من ضيوف حفل الزفاف الذي أقيم هنا البارحة؟"

"لا، أنا أسكن هنا في بيت من بيوت هذا الشارع."

"و أنا آتي هنا في هذا الشارع كل صباح و أتركه حينما يحل المساء."

"إذن، سنتقابل كثيرًا!"

سكت ثم قال: "أتمنى أن تكوني من الرواد الدائمين لمطعمي الصغير هذا."

ضحكت مادلين و سرح في ضحكتها..

سألته: "ما إسمك؟"

أجابها: "ماكسيميليوس.. ماكسيم!"

قالت: "و أنا إسمي مادلين!"

بدأت مادلين في تذوق الدونت ثم إستدارت و سارت بضع خطوات للأمام.

سألها ماكسيم: "ما رأيك فيها؟"

إلتفتت له و قالت: "أيهمك؟"

"بالتأكيد!"

"ستعرف غدًا!"

"و هل سيأتي غدًا؟"

"سيأتي رغمًا عنا.."

قال، لنفسه: "غريبة، لكني شعرت لوهلة بتوقف الزمن.."

إبتسمت مادلين و إستكملت السير في طريقها إلى أن إستقلت سيارة أجرة.

الفصل الثالث:

كانت مادلين كل يومين تشتري من ماكسيم الدونتس، و كانت معظم لقاءاتهما مقتصرة على إلقاء التحية إلا مرات معدودة كانت مادلين فيها بالمزاج الذي يسمح لها بالحديث.

كما توقعت مادلين؛ كثيرًا ما رأت مادلين ماكسيم و كثيرًا ما رآها، و إعتاد ماكسيم على ألا ينهي عمله إلا بعد أن يطمئن على مادلين بعودتها إلى الشارع الذي تسكن في إحدى بيوته، فمن تكرار الحدث، أصبحت عادة لديه.

في مساء يوم، لاحظ ماكسيم تأخر مادلين عن مواعيدها المعتادة، فإستمر في بيع الدونتس لوقت متأخر منتظرًا مادلين.. و ما أن قاربت الساعة التاسعة مساءً حتى رآها ماكسيم و قد بدا عليها التجهم و الحزن.. رآها ماكسيم، لكنها لم تلحظ وجوده، فقد كانت مادلين تسير في صمت من دون أن تلتفت إلى أحد أو تعير إهتمام لشيء.

لم تنم مادلين بسهولة هذه الليلة، أخذت تفكر قائلة:

"موظفة في شركة تأمين! موظفة دائمًا متعبة و متوترة و تخاف من إنقلاب دائرة الفقر و الغنى عليها و بُعد المؤشر عنها، هذا المؤشر الذي يختار الشخص المحظوظ الذي ستصب عنده الأموال، ثم سيغيب عنه الحظ لفترة طويلة، و البراعة هنا و الخدعة تكمن في طريقته في السيطرة على مكاسبه من الحظ.. ماذا لو كان قد أعطى له الحظ موهبة؟ أليست هي بكنز لا ينتهي؟

يا رب! أنا لا أرى نفسي جزء من كل، أنا.. أنا لا أشعر بأي إستمتاع في عملي هذا، أشعر و كأنه كابوس يحميني من السقوط في القاع.. أشعر وكأنني في دوامة متعبة تستهلكني قدر المستطاع.. لا أجد الراحة و لا المتعة، ليس هذا ما خلقت من أجله.. و ليس هذا ما حلمت به.. لن أخلف عهدي مع نفسي أبدًا.. لا أريد هذه الفرصة، لا أريد أن أفني حياتي فيها، أليس الخيار خياري؟ لا، الخيار خيار المال، المال يحكم! يجب أن أتحرر من حكمه و تحكمه، أُحرر بحريتي و حريتي هي عمل ما أحب و سأعمل فيما أحب.. أنا أحب.. لا أتذكر إن كنت قد أحببت شيء، أنا أحب.. إصلاح الأجهزة؛ إعادة الحياة لما بطلت طاقته أن تسرى أو تخلف هو عن مواكبة حياتنا.. كما كنت أحب دهان الجدران و الحائط و السيارات؛ أحب إعادة الرونق و البريق لما إنطفأ، لكني لا أجيد هذا..

أتذكر شيء! لقد قضيت وقت طويل أتابع الديكورات و تصميماتها و أقرأ عنها، يمكنني ممارسة هذه المهنة و سأتعلم أكثر بالممارسة و سأقرأ كل شيء يخص هذا المجال و سأنجح فيه بمشيئة الرب و إن لم يكن هذا ما هو مكتوب لي فليوجهني الرب إلى طريقي و أكيد سيكون هو ما تمنيت يومًا أن أقوم به و لن أندم عليه."

حاولت مادلين أن تغمض عينيها و تنام، لكنها جلست على فراشها مرة أخرى قائلة: "ماذا أنتظر؟ أن يزول الإحساس؟ أن تأخذني عجلة الحياة معها بلا توقف بتأجيلي هذا؟ (وقفت و سارت بعض خطوات) فلأبدأ اليوم! ماذا سيحدث إن خسرت التحدي؟ الكثير سيحدث.. إلى جانب نقضي

لعهدي مع نفسي و.. لن يأتني أي تحدي آخر بعده. لا، لا، بدون مال كيف سأعيش؟ و.. إن إستمر الوضع هكذا ستفقد الحياة معناها.. لكن كيف سأبدأ؟"

فكرت مادلين في صمت ثم قالت: "الإعلان هو أول خطوة أو يعتبر التمهيد.. كيف سأعلن عن نفسي كمصممة ديكور؟ سأطبع بطاقات إعلان، الكثير منها و أوزعها في الشركة؛ أينما يريدون إستغلالي.. أينما يحاولون مضايقتي.. أينما أتيحت فرص نجاحهم.. متى؟ بعد ساعات.."

قضت مادلين الليل تصمم بطاقة الإعلان حتى إستقرت على شكل نهائي لها على أن تقوم بطباعتها صباح اليوم التالي و ليكن معها على الأقل ٢٥ نسخة.

الفصل الرابع:

مع دقات الساعة السابعة صباحًا، خرجت مادلين من بيتها و إذ بها تسمع ألحان عربة الدونتس، فإتجهت مادلين إليها لعلها تعدل مزاجها..

نادت مادلين: "ماكسيم! ماكسيم!"

ظهر لها ماكسيم قائلًا: "ظننت إنكِ لن تعودي مرة أخرى.. لشراء الدونتس!"

"لِمَ؟"

"بدا عليكِ الحزن ليلة البارحة."

"سمعت إن الطعام الطازج يحسن الأمزجة في الحال.. ماذا عن الدونتس؟ هل هي طازجة؟ هل صنعت اليوم؟ الآن؟ أم البارحة؟"

"الآن! لكِ أنتِ الآن!"

"أيمكنني أن أشتري واحدة؟"

"بالطبع، أيهم تفضلين؟"

"ما تجعل الحزين سعيد و السعيد عاشق للحياة.."

"أظنها الفراولة.. الدونت بنكهة الفراولة.. هل ستعجبك؟"

"نعم، كل شيء يعجبني ما عدا إثنين أو خمسة (لنفسها و هي سارحة و كأنها تتذكر أشياء لا تعجبها في حياتها، ربما في عملها) و سيعجبوني شئت أم أبيت بالتكرار و تثبيت الإنطباعات الجديدة."

"عذرًا؟"

"أنا منتظرة الدونت!"

"لحظات و ستكون جاهزة!"

"أشكرك!"

أعطاها ماكسيم الدونت..

قالت له مادلين: "هناك من يعيش ليأكل و من يأكل ليعيش، أي منهما أنا؟ أنا أعرف، أريد فقط أن أعرف رأيك.."

"بل هناك من يأكل الطعام و هناك من يستمتع بالطعام و أنتِ تحاولين أن تعطي نفسك الفرصة أن تستمتعي به.."

"الإستمتاع واجب و أنا أكره القيود و أنا.. بل يجب أن أستمتع، نعيش هذه الحياة بإستمتاع أو كأمر واقع و أنا لا أحب الأمر الواقع.. و الكل يعيشها لإنه يجب أن يعيشها أم أنا فقط من يشعر بذلك و جعلت منها قاعدة عامة؟ (شعرت مادلين بمتاهات في حديثها و إرهاق ذهني لها و عدم القدرة على الوصول إلى إستنتاج) لكن تحليلك مضبوط!"

"أشكرك! لم تقولي لي رأيك في الدونتس."

"ستعلم مقدار حبي لها بقدر عدد زياراتي لمطعمك. (نظرت مادلين في ساعتها) سأذهب الآن! مكان عملي... بعيدًا عن هنا!"

"أتمنى لكِ يوم سعيد!"

إبتسمت له مادلين و ذهبت في طريقها..

الفصل الخامس:

بدأ يوم جديد بشروق الشمس في سماء آلاي، كان لمادلين بمثابة إستكمال الإبحار صوب طوق النجاة.

ذهبت مادلين إلى عملها مسرعة، لم يكن لديها الوقت لتشتري الدونتس، لكنها عادت بمزاج أفضل، عادت و هي تشعر بالإنجاز، بالأمل، بعدم الإستسلام، بالقناعة بأي نهاية سيوجهها لها مجهودها و تقودها لها أفكارها.. عادت و كلها إيمان بالنصر بعد أن وزعت أخر ما تبقى معها من بطاقات إعلانها عن نفسها كمصممة ديكور..

و هي في هذه الحالة المزاجية، قابلت مادلين ماكسيم عند عربة الدونتس..

قالت مادلين، و هي سعيدة: "الألفية الجديدة على وشك البدء! ماذا تتوقع فيها؟"

سكت ماكسيم للحظات يفكر، قطعت تفكيره مادلين قائلة: "قد لا تكون قد فهمت السؤال، يستخدمونه كبديل و تغيير لسؤالهم المباشر: ماذا تتمنى؟"

"أتمنى السعادة و السلام!"

"و ما الجديد؟ كلنا، حتى رجال العصابات، نتمنى هذا! قل لي: هل حققت حلمك بهذه العربة؟"

"هي بداية حلمي!"

"أتعلم؟ أنا لا أتوقع وجود سعادة أو سلام في هذه الألفية القادمة.."

"لِمَ؟"

"تعطيني إنطباع.. و كأننا نغلق باب حياتنا كما إعتدناها بكل عصورها التي تعتبر مرجع لنا و ننتمي لها؛ مثل ستينات و خمسينات و سبعينات و تسعينات القرن العشرين و القرن التاسع عشر و الثامن عشر أو بالأحرى هي نهاية الألف عام التي عشنا بعض سنواتها و كنا جزء منها.. و كأن هذا العام الجديد بداية غامضة أو قد يكون النهاية؛ هو كشعور ما بعد السقوط الإجباري الذي تعلم به و تخشاه لأنك لا تعرف أين سيودي بك، أي شعور ما بعد الحافة.. أنا أرهبها!"

"أرهبها أنا أيضًا!"

"لكن.. أتعلم يقولون إن عام ٢٠١٦ سيعيد أحداث عام ٢٠١٤، ماذا ستكون هذه الأحداث؟ هل ستكون أحداث إيجابية أم سلبية؟ هل هو تنبؤ صحيح أم خاطيء؟ أنا متشوقة لأرى هذا، لا يمكنني الانتظار!"

"هذا أمر مثير للدهشة! أنا أيضًا متحمس لها!"

سكتت مادلين للحظات تفكر، لاحظ ماكسيم إنشغال مادلين بشيء ما، فقال لها، بإهتمام: "كيف كان عملك اليوم؟ و ماذا تعملين، مادلين؟"

"نسيت أن أقول لك.. أنا أعمل مصممة ديكور، أعمال حرة!"

"منذ متى؟"

"منذ اليوم و كل يوم! لكن ماذا عن مشروعك هذا؟ كلمني عنه! هل تستمتع به كما تمتع رواد مطعمك؟ هل يرضيك؟"

"أفضل جزء في مشروعي هو عمل الدونتس، أسوأ جزء فيه هو بيع المنتج، لكن الجزء المرضي بعد أن تري نتاج مجهودك أمام عينيك هو المكافأة؛ رضا الناس، تغيير أمزجتهم للأحسن، و المال الذي يأتيني ليكافئني على تعبي.."

"إذن مكافأتك هي المال!"

"لو لم يرضى الناس، لِما حصلت على المال.. مكافأتي مادية و أصلها معنوي."

"جيد جدًا!"

"ماذا عن.. تصميم الديكور؟ أتحبينه؟"

"أتعرف هذا الشعور حينما يتناسق كل ما حولك و تشعر ببيئة منسجمة؟ تناسق ألوان، تناسق أحجام، أن تضع كل قطعة في مكانها المناسب و كأنها قطع شطرنج لتربح بها معركتك النفسية مع الإكتئاب و الحيرة. الديكور هو أقرب للطبيعة و تصميمها في مشهد و روعتها في تهدئة النفس مهما ثارت!"

"لم أنظر لتصميم الديكورات هكذا يوم!"

"(ضحكت) أنت تضيف النكهة التي تصنعها، سر إبداعك، للعجائن الشهية، ألم تعرف عن سر الإبداع؟ أنت فقط لم تفكر فيه."

"أشكرك، مادلين!"

"فلنجهز أضواء العام الجديد من الآن، فلنحتفل سويًا كما لم نحتفل من قبل، لكنها ألفية، سنحتاج أضواء أقوى و أشد سطوعًا، (ضحكت).. أنت أفضل بائع قابلته في حياتي، ماكسيم! (فجأة تذكرت) ما هذا؟ ما هذه الذاكرة! نسيت أن أدفع فاتورة الكهرباء.. (في عجالة) سنكمل لاحقًا!"

ذهبت مادلين مسرعة إلى بيتها لترى فواتيرها و تجهز المال.

قال ماكسيم، لنفسه: "ما هذا السحر الذي إختصني به القدر أم أنا من الضحايا؟ سحر إبتسامتها، سحر نظرتها، سحر كلامها و طريقة كلامها، نقلتني إلى عالم آخر، أيعقل أن يكون عالمها هي؟ هل أنا مميز لهذه الدرجة عندها؟ أعتقد أني... أحبها!"

الفصل السادس:

في المساء، كان ماكسيم يجلس في بيته مع عائلته يشاهدون فيلم السهرة.

قال خال ماكسيم: "ما أخبار مشروعك، ماكسيم؟"

رد ماكسيم: "على ما يرام!"

قال والده، بسخرية: "و أين شهادتك؟"

علق ماكسيم، مدافعًا بدبلوماسية: "شهادتي موجودة في درج المكتب شاهدة على تخرجي من جامعة مرموقة و بمجموع مشرف و إني إخترت، رغم ذلك، طريقي بنفسي!"

عم السكوت للحظات، أراد ماكسيم أن ينشغل بأي شيء آخر، نادى أخته: "مادلين، إعطيني الريموت، أرجوكِ!"

تعجب خاله: "مادلين؟"

سأل والده، بصدمة: "من؟"

قالت أخته، حزينة: "أنسيت إسمي، ماكسيم؟"

قالت والدته: "من مادلين؟ من هي؟ ماذا تخبيء علينا؟"

قالت خالته: "هل هي حب جديد؟ أخبرنا، احكي لنا..."

قال ماكسيم: "مادلين! آه، لا شيء، لا شيء!"

إرتبك ماكسيم و لم يستطع إخفاء وقع الأمر على تعبيرات وجهه، فنهض مسرعًا و هو يقول: "نسيت أن أحضر شيء! نسيته تمامًا!" و إنسحب من غرفة المعيشة و دخل غرفته و أغلق الباب و وقف ورائه ساندًا عليه قائلًا:"مادلين! مادلين!"

ثم جلس على فراشه في صمت و حماس و قال: "إنها تحب الدونتس التي أعدها، سأصنع لها دستة منها. مر وقت طويل علي و أنا وحيد دون حب، لم يطرق الحب بابي منذ زمن بعيد و فتحته على مصراعيه عندما قدم لي لدرجة إني أصبحت أستنشق هوائه، ماذا حدث لي فجأة؟ لقد قبلت حياتي كما كانت، الدونتس التي أصنعها كانت حب حياتي.. بلا منازع. الآن، و ها هي و قد أيقظت بداخلي إحساس أقنعت نفسي إني قد فقدته و لن أحظى به أبدًا. كنت كما أنا و كان الحال كما هو عليه إلى أن إبتسمت لي، إلى أن عبرني نسيم عطرها المميز. كنت أحسد نفسي على قناعتي، بت أطمع و أنتظر و أحلم حتى ضاق بي الصبر.. سأقولها لها.. الغد! سأقولها لها!"

كانت مادلين، هذا المساء، في بيتها تجلس في غرفة الصالون على أريكة بجوار الهاتف تقرأ مجلة..

و هي في هذه الأثناء، رن جرس الهاتف، رفعت مادلين السماعة و قالت: "آلو!"

رد عليها المتصل: "مساء الخير، أستاذة مادلين.. أتصل بحضرتك لأخبرك إن سكان الشارع الذي تقطنين فيه قد إجتمعوا بشأن إضاءة الشارع مساء أمس، كنا ندرس موضوع زيادة الإضاءة في الشارع لأنها تكون ضعيفة لمن يضطر إلى الخروج أو العودة إلى بيته متأخرًا..

هناك من إقترح أن تبقى الإضاءة كما هي و نوزع كشافات نور كي نوفر في قيمة الفاتورة.. و هناك من إقترح الإكتفاء بضوء القمر، إن وجد..

أتمنى أن تفكري في هذا الموضوع و تدرسي هذه الإقتراحات، و هي خلاصة إجتماعنا، و نتمنى أن تتواصلي مع جارك الذي يدير مركز العلاج النفسي هذا و تتفقوا على إقتراح و تبلغينا بما توصلتما إليه."

"لِمَ لم تتصلوا أنتم به مثلما إتصلتم بي؟"

"ذهبنا إليه في المركز أكثر من مرة و ذهبنا إلى حضرتك أيضًا، لم نجده في المركز و لم نجدك في البيت. إتصلنا بكِ، فحالفنا الحظ أخيرًا و تواصلنا معكِ أما هو فلا هاتف عنده، لم يدفع الفاتورة، على ما أظن، فسحبوا الخط!"

"آها، لكن لازالت لديه العدة، الآن أنا أعرف أي إقتراح سيدعم!"

"أردنا فقط أن نخبركما بأخر التطورات و نشرككما معنا فيما يهمنا جميعًا!"

"أتفهَّم هذا! سأرد عليكم قريبًا، إن شاء الله.. أيمكنك أن تعطيني رقمك أو رقم المسئول؟"

"بالطبع! ٩٨٥٧٦٠٢٣٩١٨"

"أشكرك، مع السلامة!"

"مع السلامة!"

الفصل السابع:

أتى الصباح، و قد قررت مادلين بألا تذهب إلى الشركة مرة أخرى و إختارت أن تنتظر نتائج مجهوداتها و تستعد لتبدأ مجالها الجديد، تصميم الديكورات.. و لتكن النهاية كما تكون!

في المساء، ذهبت مادلين إلى جارها لتوصل له الرسالة التي تلقتها و تتناقش معه.

رنت مادلين جرس باب المركز، فتح لها مساعده، دخلت، جلست منتظرة إنتهائه من عمله و طال انتظارها.

قال المساعد: "هذه أول مرة تشرفينا فيها حضرتك هنا، نأسف على التأخير. اليوم أقل يوم في عدد الزوار و المنتظرين، لِحظِّك!"

"أنا فقط.. أتدري؟ لا تدري! أنتظر أنا و يضيع وقتي لأمر خاص به هو! (لنفسها) لا أعرف إن كان رأيه يستحق كل هذا الانتظار!"

بعد ساعة، فُتِحَ الباب و رأت مادلين جارها للمرة الأولى و من وقتها لم تتمالك نفسها و أخذت تضحك و هي لا تعرف لِمَ، هل يمكن أن يكون بسبب إنطباعها الأول عنه؟

جارها.. إسمه آيماس، كما هو مكتوب على اللافته الموضوعه بجوار باب المركز، كان شعره أشقر يميل للون الأحمر، عيناه خضراء اللون واسعة، ملامحه بارزة و مميزة، يرتدي بالطو أبيض و نظارة نظر و تظهر عليه الجدية في العمل مع شظايا الغرور و الغطرسة.

خرج آيماس أخيرًا و هو يودع ضيوف مركزه الذين كانوا معه بالداخل ثم نظر إلى مادلين و قال لها: "تفضلي!"

"أيمكنك أنت أن تتفضل هنا معي؟ إن لم يهمك الكلام، تفضل أنت أينما دعوتني للتو!"

"لا أفهم!"

"أنا جارتك! تلقيت إتصال هاتفي من عضو من سكان شارعنا، يريدون أن يتواصلوا معك ليناقشوك في موضوع إضاءة الشارع.."

قاطعها: "و الملخص؟"

ضايقتها كلمته هذه، فإستكملت كلامها ببطء و هي تنوي إستفزازه قائلة: "و لأني، لأني، حسب ما رأيت، و أنا أحب أن أرى الأشياء كما هي و كما يتضح لي، الأقرب لك، من حيث محل السكن و المسافة، جئت أنا إليك أنت لأسألك و أعرض عليك كلامهم الذي سمعته عبر الهاتف الخاص بي الذي سبق و قد دفعت فاتورته كامله، كان سؤالهم بما يعني.. ما يتضمن، آه، ما رأيك في إضاءة الشارع الحالية؟ و لتفهم السؤال: المقصود به هو هذا الشارع الذي بُنيَ هذا المركز فيه و أُنشيء من عدم، و الإضاءة المقصودة هنا هي كل ما يسطع و يبعث بضوئه لينير المساحة التي تمتد ورائه و أمامه و يمينه و شماله..."

"فهمت! فهمت! نعم، أراها ساطعة أكثر مما يجب!"

"يجب أن تتفق معي بأي شكل حتى يكون لدي رأي واحد أبلغهم به، لا تشتت الآراء.. أراها خافته و تؤثر على النظر. (حرك رأسه غير موافقًا) إذن، سنحتاج حكم لن يدفع شيء و لا يهمه ما إذا كان الشارع مظلم أم مضاء.."

"كل هذه شكليات و مظاهر مكلفة بلا داعي.. عندما يكون الإنسان هادىء، فهو يرى بقلبه و تشع روحه نورًا يهديه دون توتر أو قلق.. الإضاءات الصاخبة تثير الأعصاب و تتعب ضيوفي أكثر و أكثر.."

"آه، تسمي نفسك، كما أذكر، طبيب نفسي! (ضحكت)"

"ما المضحك، أستاذة...؟"

"مادلين!"

"ما المضحك؟ منذ أن رأيتك و أنتِ لم تكفي عن الضحك!"

"المضحك إني دخلت هنا و رأيتك! على العموم، خذ وقتك و فكر و بلغني ردك!"

إستدارت مادلين لتخرج، قال لها: "قابليني بعد غد الساعة العاشرة صباحًا في مطعم آلاي!"

"أنا مشغولة طوال هذا الإسبوع! لدي الكثير لأقوم به من تصميمات للديكورات، أترى؟ أنا منافسة لك!"

رد عليها، مستهزئًا بما قالته: "و ما دخل الديكورات بي؟ أنا أنقذ الناس من أنفسهم!"

علقت: "(متعجبة بسخرية) كيف تحمي كيانهم الدنيوي المادي من جوهره، أصله، و سر وجوده؟ على كل حال، (بتحدي) سيأتي اليوم الذي سيحل الديكور فيه محل العلاج النفسي!"

"أبدًا! ليس في حياتنا هذه!"

"أتراهنني؟"

"أتحداكِ! فليكن موعدنا... و هو كذلك، (بنبرة شخص مشغول) تواصلي مع مساعدي، هو يعرف مواعيدي، عندما تجدي وقت مناسب! (إستدار آيماس متجهًا إلى حيثما كان)"

قالت مادلين: "و أنت لا تعرف مواعيدك؟ مسكين! مساعدك هذا هو من يدير الأعمال، من دونه أنت لا تعرف شيئًا، إذن أنت تابع له، سأقابله هو، أنا متأكدة إنه يعرف عن مهنتك أكثر منك!"

قال لها آيماس، في غضب: "ماذا تقصدين؟"

ردت مادلين: "هو أمامك، إسأله! مع السلامة!"

خرجت مادلين من المركز و هي تضحك.. و ظل آيماس ناظرًا إلى مساعده، الذي تجنب هذه النظرات و دخل إحدى الغرف يقوم ببعض الترتيبات العشوائية بعيدًا عن آيماس.

الفصل الثامن:

صباحًا و مساءً، إنتظر ماكسيم مادلين لكنها لم تأتِ و لم تظهر في الأنحاء. إنتظرها يومًا آخر و آخر و معه صندوق الدونتس، لكن لم يكن لها أي أثر، فحاول ماكسيم أن يحافظ على صلاحية الدونتس و عمل على تجديدها يومًا بيوم .

بدأ القلق و الجزع يتمكنان من ماكسيم، كان هذا اليوم الذي أعطاه لنفسه كفرصة أخيرة قبل أن يسافر و قضاه ماكسيم متجولًا في الشارع الذي تقطن فيه مادلين ذهابًا و إيابًا مرة و إثنان و ثلاث، أخذ ينظر على كل نافذة و على كل باب، لكنه لم يراها.

"أين هي؟ أي عقار تسكن؟ من أي نافذة تطل؟

لِمَ لا تتصل بي؟ رقم هاتف توصيل الطلبات واضح على العربة، ألم تلحظه؟ هي تعرف مواعيدي! لِمَ لا تقابلني حتى لو بالصدفة؟

مادلين، أين أنتِ؟ لِمَ تفعلين هذا بي؟ لِمَ إختفيتِ؟ المسافة قصيرة بين بيتها و بيني، لِمَ لا تنظر من نافذة (ناظرًا على نوافذ البيوت حوله)؟ لِمَ تحيرني؟ هل أغضبتك و قررتي أن تبعدي عني؟

لن أُسيء الظن و أقول إنها.. تخلت عني. لكن هل يحلو لها حالي؟ لا شك عندي في حبها!

ستأتي، سأنتظرها حتى يغلبها الحنين لي و سأسألها، لكني... يجب أن أسافر للضرورة و سأعود، مادلين، سأعود!"

الفصل التاسع:

إلتقت مادلين بآيماس أخيرًا بعد إسبوع آخر من المماطله.. و جلسا في مطعم آلاى. ظل آيماس ناظرًا حوله لبعض الوقت كأنه يدرس الأشخاص الموجودين حولهما..

قالت مادلين: "هل توصلت إلى إختراع جديد؟ أم تآلفت مع من حولك؟"

قال آيماس معلقًا عما حوله و كأنه لم يسمعها: "و كأننا في مصحة نفسية.. لكني أنا هنا لأنقذهم!"

"على أي أساس يحتاجون لإنقاذك؟"

"يجب أن يكون لكل إنسان شخصية واحدة، شخصية كاملة متكاملة سوية مستقيمة؛ يمكن التنبؤ بما سيفعله لدرجة سبعين بالمائة من مجمل أفعاله و كلماته أما إذا زادت أو قلّت النسبة فهو خطر آخر.."

"ما هذا الكلام الغير منطقي؟ المؤلفون و الممثلون لديهم أكثر من شخصية في آن واحد، هل كلهم مرضى؟"

"سأشرح لكِ، لعلك تفهمين! إنظري حولك، هذا (مشاورًا على أحد المارة) معرض لمرض الزهايمر، أترينه؟ نشيط و لا ينسى شيئًا، سيتراكم كل هذا بداخله و يضغط عليه و على ذاكرته و لن يتذكر حتى إسمه في يوم ما، يجب أن أتذكره سيكون من رواد عيادتي قريبًا. و هذه.. هذه التي تَعِّد نفس البطاقات مرارًا و تكرارًا و تنظف كل ما تراه أمامها، لن ترضى بأقل من المثالية و هي تخاف أن تخطيء، ستصاب بالوسواس القهري. (ناظرًا لمادلين) هذا الذي يعيد الكره كل يوم مصاب بداء الرتابة. هذا الذي يغير من نفسه بإستمرار لديه داء الشيزوفرنيا. و التي تركض بلا سبب تهرب من كل شيء، تهرب من لحظة حوار مع نفسها، مصابة بالتأكيد بداء الهروب. هذا الذي يراقب الجميع و يسخر منهم لديه اكتئاب سببه فراغ كبير ضمني يعيشه حاليًا. المنكسر لطيبة قلبه الزائدة سيصاب بداء السيطرة. من تشوق للإهتمام حتى حظى به دون داع فجأة سيعاني من داء الغطرسة. هذا الذي يقارن الأسعار ببعضها البعض و يقرأها بتمعن لديه داء البخل. البخل في حد ذاته هو داء الطمع. القهر و النقص يؤدان لداء الإستبداد.. الحرمان و الخوف من الحرمان يؤدان لداء الأنانية.. أما الطاعة العمياء فهي خوف من الحياة.. محبي الإحتفالات مصابين بداء الصخب. الرافضين لكل شيء مصابين بداء العزلة. الضحك بلا سبب و على أي شيء هو مقدمة لداء اللامبالاة. (ناظرًا أمامه) هذه التي تبكي بعيدًا و تتذكر مصابة بداء التعلق الذي يجعلها عالقة في الماضي و رافضة الحياة."

"أتصنف السلوك لأمراض؟ كلنا نبكي و نضحك!"

رد عليها و هو يرجع للوراء بظهره ليجلس على كرسيه بتكبر و كأنه عالم واثق فيما يقول: "الصياح و الضحك و البكاء هم توابل الشخصية، يجب أن تكون بالنسب المناسبة لتحقق الإتزان. غير ذلك يحتاجون للإيقاظ..."

"و تعالجهم و توقظهم بالصعق الكهربائي، مضبوط؟"

"الصعق الكهربائي، إذا لزم الأمر!"

"أتعذبه بما إخترعه و سخر لخدمته؟ (لنفسها) إدفع فاتورة هاتفك أولًا، ثم حدثني عن الكهرباء. (لآيماس) الصدمات الحياتية كافية أن تصعق الإنسان! (بعد لحظات) كلنا مرضى إذن؟"

"هذا صحيح بنسبة كبيرة، لذلك عيادتي مفتوحة للجميع لأساعدهم!"

"أنت تعالج إحساس صادق بإحساس مزيف؛ هم يعتقدون إن زيارتهم لك هي علاج لأحاسيسهم التي لا يجدون منها مفر و لا يرون لها حل.. هم لا يحتاجون لك بأي شكل... يحتاجون لما هو طبيعي في الإنسان و قتلته التكنولوچيا و الحياة اليومية الرتيبة؛ يحتاجون الحب و الإحترام و التعاطف و الإخلاص و الإحتواء."

"تتحدثين و كأنك تعلنين الحرب على الأعداء، لا أعرف ما أوصلك لهذا و ماذا رأيت منا لهذه الضغينة. على كل حال، هذه الأدوية التي تذكرينها غير موجودة، و إن وجدت فهي نادرة، و إن وجدت بكثرة ستخلق حرمان و خلل من جانب آخر.. الأمراض النفسية حتمية!"

"أعطتها صفة الحتمية لتستمد منها أهميتك و قيمتك الوهمية."

"حتميتها حقيقة منذ أن خلق الكون. و أنتِ، ماذا عنكِ؟ أتدرسين طب النفس و تمارسينه على ساكني كوكب الزهرة؟"

"أولًا: إسمه علم النفس، لا وجود لطب النفس، هل هناك جراحات أو أدوية للنفس؟ مثل الأسنان، هي علم و هندسة و فن، لا وجود لطب الأسنان. (لنفسها) بالرغم من ذلك، أنا أيضًا أتحفظ على كلمة "علم" النفس، كيف تدرس ما لا تراه و لا تعرفه؟ (لآيماس) كما إن النفس أسمى من أن تُدرس. ثانيًا: لن أترك كوكب الأرض، أنا غير مقتنعة بأي حياة على أي كوكب آخر."

"ضيقة الأفق و تغيرين الحقائق لتلائم هذا الضيق إتساعًا، هذا الضيق المتزمت! تصرين على التراجع الفكري و إنكار دور التقدم العلمي المذهل و تقللين من العظماء، لم يصلك التطور بعد. أنا أعمل في الطب، لا في علم قد يتقنه أي هاوي قاريء!"

"أنتَ تمارس عملك في المناسبات ليتماشى مع المظاهر الإجتماعية الشائعة الكاذبة.. و المفاجأة، إنه برغم إجتهادك، لا دور لكَ فيها!"

وقف آيماس، و قال بحزم: "أنا أشجب هذه الإهانة!"

وقفت مادلين، و قالت بتحدي: "و أنا أؤكدها!"

"سأسافر، سأغيب أربعة أسابيع، و سترين مدى إحتياج الناس لي!"

قالت مادلين، بتأثر و حزن: "أستسافر؟ و من سأُحدث بعدك في هذه المواضيع المعقدة الغير مرغوب فيها و التي ينفر منها الناس و من سيرتها؟ من سأجادل؟"

"هناك الكثير منا و لن يتركوا عملهم أبدًا و لن يستسلموا لمحاولاتك!"

"أنا أقدر إصرارهم، دعني أقدره! لكن ماذا إذا ذهبت لأحدهم و إستطاع أن يفهمني بل و حدث ما هو أصعب، ماذا لو إتفق معي؟ ماذا سأفعل وقتها؟ سأُصدم، أحب الجدال مع من لا يفهمني، أحب الإختلاف الذي لا أساس له و لا قاعدة.. (لحظات صمت) فلنعود للسبب الرئيسي لهذا اللقاء، ماذا سأقول لهم بشأن إضاءة الشارع؟ لازلت عند رأيك إنك تفضل ضوء القمر؟"

"نعم!"

علقت مادلين بلامبالاة: "إذن، سأقول لهم إنك مسافر و لا يهمك الأمر.. أو إنك قررت السفر حينما سمعت به.."

"كيف هذا؟ يهمني طبعًا أكثر منكم جميعًا! اتركي لي أرقامهم و سأتفاهم معهم."

"كما تشاء! (لنفسها، بإبتسامة أخفتها) وكذلك ستؤكد ظنونهم فيك! (لآيماس) إذن ستسافر، (تنهدت) و لن أجد من يعارضني و يجادلني و هو لا يفهمني مثلك، هذه خسارة لا أعرف كيف أعوضها! فلتتداركني أمطار السماء رحمة من قسوة الرياح الهائجة و ليمنحني القمر الصبر على الظلمات إلى أن توالي الوعود أدبارها و تسكن الدموع منارة الإحساس من جديد."

"ما هي منارة الإحساس؟"

"تجدها في كتاب: "شعلات الحس النفسي التكيفي الغير منهجي" قاعدة ألفا، صفحة ٢١٦، السطر العاشر."

"كيف لم أشتري هذا الكتاب؟ أيمكنك..."

"(بإنفعال) يمكنني؟ بعد أن قطعت لحظات تواصلي مع حزني و مع الطبيعة و أنا أسرد طلباتي منها إليها تسألني إن كان يمكنني؟ لا، لا يمكنني شيء، قاطعتني بطريقة بشعة جافة.. (بعتاب فيه مهاجمة، لآيماس) قاطعتني و أنا أرثي رحيل أسماك النورس من بحيرة آلاي! ما هذه القسوة؟"

"أنا من سيرحل!"

"إذن سترحل و ترحل معك أضواء الشارع و أسماك النورس. أعلم إني أعيش لحظات لا يمكنني تعويضها و ها هي تتبخر لتخنقني دون أن تترك أثرًا، أخبرني ماذا أفعل؟ أتركها تركض بعيدًا أم أترجاها أن تبقى؟"

"من يبقى؟"

"من سيرحل!"

"أنا؟"

"بل أسماك النورس!"

عدل آيماس نظارته بثقه و قال لها: "لا شيء إسمه أسماك النورس، إسمها طيور النورس!"

"و ماذا تعرف أنت عن نوعية هذه الأسماك النادرة الموجودة في بحيرة آلاي و التي يقوم عليها التكامل البيئي في مدينتنا؟ سميت بذلك لأنها تشبه طيور النورس، و لها نفس نظراتها! كنت أتحدث إلى إحداهن ليلًا و نهارًا، و نهارًا و ليلًا.. و سيتركوني و يذهبن، و الآن أنت تقل لي لا وجود لهم!"

"نعم، لا وجود لهم.. و ما هذا؟ ليلًا و نهارًا و نهارًا و ليلًا، لِمَ تعيدي كلامك؟ كوني دقيقة!"

"هذه الدقة بعينها! كما تفرِّق بين الشروق و الغروب، إن لاحظتهما يومًا، ستفهم الفرق بينهما. (وقفت مادلين) عجبت لضيق أفقك!"

إنسحبت مادلين من اللقاء و تركت آيماس.. فما كان عليه سوى إستكمال قهوته ببرود و قراءة الجريدة بإهتمام مبالغ فيه.

و هكذا و كما لم تلحظ مادلين، امتزجت حقائقها و آرائها، التي تذكرها، مع السخرية التي تقصدها و تخيلاتها و منطقها و حقيقة إحساسها و الحقائق الواقعية؛ فقد عكست بعباراتها معنى الغموض و الحيرة .

الفصل العاشر:

بعد أيام قليلة، تذكرت مادلين ماكسيم، فهي لم تره منذ فترة، فخرجت من بيتها تبحث عنه، لكنها لم تجده، فقالت: "أين ذهب ماكسيم؟ غريبة!

لازلت غير مقتنعة إنه يملك عربة بيع دونتس و يعمل كبائع دونتس! أيعقل هذا؟ غير معقول! الصورة ليست مركبة بالطريقة الصحيحة لها..

سآتي إليه لاحقًا، ربما يحضر، ربما يعود!"

عادت مادلين إلى بيتها، و رن جرس هاتفها..

ردت مادلين: "آلو!"

قال المتصل: "آلو، أستاذة مادلين، مصممة الديكور؟"

"نعم، أنا أستاذة مادلين، مصممة الديكور!"

"نحتاجك في تجديد ديكورات مكاتب مبنى جريدة آلاي، أيمكنك مساعدتنا؟"

"بالطبع، لا مانع! سأحضر، متى؟"

"أيمكنك أن تزورينا غدًا؟"

"غدًا؟ بمشيئة الرب! سأكون هناك.. العنوان، لو سمحت؟"

"شارع ستورسي، أمام مقر فرع المنظمة العالمية في آلاي."

كتبت مادلين العنوان على ورقة.. ثم قالت: "كيف سأصل لكم؟"

"أفضل وسيلة هي مترو المدينة!"

"مترو المدينة! آها!"

"من معي؟"

"ماثيو!"

"أشكرك، أستاذ ماثيو!"

"العفو، أستاذة مادلين، في انتظارك!"

وضعت مادلين السماعة و إبتسمت و هي تقرأ العنوان ثم علمت على النتيجة على يوم غد الموافق ٣٠ أبريل.

كان ماثيو، المتصل، أحد عملاء شركة التأمين التي كانت تعمل بها مادلين و كان قد أخذ بطاقة من بطاقات الإعلان التي وزعتها مادلين، كموظفة، في سرية هناك و هي متنكرة. فكانت مادلين بالنسبة لماثيو مصممة ديكور أثنت عليها إحدى موظفات شركة التأمين.

أخيرًا، رن جرس هاتف مادلين، و نجحت بطاقة من أصل خمسة و عشرين بطاقة وزعتها، فلتأتي بفائدة، بنجاح، بتحدي، أو بمغامرة.

تذكرت مادلين ماكسيم مرة أخرى، بحثت عنه، إنتظرته لتطلعه على أخر الأخبار، لكنها لم تجده. فكتبت له رسالة و هي لا تعرف كيف توصلها له..

و هي في طريقها إلى مترو المدينة، لمحت مادلين عربة الدونتس التي يملكها ماكسيم، فوضعت فيها رسالتها و إبتسمت إبتسامة مشرقة و قالت: "سأضع لك رسالة هنا كل يوم في بريدك هذا و كأنك موجود، لا بأس!"

ثم إستقلت مادلين المترو لتصل إلى مبنى الجريدة.

الفصل الحادي عشر:

وصلت مادلين بوابة الجريدة في الموعد المتفق عليه، و تحدثت إلى الحارس قائلة: "أنا مصممة الديكور، كنت قد تلقيت إتصال من أستاذ ماثيو و لدي موعد هنا."

إتصل الحارس بماثيو، فنزل على الفور ليستقبلها قائلًا: "أستاذة مادلين، تفضلي!"

ماثيو: متوسط الطول، متوسط البنية، شعره بني فاتح، عيناه رمادية لامعة، أنفه أرستقراطي، ملامحه كلها تعكس الوقار و الحكمة بشظايا جنون مستتر.

فُتحت البوابة، و دخلت مادلين مبنى الجريدة و هي تنظر حولها ثم قالت: "بأي غرفة سنبدأ؟"

رد ماثيو: "دعيني أولًا أطلب لكِ مشروب!"

"أعتذر، لا وقت لدي! أيمكنك أن تريني المكان؟"

"طبعًا! من هنا! (مشاورًا لها على الإتجاه)"

ما أن دخلا غرفة السكرتارية حتى قال لها و هو يتحدث بشكل عام: "لا بد و أن يتلائم الديكور و يتناسب مع ما يحويه، (نظرت له بإهتمام) (همس لها) لدينا هنا كنز!"

نظرت مادلين لماثيو بإستغراب للحظات، ثم أخذت تعاين المكان و تدرسه في صمت، كان يحوي مكتب و كرسي و أريكة صفراء باهتة فقط.

أخرجت مادلين ورقة بيضاء من حقيبتها و أخذت ترسم المكان و تسرح في كل ركن على حدة و تتخيل علاقته بباقي المكان و ما يمكن أن يشهده من أحداث.

قالت مادلين: "هل ستحتفظون بقطع الأثاث هذه؟"

رد ماثيو: "يمكننا الإستغناء عنها إن أردتِ!"

"ما هو الغرض من إستخدام هذا المكتب؟"

"هنا مكتب السكرتارية؛ يأتي الصحفيون هنا لتسليم الأعمال و المقالات.. و للعلم، كل المكاتب لدينا هنا بهذا الشكل و هذا التصميم، فقط تختلف المسميات. كل قسم في الجريدة له مكتب مخصوص في هذا المبنى و أكيد حضرتك متابعة الجريدة و تعرفين ماهية هذه الأقسام و طبيعتها."

نظرت له مادلين للحظات ثم قالت في جدية: "بالنسبة لهذا المكتب، أرى إنه مكان عمل جاد، يجب أن نركز على الإحساس بالإتساع، يفضل أن يكون لون طلاء الحائط أبيض.. بالنسبة للستائر و السيراميك، أنا أفضل نوع مآريْلاشيه، يمكنني عرضه عليك، ركبته في بيتي، المشكلة إنه غير متوفر في السوق المحلي حاليًا، لكن هذا النوع هو الأنسب و أوصي به دائمًا. على كل حال، سأدرس الوضع و أجهز الكتالوجات و التصميمات و أطلعك عليها بعد الإنتهاء منها و عليها الإضافات و الملاحظات و الألوان.. إن لم تناسبكم، سأعيد النظر فيها."

"يناسبني هذا جدًا! متى يمكنني رؤية الكتالوج والسيراميك و الستائر؟"

"هممم، على الأقل، أحتاج إلى خمسة أسابيع. (نظر لها ماثيو بإستغراب) أعرف إنها مدة طويلة، لكني لدي الكثير من الأعمال، أعتذر!"

"لا بأس! إذن، سأتصل بكِ بعد خمسة أسابيع لنحدد ميعاد!"

"بمشيئة الرب! سأذهب الآن!"

"يمكنني أن أوصلك للباب!"

"أشكرك!"

خرجت مادلين من بوابة الجريدة.

ظلت مادلين تفكر في التصميم الأمثل لمكاتب جريدة آلاي في الوقت الذي لم يتوقف فيه ماكسيم عن الفكير فيها و الذي صاحبه الخوف من الظنون التي هاجمته و كذبها..

و ما هي إلا أسابيع قليلة حتى عاد ماكسيم من سفره، عاد إلى عربته، و إذ به يجد الكثير من الرسائل المغلقة في أظرف بيضاء بداخلها.. فتح الأظرف كلها، و وجد إمضاء الراسل عليها إمضاء بإسم "مادلين" و تحت الإمضاء التاريخ..

كانت في هذه الرسائل أخر أخبار مادلين و رأيها الفلسفي عما يقابلها كل يوم و سؤال واحد تردده كل مرة و هو: "أين ذهبت؟ و لِمَ تركت عربة الدونتس؟"

إبتسم ماكسيم و هو في قمة فرحته و كأنه لم يغب.. كأن غيابه هذا قربهما من بعض أكثر و محى أي حيرة أصابته قبلها.. تحمس ماكسيم و تشوق لرؤية مادلين أكثر و أكثر، فأخذ يسير في الشارع الذي تقطن فيه كل يوم آملًا أن يراها و لم ييأس من لقائها، أتته طاقة مذهلة...

الفصل الثانى عشر:

جلست مادلين ذات يوم على إحدى الطاولات المثبتة في الشارع في محيط بيتها، إنضم لها آيماس و جلس أمامها في صمت و أخذ ينظر لها بتمعن و كأنه يتأمل وجهها و يرجع به في ذاكرته إلى شيء معين و يقارنهما ببعض. تعجبت مادلين من طريقته هذه، ما أن بدأت مادلين أن تتكلم حتى قاطعها آيماس قبل أن تنطق حرف و قال لها: "ألم.. ألم تذهبي إلى تيكتيا؟"

ردت: "تيكتيا، لا! لا أتذكر!"

"ألم تزوري مركزي قبل أن أراكِ أخر مرة؟ و لا مرة؟"

كانت ستجيب، قاطعها بسرعة قائلًا: "تذكري! تمهلي قبل أي إجابة، سيترتب عليها إختلاف حيوات."

وقفت مادلين و قالت: "أهذا إستجواب؟"

وقف آيماس و قال: "هذه محاولة للحصول على إجابات، هل يمكنك رؤية الأشياء البعيدة و بوضوح؟"

"يبدو لي إن مركزك قد تعرض للسرقة في غيابك، لكني لا أدري، أتحدثني كشاهدة أم كمشتبه فيها؟"

"لديكِ سلسلة ذهبية بها ٨ حلقات فضية، أليس كذلك؟"

"أم ستكون أنت السارق؟ لا أفهم، ماذا تريد مني؟ و لِمَ إخترتني أنا لتستعلم عما أملُك؟"

تركته مادلين و سارت للأمام، تبعها آيماس و واجهها قائلًا: "أنتِ لا تحبينني! أعرف إنك لا تحبيني! (وقفا) لكن شيء ما يقربك مني!"

"نعم، شارعنا!"

"هذا ما يتضح لكِ، لكنه ليس الحقيقة!"

"و ما هي الحقيقة؟"

"إسمك ليس مادلين أو أنتِ لستِ بمصممة ديكور كما تزعمين!"

"أزعم؟ أتريد أن تفرض حقيقتك أنت علي بتزييف حقيقتي؟"

"هذا ما فعلتيه أنتِ، فليكن!"

"لم أفعل شيء من هذا القبيل، أنا أحترم حقائق الناس و أتغاضى عنها، لم أسأل أحد أسئلة سخيفة و لم أطالبهم بتغيير الحقيقة، فكرتك هذه عني تعتبر إحدى مزاعمك."

"لا وقت لهذا السخف، قولي لي الحقيقة، مع من نشأتي؟ ماذا قالوا لكِ عنا؟"

سكتت مادلين للحظات ثم قالت: "سخف؟ لا وقت لأسئلتي، أسيوجد وقت لإجاباتي المبهمة التي تشبه أسئلتك لتلائمها؟ لإن هذا في حد ذاته السخف نفسه."

"إسمك نوريتا أو أنتِ وسيطة روحانية!"

"نوريتا؟ أنا نوريتا؟ دعني أفكر! قد أتخذها شخصية لي، (بإهتمام) لكن كيف هي؟"

"هي أختي! ألم تسمعي بهذا الإسم من قبل؟"

"قد يكون إسم ماركة شنط و أحذية.."

"هذا إسم أختي!"

"ما شأني بأختك؟"

"قد تكوني هي! قد يكون إنجذابك لي من نوع آخر."

"كنت فقط أسخر منك و من غطرستك البليدة المتبلدة، أي إنجذاب هذا؟ و أنا لا أريد أن أكون أختك، على الأقل، إحترم رغبتي!"

"إذن، أنتِ من سيوصلني لها!"

"وصفتك بالغطرسة و لم تجادلني، و لم تعارضني، و لم تشجب كلامي، لم تنفعل، (حزينة) لقد تغيرت!"

سكت آيماس و هو يحاول أن يفهم الوضع و يخرج بإستنتاج ما إن كانت أخته أم وسيطة روحانية كما هو معتقد.

قالت مادلين بعد أن لاحظت حيرته و مدى إنهماكه، بتعاطف: "الموضوع كبير و مهم، أليس كذلك؟ لكن لِمَ تسألني أنا؟ مم إستمديت ظنك هذا؟"

"كانت رحلة سفر مختلفة، منذ أن رأيتك و أنا كلما حلمت بأختي الصغيرة التي تاهت منا منذ أكثر من عشرين عامًا، تأتي أنتِ في أحلامي و مخيلتي و كأنك هي. إن تذكرتها، كنت أنتِ الذكرى. أتذكرها و أتذكر أيامنا، بكِ شيء منها، أخبريني من أنتِ؟ و أين هي؟ (راكعًا، متوسلًا، و شاءت الصدف أن يمر ماكسيم بجوارهما في هذه اللحظة دون أن تلاحظه مادلين، فذهل من المنظر) سأفعل ما تريدين، انقذيني، أرجوكِ، سأعطيك كل شيء، هذا كل ما أريده من هذه الحياة، (إختبأ ماكسيم بسرعة في ركن من أركان الشارع يبعد عنهما بأربعة أمتار و شاهدهما و هو مصدوم و لم يسمع شيء) قولي لي ماذا يحدث، أنتِ هي! إن، إن لم تكوني هي، فأين هي؟ أريحيني!"

"لا دخل لي!"

"ألم تكفيك كل هذه العلامات؟ سأقول لكِ المزيد.. قلت مرة: "إن كنت أنتِ أختي، فليقع هذا الصحن!" فوقع في الحال!"

"تصر إني هي، قد أكون الوسيطة!"

"ربما!"

"لِمَ؟"

"إذا كنتِ لا ترتدين عدسات لاصقة!"

"غريبة، لم أسأل والداي عن هذا!"

"علامة أخرى: كنت ألعب لعبة الشطرنج، قلت وقتها: "إن فزت في هذا الدور، ستكوني هي، سيكون ظني صحيح.. و إن خسرت، فأنتِ لست هي و لازال مكانها غير معلوم."

"و ماذا حدث؟"

"وجهتيني أنتِ إلى الخطوة التي سحقت خصمي و قتلت ملكه، لم يحدث هذا من قبل. (مسك يدها بقوة و هو راكع)"

"(محاولة شد يدها من قبضته) اتركني، ما هذا؟ إترك يدي! رُحِمَت أختك منك!"

"(راجيًا) قولي لها أن تعود، قولي لها إننا ننتظرها كل يوم، نشتاق إليها إلى حد الجنون."

لم يستطع ماكسيم إستكمال رؤية المشهد، فإكتفى بذلك و عاد إلى عربة الدونتس و هو متألم في صمت.

ترك آيماس يد مادلين أخيرًا..

قالت له مادلين: "أعتذر! لا يمكنني توصيل رسالتك، فأنا مشغولة جدًا، لدي ميعاد مع محصل فاتورة الهاتف.. سأقول لك ما تفعل، خذ بقايا الصحن المكسور هذا، اكتب على أجزائه رسالتك، اطحنه، انثره في مياه النهر، حتمًا ستشرب منه أختك و بذلك ستصلها الرسالة. ثم ستأتي الشرطة لتصطحبك معها إلى مركزها و للغرف التي يوفرونها هناك، هكذا يمكنك أن تذيع رسالتك تليفزيونيًا لها، هكذا ستقرب المسافات.. أو قد تكون محظوظة و لم تشرب من مياه النهر أو شربت و لم تفهمها بعد، في هذه الحالة، فستأتي لك في الحلم المدعوم بروحانيات و هدوء السجن لتوبخك على فعلتك و بذلك تراها و تطمئن عليها و تهدأ و تحل المشكلة.. أقل هذا بصفتي الوسيطة الروحانية!"

سارت مادلين بعض الخطوات للأمام، مشى آيماس ورائها و قال: "أترفضين مساعدتي؟ أنتِ بذلك تخالفين القواعد الروحانية، ستندمين و أنا لا أريد منكِ شيء."

تركها آيماس و مشى، فقالت مادلين، بصوت عال في جدية: "أقل لك؟ إستخدم البوصلة لتعرف أي إتجاه تذهب و في أي الأرجاء تبحث.. ها أنا ذا أساعدك و أنت ترفض مساعدتي و تصدني و تقول لي إني مقصرة.. أتعلم؟ كما تريد، فلأكن مقصرة!"

و دخلت مادلين بيتها و أغلقت الباب و حاولت أن تتناسى هذه المحادثة بأكملها و هي لا تعرف لِمَ و لكنها شعرت بإحساس سلبي تجاهها.. و نجحت في ذلك و أتمت نجاحها بتناول بعض البونبون بإستمتاع و لامبالاة..

و لازالت ردود مادلين عجيبة و محيرة و غير مفهوم قصدها، ماذا تعكس؟ ماذا يحدث لمادلين؟ و آيماس، هل أثرت عليه مهنته؟ هل ينشيء عالم للروحانيات خاص به؟ أم إلى هذا الحد لازال يؤلمه حدث فقدان أخته؟

أما ماكسيم، فأخذت دموعه تنهمر و لم يستطع التركيز في عمله، فأنهى يوم عمله بسرعة و ذهب إلى بيته و جلس في غرفته و قال:

"بعينيها نسجت حلم، لكنه لم يكن لي، لقد رأيته للتو!

جعلتني على قيد الحياة، جعلتني أنبض بالحياة، فقط لتقتلني بعدها؛ جعلتني أحيا لأموت.. و كان هذا سريعًا جدًا.

سأكتب الأشعار من الآن للحب و سأقرأها للدونتس التي أعدها، فليُصنَعوا بالحب ليضمدوا جراح القلوب المنكسرة.

لأشعاري سأخطو و أجتاز مسافة الألم و الفقد، لأشعاري ستصب كل آلامي و شكوايا، فهل سأجد المواساة يومًا ما؟

فلأعود إلى نفسي، أعود إلى قناعتي، و كيف تعود للقناعة بعد أن ذقت النعيم و تبخر من يداك، كيف؟ كيف؟"

الفصل الثالث عشر:

كما إتفقا في مبنى الجريدة، إتصل ماثيو بمادلين و أكد على موعده معها.

في الصباح التالي، رن جرس باب بيت مادلين، فتحت الباب..

قال ماثيو: "صباح الخير، أستاذة مادلين!"

ردت مادلين: "صباح الخير، أستاذ ماثيو! تفضل!"

دخل ماثيو بيت مادلين و تركت مادلين الباب مفتوح.

قال ماثيو: "هناك طبيب نفسي يسكن في البيت الذي أمامك؟"

"من قال هذا؟"

"اللافتة التي يضعها تقول هذا!"

"هذا تمويه! هو ليس بطبيب نفسي! (و هي تقطع غرفة المعيشة ذهابًا و إيابًا لتحضر الكتالوجات و الأوراق و الشاي و بعض الكيك) هو، في الحقيقة، صاحب سلسلة مطاعم كبيرة جدًا... قد تكون موهبة لديه أو حلمه المهني أن يعمل فيما يخص النفس البشرية، لكني لا أوصي به أبدًا كمجال أو كهواية...

أنا أتذكر بعض من مواقفه معي.. أتذكر حين رأيته أول مرة في مطبخ فرع مطعمه هنا في آلاي و هو يقف بالبالطو الأبيض. أذكر إنه كان المسئول الأول عن وضع التوابل و كان له فلسفة في هذا.. رأيته و هو يضع التوابل، النوع و الكمية المناسبة، حسب رأيه هو.. و إن سألته "على أي أساس؟"، رد بثقة و فلسفة و إعتزاز مطلقًا الأحكام على طالب الطبق، كان يضعها بعد أن يعرف من هو طالبه، كان يضعها حسب حكمه هو على طالب الطبق.

لن أنسى إنطباعي هذا عنه و لا إنطباعي عن مطعمه.. هو لم يروق لي أبدًا، لا هو و لا مطعمه. الطعام الساخن يضعونه في أكياس بلاستيك، هذا، في حد ذاته، إجرام! لا يكلفون نفسهم عناء تعقيم أدوات الطعام! و بالرغم من كل هذا، كان هناك الكثير و الكثير من الزبائن! تشاجرت معهم كثيرًا و لم يؤثر شيء على نشاطهم بأي صورة، بل تزيد أمواله و معها يلمع صيته و يسطع أكثر و يشتهر مطعمه أكثر و أكثر، و هو لا يرضيه إلى الآن سطوع أضوائه إلى هذا الحد. ما تسألني بشأنه هو مجرد كاموفلاج!"

"هذا أمر مثير للإهتمام! لكن.. كاموفلاج؟"

"كاموفلاج، أي تمويه، إخفاء لشيء و هو حقيقته! أعتذر، (بفخر) فلقد تأثرت بلغة و مصطلحات المسرح، كنت أصمم ديكورات الكثير من العروض المسرحية.. مثل: "هي و الذهب"، "هو و الفضة"، "شارع السوليتير".".

"أنا لم أسمع سوى عن "شارع النحاس"!"

"مضبوط! لذلك أتوا بي لأحول النحاس هذا لسوليتير."

أحضرت مادلين كل ما أرادت و وضعته على طاولة الشاي و جلست ثم أومأت لماثيو بيدها ليجلس على الأريكة أمامها، فجلس، أعطته الكتالوجات و قالت: "ها هي كتالوجات الألوان و أنواع الأرائك.. علِّمت لك على ما أراه مناسب."

فتح ماثيو الكتالوجات، لم يلتفت إلا لما وضعت مادلين عليه علامة. ثم أعطته مادلين ورقة التصميمات و بها ملاحظاتها، أخذ ماثيو يقرأهما معًا.

قالت مادلين: "لا تنسى الشاي و الكيك!"

وضع ماثيو الكتالوجات و التصميمات جانبًا و كأنه تمنى هذا الإذن الغير مباشر للتحرر من قيود الإختيار و التدقيق في الرسومات و هي عنده سواء.

سألته مادلين، بإهتمام: "لِمَ إخترت مجال الصحافة؟"

"إخترت الكتابة للخلود بما أضفت للوجود."

"عم تكتب؟ هل تكتب ما يطلبه الناس أو القراء منك؟"

"الإلهام قوة خارقة مسير بها الكاتب لا مخير."

إنشغلت مادلين بالرسومات مرة أخرى و كانت منهمكة فيها.

قال لها ماثيو، متعجبًا و مبتسمًا: "ألا تحبين الأعياد؟"

"أحبها كثيرًا!"

"نحن في فترة أعياد، و أنتِ لا تحتفلين؟"

"أحب الاعياد و أفعل فيها أكثر شيء أحبه، فأعمل في أوقات الأعياد بصفة خاصة. لدي فكرة بخصوص الحائط و الأرضية في المكتب.. يمكن إضافة مؤثرات بصرية، كإنعكاس موج البحر على الحائط مع موسيقى هادئة. لو سيطول الانتظار هناك، فلتضع على الأرضية سجاد مطبوع عليه صفحات مجلات."

"آرائك تعجبني، فلتفعلي ما ترين، رؤيتك في محلها!"

"لكن.. هل ستعجب مالك الجريدة؟"

سكت ماثيو لبرهة و تغير وجهه و قال: "هل يمكنني إلقاء نظرة على ديكور بيتك؟ ديكور غرفة المعيشة!"

"طبعًا، تفضل!"

وقف ماثيو و أخذ يسير ببطء يشاهد الصور و الإطارات المعلقة على الحائط و ديكور الألواح الخشبية المعلقة و ما عليها من أنتيكات.

لفت نظر ماثيو ميدالية مادلين التي كانت تضعها على إحدى الألواح الخشبية، كانت ذات طابع فرعوني، فقال: "ميداليه مذهلة! والدي كان يعشق الفراعنة و قصصهم و أساطيرهم!"

ثم نظر إلى ما فوق الميدالية على الحائط، رأى صورة كبيرة من الكناڤا بها الطابع و الزي الفرعوني، صورة لأب يعطي إبنه رزمة ورق، بينما هما في هذه اللحظة الخاصة، يدخل بينهما شخص برأس حيوان.. و ورائهم شاهدين مترقبين و فرحين.

بكى ماثيو بحرقة، فوقفت مادلين بجواره و قالت، بإستغراب: "لِمَ تبكي؟"

إلتفت إليها ماثيو و قال لها: "هذا المشهد بالضبط هو ما حدث.. و كأن كل المواجع تحالفت ضدي لتظهر لي كلما أدرت وجهي عنها.. (صمت) أيمكنك أن تساعديني؟ أيمكنك أن تنقذيني من عثرتي؟"

"أنا؟ لِمَ أنا؟ أنت لا تعرفني، لِمَ هذه المجازفة؟"

"خسرت كل شيء، المجازفة قد تنشيء إضطراب قد يغير الأحوال بدلًا من هذا الركود السلبي القهري. ليس بوسعي سوى المجازفة!"

"ماذا حدث؟"

"صديق والدي إستغل قلة خبرتي في الأمور الإدارية و التجارية حينما مررت بضائقة مالية، عرض علي أن يشتري نصف الجريدة مني، فوافقت لتسديد ديوني و لإنقاذ الجريدة و أمنت له.. لكني في النصف المتبقي، الذي كان لازال ملكي وقتها، لم أستطع الإلتزام بدفع المستحقات، فإشترى حصتي كاملة مني بأبخس الأسعار بالضغط علي و عاهدني أن يبقيني فيها كما أنا و يدعمني كوالدي حتى أقوى من جديد و يردها لي."

"جيد جدًا! أنقذك من الديون و سيردها لك، ماذا فعل بعدها؟"

"عاملني كأي صحفي، لم يردها لي كما وعدني و كأنه نسي الوعد أو كأنه لم يكن، لم يشركني في إتخاذ القرارات حتى المصيرية منها، غيّر في المحتوى الرسمي للجريدة، أبعدني عن الإدارة و إنتزعها لنفسه، أنا كما أنا و هو يتحكم أكثر و يمتد نفوذه بقوة كل يوم أكثر و أكثر."

كان يظهر على مادلين التعاطف القوي معه، قالت، برقة: "ماذا تنوي أن تفعل؟"

"سأخلق مواقف من عدم، سأتسلى! سأكتب و أمثل!"

"لا أفهم، ما دخل هذا بما تمر به؟"

"أصدقاء والدي هم أصدقاء مالك الجريدة الحالي، لطالما كانوا من يسمع لهم و من يبصر بهم، سنعرض عليهم قصتنا إن شاركتيني، إن وافقتي أن تفعلي الخير لإنقاذ مظلوم و رد الأمانات و إنقاذ حلم والدي الذي أراه يتحطم أمامي و لا أقوى على حمايته."

"أقبل التحدي! ماذا سأفعل؟ أين سنذهب؟"

"متجر ملابس، عين مالك الجريدة! بعد إسبوع، (كتب لها العنوان على ورقة التصميمات) سنتقابل هناك بعد فترة الظهيرة. ستكونين أنتِ خطيبتي أمامهم، خطيبتي، إبنة رجل فاحش الثراء و أتينا لتشتري بعض الفساتين.."

"سنمثل إننا سعداء و لا نحتاج إلى المال؟ لكن بِمَ سيفيدك هذا المشهد؟"

"ليس هذا المشهد الذي أعنيه بالضبط!

رسم إننا سعداء و أنا سعيد بخطيبتي الثرية و بأموالها أصبح مشهد متوقع، صورة تقليدية، كما إنها تعطي إنطباع بالطمع و كأني مهدد أن أخسر كل شيء إن نشب أي خصام أو خلاف بيننا و هو الوارد أو إن إكتشفت نواياي و أطماعي..

أريده مشهد مؤثر.. قد أكون خسرت أموال والدي، لكني أصبحت محظوظًا مرة ثانية و القوة و النفوذ في طريقهما إلي، إن أردت، سيكونا ملك لي و بهما سأستعيد كل شيء خسرته و أكون أنا شخص له هيبة، لا يمكن الإستغناء عنه، بل تزداد قيمته و تزداد إلى أن تنعدم قيمة مالك الجريدة الحالي بالمقارنة بقيمتي أنا."

"إترك لي كتابة نص هذه المسرحية، فهمت ما تريد!"

الفصل الرابع عشر:

تقابل ماثيو مع مادلين على ناصية الشارع في الموعد المتفق عليه.. كانت مادلين ترتدي عقد لؤلؤ، أساور ذهب، سروال لامع أحمر اللون، بلوزة حريرية سوداء بأكمام طويلة واسعة، حذاء ذهبي ذو كعب عالي، حلق ذهب كبير.

قال ماثيو: "مستعدة، مادلين؟"

ردت مادلين: "نعم!"

سارا للأمام، بعد بضعة خطوات توقفت مادلين و قالت له: "تظاهر و كأنك غير راضي عن شيء حتى عني أنا.."

"أنا لا أفهم!"

"فقط إرفض كل شيء أقوله أو أذكره بنظرات تهكمية!"

"لِمَ كل هذا؟"

"ستعلم في وقتها.. سايرني فيما أقول!"

أومأ برأسه موافقها..

دخلا متجر الملابس، أخذت مادلين تبحث في الملابس المعروضة بإهتمام. كانت كلما أعجبها فستان، إبتسمت و حملته معها.. ثم دخلت غرفة البروفة لتقيسهم.

بعد لحظات، خرجت مادلين و هي سعيدة بما ترتديه و تنظر لماثيو و تقول و هي تدور بالفستان: "ما رأيك فيه؟ (تنظر في المرآه) أجده رائعًا!"، فما كان منه سوى أن نظر لها نظرة إستهزاء و أدار وجهه.. ظهر عليها الحزن و دخلت تقيس فستان آخر.

خرجت مادلين و قالت له: "(بحذر، خائفة من الإجابة) أعجبني هذا الفستان كثيرًا، ألا يعجبك؟"، نظر لها ماثيو نظرة إستهجان و قال لها: "لا يليق عليكِ شيء من هذه الفساتين الأنيقة بالرغم من أن ألوانها باهتة.."

و ما أن قال هذه الكلمات حتى إنفجرت مادلين في البكاء و بهذا إلتفت إليها كل من كان في المتجر، قالت مادلين: "لا يعجبه أي شيء، ينقدني بإستمرار، أنا لا أعجبه، لا أنا و لا أي شيء يخصني أو يعجبني. (إقتربن منها بعض العاملات في المتجر ليواسوها) سأحكي لكم بعض من معاناتي معه، دعاني مرة لمشاهدة مباراة، و طلب مني أن أختار فريق، فإخترت.. و عندما قلت له إختياري، رفضه.. إخترت الفريق الذي يشجعه، قال لي: "لا يمكن هذا، لا يجوز، أتقليديني؟ أتتبعيني دومًا هكذا؟ إختاري فريق!" إخترت الفريق المنافس له و الذي يلعب ضد فريقه، قال لي: "أنتِ دائما ضدي؟ أتتحديني؟ أتعاديني؟ كما إنك لا تنتمين إلى هذا الفريق، لا تشجعي إلا بإخلاص و إنتماء، اللعبة أعمق من هذا.. إختاري فريق!" إخترت الجمهور، قال لي: "كيف هذا؟ كما إنه لا يقف على أرض المباراة و .. أتري؟ عددهم أكثر من ١١ لاعب.. "إخترت إسم فريق

خطر على بالي، فقال لي: "أتستخفين بي؟ أين هذا الفريق الآن على الشاشة؟"، ثم خاصمني و إتهمني بإنني لا أشاركه أي من إهتماماته. (بكت بحرقة) أنت ظالم و تعذبني، لا تقل لي إني أجرح كرامتك، سئمت من هذا الإتهام البعيد عني كل البعد حتى شعرت إنك تراني إنسان آخر، ليس بأنا.. لِمَ تفعل بي كل هذا؟ لأنك تعرف إني متمسكة بك و أحبك.. (إشتد بكائها و بندم) و إن عاتبته، هاجمني و غلطني، لِمَ كل هذا؟ هل أنا سيئة لهذه الدرجة؟"

"هذا ما تستحقينه.."

قالت إحدى الزبائن لماثيو: "إن كنت لا تقدرها، لِمَ أقدمت على الإرتباط بها؟ لتهدمها و تطفئها و تكسرها؟ أنت إنسان متبلد جاحد أناني.. لا تستحقها!"

علق ماثيو: "كل منا له عيوبه!"

ردت عليه السيدة: "كل منا له عيوبه، لكنه يحاول أن يخفيها عمن يحب، يحاول تغيير نفسه للأفضل حتى لا يعذبهم و لا يكرهونه، و إن لم يستطع فهو يحميهم من نفسه.. و يفضِّل أن يُجرح و يعذَّب على أن يؤذيهم بكلمة أو بفعل، ألا تخجل من نفسك؟ أتحب أن تكون هكذا في عيونها؟ و ما تحكيه عيونها يصل قلوب الناس كلها كرسالة عنك."

سمعت كلامها إحدى الزبائن و التي دخلت للتو، فقالت: "ألا يمكن لأحد أن يتحمل مسئولية؟ أتحسب إنه لا يوجد غيرك في الدنيا؟ إتركيه!"

ردت مادلين: "لكني، أحبه!"

"حتى الحب مسئولية و عهد! ستعرفين إنكِ كنتِ في كابوس، لا حب.. ستشعرين بالفرق! الحياة حب و الحب حياة.. ليست بجحيم أو ذل أو سجن.."

كان من الواضح تأثر كل المتواجدات في المتجر بمادلين و قصتها مع ماثيو و تعاطفهن معها و كأنه أيقظ جروح قديمة لهن في الماضي لا يتمنين أن يروها مرة أخرى.. أما صاحب المتجر فكان يتابع في صمت و حاول ألا يظهر لماثيو، لكنه لم يخرج من إطار ماثيو البصري و بذلك إطمأن ماثيو و تأكد إن تعبهما لم يضيع هباء و إن الجمهور المعني متابع للأحداث.

هدأت مادلين بعض الشيء، قالت بتأثر و شجن و حسرة: "أريد أن أرضيه و هو أبدًا لا يرضى، لدي الكثير من المال.. يمكنني شراء أي شيء مهما تكلف و إن عز على بائعه.. و مع ذلك، ها هو، كما تروا، لا يبالي بي. إن أراد أي شيء، يمكنني إمتلاكه و إهداؤه له، كان هذا وعدي له و هو يرفض أن يعطيني الفرصة لأفي بوعدي... و هكذا كان الحال و هكذا أصبح و قد يدوم، قد يعجبه (بدأت تبكي) أي شيء، (زادت حدة البكاء) كل شيء، إلا أنا.. إلا أنا.."

قربت مادلين من ماثيو و قالت في حزن و أمل: "أعرف إن هناك قضية تشغل بالك، قد تكون هي ما يبعدك عني، قلت لك يمكنني أن أحلها لك، لكنك لا تسمح لي. فقط.. فقط عود لي، قل إن كل ما أختاره يعجبك، قل إنني الأجمل و الأروع في نظرك، أيمكن هذا أم ستظل هي كما كانت.. أمنياتي العالقة؟"

"سأمشي! إن أردتيني، فأنا بالخارج."

خرج ماثيو، و نظرت إليه مادلين ثم ذهبت ورائه.

أوقفتها إحدى العاملات في المتجر: "كلنا معكِ! سندعو الرب لكِ أن يخلصك من محنتك.."

و خرجا من متجر الملابس..

قال ماثيو: "كان هذا رائع حقًا!"

ردت مادلين: "أشكرك! ماذا عن الجواهرجي؟"

إبتسم ماثيو ثم تكلم بجدية و شغف و حماس و هو يسير مع مادلين بعض خطوات للأمام: "سيكون مشهدنا التالي كالآتي: عادت الزوجة، أرملة والدي، من السفر تبحث عن حقوقها و تنوي إستعادتها، لو كانت طليقة أو مسلوبة، و هي غير راضية عن تصرفات إبن زوجها.. تريد أن تقوِّمها.. هنا سيشعر إن حقنا لن يضيع، سنطالب به مهما حدث، و إن كان يستخف بي، فها قد أتت من لها الحق و لن يسهل خداعها، عليه أن يخاف مما قد يأتي به الغد؛ قد يأتي برياح من الأمس و التي لن تشتهيها سفنه التي يبحر بها اليوم في طريقه إلى الغد. "

"متى سيكون موعدنا؟"

"بعد إسبوعين، (أعطاها ورقة أخرجها من جيبه) هذا هو العنوان!"

أخذت مادلين الورقة..

"سيارتي هنا، يمكنني أن أقلك، لن أتعبك و أنتِ تقومين بهذا من أجلي.."

"شكرًا، أفضل السير.."

قال ماثيو، بإبتسامة: "كما تشائين!"

ركب ماثيو سيارته و عاد إلى مكتبه في الجريدة.

دخل ماثيو مكتب مالك الجريدة و هو متأخر عن موعد الإجتماع الشهري المهم، إلا إن مالك الجريدة نهض من كرسيه مخصوص و إستقبله و هو يقول: "جئت في موعدك تمامًا، كنا ننتظر أن نسمع إقتراحك بشأن العنوان الرئيسي لعدد الغد، يهمنا أن نعرف رأيك، الجريدة كلها ملكك.. أنا مجرد موجه لكم بحكم سني و خبرتي..

آه، قبل أن أنسى، أنت تعرف إن لدينا عجز يزيد كل عام، نحتاج أن ندعو الشركات الكبيرة أن تدعمنا بإعلاناتها و ندعمها نحن بقوتنا و إنتشارنا، أتمنى لو إنك تضع هذا الموضوع في الإعتبار خصوصًا و (قرب منه و قال بصوت خافت مسموع لماثيو) أنت تتحدث مع معارفك من رجال الأعمال و الأثرياء."

تغير تمامًا موقف مالك الجريدة من ماثيو بعد أن كان يعامله كأي صحفي و هو المدير و يتعامل بغطرسة و بالروتينية المهنية التي تحدد شكل العلاقة بين الصحفي و مديره المسئول إلى هذه المحايلة و التودد و الكلمات الناعمة..

و بذلك عرف ماثيو إن أثر المسرحية الأولى قد وصل الجريدة، وصل بسرعة لم تكن متوقعة و بذلك إرتاح ماثيو لما آلت إليه الأمور.

الفصل الخامس عشر:

قضت مادلين الليلة تفكر في حوار لمسرحيتهما القادمة و تحاول أن تستمد إلهامها من أي شيء حولها.. بعد أن شعرت بنضوب خيالها في بعض اللحظات، قررت أن تغير الأجواء المحيطة بها، فذهبت إلى صالة البولينج.

من دور إلى دور إستكملت مادلين اللعب، تصيب الكرة القطع الخشبية مرة و تخيب مرة و تسقط عدد منهم مرات.. أخذت تلعب و تلعب بحماس و هي تحاول أن تركب الكلمات في خيالها و تستمد الطاقة من ممارسة اللعب بلا توقف و بلا تفكير في خسارة أو فوز، كانت تبحث عن أي شيء أو أية كلمة لتستخدمها و تنشيء عليها قصة أو موقف للمسرحية المكلفة بها.

قالت و هي تفكر بلا إنقطاع: "زوجة والده؟ إبن زوجها؟ هممم.. جواهرجي! شبكة، خاتم.. والدته أم زوجة والده، أيهما أقوى؟ أيهما سيترك الإنطباع؟ في كل الأحوال، عدم الرضا.. التمرد.. الرفض.. قد يكون أيضًا البديل في تفضيل آخرين كأمثلة.. و ذكريات.. من أين آتي بها؟ (تنهدت) في الألفاظ؟ الأمزجة؟ الميول؟ الأفكار؟ ماذا سأضيف؟ كيف سأتحدث عن الذكريات؟ أليمة أم سعيدة؟"

كانت مادلين آنذاك تحت مراقبة و إهتمام تايبريو الذي شده حماسها في اللعب و كأنها في دنيا أخرى لا تكترث لشيء و لا يشتت إنتباهها شيء..

تايبريو، متوسط الطول، رفيع البنية، شعره بني داكن، و عينيه بنية، ملامحه هادئة تعكس الطمأنينة و تثير الشعور بالراحة.. لكنه، كان يرتدي ملابس لا تعكس أو تؤكد الإنطباع الذي يعطيه وجهه الهاديء.. كان يرتدي سترة سوداء من الجلد، تيشيرت رمادي، و سروال چينز إسود و كأنه يعيش الحياة بلا ضوابط..

كان تايبريو قد أتى مع صديق له يتحدثان لبعض الوقت في صالة البولينج، و ما أن تركه صديقه حتى بدأ تايبريو ينظر إلى مادلين عن كثب، ثم قرر أن يلعب البولينج.

كانت مادلين ترمي الكرة على المسار الخاص بها و تايبريو يرميها في المسار الخاص به و كأنهما في تحدي، لكن لم تلحظ مادلين هذا التحدي..

في مرة من مرات إحضارهما الكرة، إجتمعا معًا في وقت واحد وجهًا لوجه، لكن مادلين لم تلحظ أي شيء.. فجأة، وقعت من مادلين تذكرة في حاملة الكرات، فوضعت مادلين الكرة التي كانت قد رفعتها مرة أخرى مكانها و بهذا سقطت على يد تايبريو الذي وقعت منه ساعته مكان الكرة و مد يده ليأتي بها في اللحظة قبل إعادة مادلين الكرة مكانها مباشرة.

كانت الكرة ثقيلة جدًا، قال تايبريو، في ألم و بصوت مكتوم: "أوقعتيها على يدي!"

لحسن حظه، لاحظت مادلين ما فعلته و حالة تايبريو، فرفعت الكرة في الحال و قالت، في لهفة: "أعتذر، أعتذر!"

رد عليها تايبريو، بفظاظة: "و بم سيفيد الإعتذار؟ و ماذا سيفعل أسفك؟"

"سيُبرّد جفاء الإصابة و يحررها من ظن اللامبالاة.. و لن يبقى لك حق الضغينة!"

إبتسمت مادلين و إستكملت اللعب ثم غابت عن الأنظار..

بعد دقائق، قدمت مادلين إلى تايبريو و في يدها أيس كريم له للصلح.. و قالت: "أنا أحب أيس كريم الفانيليا، يعجبني كثيرًا.. فبالنسبة لي، أجازف بما أعلم.. لا أعرف عن باقي الأذواق و لا يمكنني ضمانها أو تقديمها لك متمنية أن تعجبك... لهذا أتمنى أن تعجبك.. و أتمنى أن تكون بخير و تسامحني.. أنا لم أقصد، لا نية لي في إيذائك.. سأدعو لك أن تشفى سريعًا و ألا تعرقل هذه الإصابة حياتك.. و شكرًا إنك ألهمتني من دون أن تدري.. المعذرة!"

ثم إنسحبت مادلين بعد أن أعطت تايبريو الأيس كريم و هو مندهش من كل تصرفاتها.

قالت مادلين، لنفسها: "الچينز.. ماذا عنه؟ نعم! صحيح.. (نظرت أمامها، وجدت حائط ملونة) أحمر، أزرق، أخضر.. لا، لا، التركواز! الأيس كريم، النكهة، الفانيليا، آه، المطهو، الطهي.. الـ.... بالضبط! أحتاج ورقة و قلم، أحتاج أن أسجل هذا. لن أجد هذه الأشياء هنا، فلأذهب إلى البيت قبل أن أنسى هذه الأفكار.."

و هرعت مادلين إلى بيتها..

أما تايبريو.. فكان قد اشترى أيس كريم لمادلين، و أخذ يبحث عنها في صالة البولينج، لكنه لم يجدها، فإبتسم إبتسامة رقيقة و تعجب مما حدث و إستكمل اللعب.

الفصل السادس عشر:

مضى الإسبوعان سريعًا، و تقابل ماثيو مع مادلين أمام متجر الجواهرجي..

لم يتعرف ماثيو على مادلين بسهولة، فقد كانت ترتدي باروكة بيضاء و قبعة سوداء عليها وشاح اسود شفاف موضوع فوق القبعة و ملفوف على رقبتها. كما كانت مادلين ترتدي نظارة نظر و وضعت ماكياج باهت اللون و إرتدت معطف اسود طويل سادة و حذاء بكعب قصير و أمسكت عصا رفيعة تتكيء عليها.. أخذ ماثيو ينظر حوله ثم ينظر في ساعته مرات كثيرة.. لم تجد مادلين أي أمل في أن يعرفها ماثيو بالرغم من إنها كانت تقف أمامه مباشرة و تنظر إليه.. فإقتربت منه أكثر و قالت له: "أنا مادلين.. ألم تعرفني؟"

رد ماثيو، متفاجيء: "ماذا؟"

قالت: "قررت أن أمثل دور والدتك لتكون مدعومة في المطالبة بحقكم بصلة قرابة منك أقوى.. هل أنت مستعد؟"

"نعم! أية إرشادات؟"

"عاملني كوالدتك و حاول أن تكتم غيظك و غضبك و حاول أن تحترمها."

دخلا معًا متجر المجوهرات..

ما أن دخلت مادلين حتى إتجهت إلى الكرسي مباشرة لتجلس و تستريح من عناء الطريق. نظرت مادلين لماثيو و أومأت له برأسها ليبدأ الحوار، فقال: "أيمكنني أن أجد لديكم خاتم سوليتير؟"

ثم جلس ماثيو على الكرسي المقابل لمادلين..

رد عليه مساعد صاحب المتجر: "بالطبع، يا أفندم، لدينا الكثير من القطع الفخمة، ذوق حضرتك مميز."

ردت مادلين، للمساعد: "مميز؟ ياليته كان مميز! لكنه لا يعرف كيف يختار و ماذا يختار..

و ها أنا ذا، و قد أتى بي و قد كنت في قمة إنسجامي مع أختي في القرية السياحية لأشهد فكه للقيود التي كانت.. كانت تقربه مني! يريد أن يتحرر و يترك والدته و يتقرب من هذه الفتاة التي لا أدري كيف وجدها.. (لماثيو) ذوقك هذا هو ما يحتاج لإصلاح!"

قال المساعد لماثيو و معه الخاتم يعرضه عليه: "ما رأيك؟"

قبل أن يرد ماثيو، قاطعته مادلين و هي تنظر بقرب للخاتم: "ما هذه الفصوص؟"

تعجَّب المساعد..

لاحظت مادلين تعجب المساعد، فقالت للمساعد: "أنت لا تعرفها، يا بني، لا تعرفها.."

سأل المساعد: "لِمَ لم تأتي معكما لإختيار شبكتها؟"

علقت مادلين، بسخرية: "لا وقت لديها لشراء خاتم!"

قال ماثيو: "ماما!"

ردت مادلين: "ماما؟ أي أم تنادي؟ تذكرتني الآن؟"

قال ماثيو: "أنتِ تعرفين لِمَ لم تأتي معنا!"

"(لماثيو) قلت لي... آه، (للمساعد) قال لي، (لماثيو) ماذا قلت لي؟ آه، (للمساعد) "إنها تعمل ليلًا و نهارًا".. و أنا لا أعرف أي عمل هذا الذي قبلها في صفوفه و مجاله.. تعجبت من إنشغالها الزائد، و ما منه عرفت إنها تعمل بكل هذا الجد و التفاني لأن برجها برج ترابي.. و حسبت إنها تملك برج فعلًا، حسبت إنها من الأثرياء.. و إنتظرت أن أرى هذا البرج الترابي الشاهق الفاخر و إنتظرت و إنتظرت و طال انتظاري و عندما فاض بي و سألت قال لي: "قصدت أبراج علم الفلك، الإثنى عشر برج." إبني ضحك علي و خدعني بعد أن وافقت و ياليتني ما كنت سمعت كل ما قاله قبلها قط.."

قال المساعد: "ننشغل أحيانًا، لا بأس!"

وقف ماثيو و قرب لمادلين و قال لها، بهمس: "المذكور يجلس هناك في هذا الركن المغلق خلفك، فليسمع القصة كما هي.."

ردت مادلين على المساعد: "ليست فقط مشغولة، أنت لا تعرف! أفكارها غريبة و آرائها أغرب.. (لماثيو) كيف ستعيش مع معقدة مثلها؟"

قال ماثيو، بهدوء، و هو يجلس مكانه: "والدتي، ماذا فعلت لكِ؟ هي تحبك!"

قالت مادلين: "بعد ما فعلته و قالته تقول لي هذا؟ تضحك علي مرة ثانية؟ (للمساعد) هذه الفتاة، التي فضلها إبني، الذي يجلس أمامي هذا، على كل البنات الراقيات الناجحات الجميلات الذكيات، قالت لي ذات مرة إني أجيد الطهي، فرحت و إفتخرت بما أعد من أطباق و لم تمر لحظات فرحة لي كاملة إلا و أستيقظ أنا منها، و أيقظتني هي منها؛ فقد تأسفت لي، تأسفت على ما قالته و أسعدني، و هي نادرًا ما يسعدني منها شيء، ماذا كانت تعني؟ لا يتأسف الناس بسهولة، (لماثيو) أنا متأكدة إنها كانت تقصد إهانة لي بمجاملتها هذه، كيف تتجرأ على فعل هذا بي؟"

قال ماثيو: "لازالت تحبك رغمًا عن هذا!"

ردت مادلين: "أنا لا أريد أن يحبني مرتدي هذا النوع من الچينزات!"

سأل ماثيو: "و ماذا عن هذا النوع؟ ماركة سويستروك هي أفضل علامة تجارية و هي الأكثر شيوعًا في عروض الأزياء العالمية."

قالت مادلين: "ألا تعرف عن هذه العلامة التجارية شيء؟ أصبحت مثل العامة و أجيال هذه الأيام، ضاعت تربيتي فيك و عمرى ضاع معها، ضاع و لن يعود.."

قال ماثيو: "هذا النوع عملي و مناسب لكل الأعمار و المهن و المستويات.. لا يقل رقي! كان هذا في الماضي.."

قالت مادلين: "الماضي هو أساس الحاضر و المستقبل، الماضي هو الأصل الذي تعود إليه الأشياء، حتى الحقوق مهما أنتزعت فلا بد أن تعود يومًا، إن كانت قد إنتزعت في الماضي، فيعيدها الحاضر و المستقبل.. و لو كانت قد إنتزعت في الحاضر، فيؤكدها الماضي و سيعيدها المستقبل، ألا تدري الإرتباط الوثيق بين الأزمنة؟ لم تعد تهمك فلسفتي، لن تستفيد منها يومًا!"

"ما دخل الچينز بالأزمنة؟ لازلت أصر إن لا مشكلة في هذه العلامة التجارية!"

"تقل هذا لأنك تخاف منها، أنا لم أعلمك هذا! كيف غيرتك هذه الـــ ... فتاة؟"

قال ماثيو: "فلنعود للقطع و نختار منها، لا ذنب لهذا المسكين في إختياري و رفضك لكل تصرف يصدر مني.. ما أفضل لون برأيك؟ (ناظرًا إلى الخواتم)"

ردت مادلين: "قالت قبل ذلك إنها تحب لون... لون التورماي على ما أظن.."

قال المساعد: "التورماي؟ رمادي؟ أسود؟"

قال ماثيو: "آه، التركواز! تذكرت، شكرًا!"

قالت مادلين: "ما هذا الشيء؟ لا معنى له، أنا لم أسمعه هكذا..

(للمساعد) و هي تتحدث هكذا دائمًا بلغة لا أفهمها، لغة عفى عنها الزمن.. دائمًا ما أحتاج لمترجم و أنا أتحدث معها.

هي حتى لا يمكنها حفظ ماء الوجه.. سمعتني بالرغم من إن المسافة بين بيتي و بيتها عشر كيلومترات.. و قالت لي حينما قابلتني: "أستطيع أن أحفظ ماء الوجه، أنا دائمًا أستخدم ماء الورد و أعرف كيف أحفظه حتى يظل محتفظًا بصلاحيته و فاعليته دائمًا." أي ماء ورد تتحدث عنها؟ و ما دخلها بالوجه؟ هي تضاف للطعام أثناء الطهي.. تسخر مني!"

"يستخدم كقناع للوجه أيضًا!"

"قناع؟ أي قناع تتحدث عنه؟ قلت لك مرارًا و تكرارًا إنها ليست بطبيعتها، هي تختفي خلف قناع الإنسانة العملية.. قلت لك هي لا تريحني! قلت لك هذا و أنت تعرف إنها تضع قناعًا، هذا الولد لا ينفع، خذلتني، يا بني، خذلتني! (للمساعد) أتشعر بمقدار الألم الذي أشعر به بمعاملتي مع هذه الفتاة؟ (لماثيو) ستفقد أمك شيئًا فشيئًا، رويدًا رويدًا.. من أين أتيت بها؟ أنا لا أصدق وجود أناس مثلها."

قال ماثيو: "سأختار الخاتم ذو الفص التركواز.. ما رأيك؟ أليس برائع؟ (نظرت بإستياء للخاتم) سيعجبها! (أغلق علبة الخواتم) أشكرك، سآتي بعد أيام قليلة و آخذه منك، كم يبلغ ثمنه؟"

رد المساعد: "٩١٠٠٠"

ردت مادلين، بصدمة و غضب: "٩١٠٠٠، هل جننت؟ لمن؟ من أجل من؟ لم يعد لدينا المال، ماثيو، بسبب تهورك و تصرفاتك و سلبيتك، كثيرًا ما تتغاضى عن حقك.. لكني عدت، و لن أسمح بالمزيد من الإستهتار و الفوضى بعد أن راح والدك منا.. حقوقنا سترجع و لن أسمح لك بصرفها هنا و هناك دون أي تخطيط أو مسئولية أو رقيب.. هذا الذي أحكم قبضته على أموالنا، فليأتي ليسمع ثمن خاتم.. فليأتي لأحاسبه على كل مليم إنتزعه منا دون وجه حق.. لن أتركه! كيف سنعيش، يا بني؟ كيف سمحت له أن يخدعك هكذا و يساومك؟ فليدفع هو هذا المال.. هذا الظالم الجاحد!"

قال ماثيو: "(لمادلين) ماما، أرجوكِ، سأتصرف، لقد وعدتها! و لا دخل لنا به! (للمساعد) إتفقنا.. (لمادلين) أسنذهب الآن، يا والدتي؟"

نظرت له مادلين متأملة طريقته ثم وقفت بصعوبة و قالت للمساعد: "إرسل سلامي لوالدتك! لعلها تكون في حال أفضل من حالي! أنت ولد صالح.. فليباركك الرب!"

خرجت مادلين و تبعها ماثيو...

قالت مادلين: "إنتهت المهام.. ما هي نتيجة المهمة الأولى؟"

رد ماثيو: "كما خططنا، لكن أسرع مما توقعنا، بها تأكدت إن موقفه مهزوز أمام القوى الخارجية.. (مبتسمًا) و بعد مزحة الأبراج الترابية هذه تخلصت من إشاعة الإرتباط بالفتاة الثرية لأني لا يمكنني أن أكمل معها واقعيًا خارج هذه المسرحية.."

قالت مادلين: "أتمنى لك النصر!"

"أنا لا أعرف كيف أشكرك، أستاذة مادلين! أنتِ ممثلة بارعة، جعلتيني أستمتع في أحلك لحظات حياتي."

"أنا أيضًا أشكرك على إتاحة الفرصة لي لإضافة المغامرة ليومي.. يوم سعيد!"

"يوم سعيد!"

ركب ماثيو سيارته، و خلعت مادلين الباروكة و تركت الوشاح على شعرها و أخذت تتنزه في الطرقات و تتأمل الطبيعة حولها.

الفصل السابع عشر:

وصلت مادلين إلى باب بيتها و هي تشعر بالملل بعد إنتهاء مغامرتها، كانت مترددة، أتدخل بيتها و تأكل و تنام أم تخرج لعلها تجد مغامرة أخرى أو شيء آخر يؤخر حالة مللها هذه التي بدأت تتمكن منها..

قبل أن تضغط مادلين على المفتاح و تفتح الباب، قالت، لنفسها: "العودة إلى الروتين! و إن كسرت الروتين، فإني أنتقل من روتين إلى روتين.. لكن، ليس اليوم، فلأذهب إلى أي مكان آخر."

أخذت مادلين تسير في الشارع الذي كان يعمه الهدوء الممل، على غير عادته في هذا الوقت من اليوم، و ما أن سارت للأمام حتى عرفت أين ذهب الناس، كانت حفلة موسيقية تشدو بالألحان الصاخبة و يحضرها المئات..

إشترت مادلين تذكرة و دخلت الحفل مع دقات الساعة التاسعة مساءً، كان إحتفال بقدوم شهر يوليو..

بعد ساعة من عرض الفرقة لموسيقاها، أوقفت الفرقة العزف و قال أحدهم و هو على منصة العرض للجمهور الواقف أمام المنصة: "عزفنا لكم و غنينا ما جهزناه لكم.. الآن، سنلبي كل طلباتكم، ماذا تفضلون؟ كيف تريدوننا أن نكمل هذا المساء الرائع؟"

تعالت الأصوات و إختلفت الميول و الإختيارات..

إستكمل العازف كلامه قائلًا: "ما رأيكم إن إخترنا ثلاثة أرقام تمثل طلباتكم؟ و إن لم نكتفي من الموسيقى، سنختار ثلاث آخرين لنلبي كل الأذواق، موافقون؟ فلننظر إلى تذاكرنا.. رقم ٦٧، رقم ٩٥٨، رقم ٥٠٠."

نظرت مادلين إلى تذكرتها وجدتها رقم ٩٥٨، و نظرت للمسرح، فوجدت رجلين يصعدان إليه.. فإتجهت للمسرح و صعدت إليه.. تجاهل العازفون الرجلين و تقدم عازف آخر منهم في إتجاه مادلين يسألها: "رقم ٩٥٨، مضبوط؟"

أظهرت له التذكرة.. و قالت: "كما ترى!" ثم سألته: "و من أنت؟"

"إسمي جوريوس! رقم ٩٥٨، ماذا تريديننا أن نعزف؟"

"أريدكم أن تنزلوا سريعًا من هذا المسرح و ترحلوا!"

عارض الجمهور مادلين بشدة و بنظرات سخط و لم يهدأ، قائلين: "لا، لا، لا، لا!"

قال لها العازف الأول: "لِمَ جئتِ؟"

ردت: "مللت و سئمت من هدوء الشارع، فقدمت هنا... و إنزعجت!"

عارض الجمهور كلام مادلين مرة أخرى و لم يوقفوا الكلام مع بعضهم البعض مستنكرين ما يحدث على المسرح.. لكنهم لم يفشلوا في إيصال رسالة الشجب و عدم رضاهم كذبذبات يتلقاها من على المسرح و تلقتها مادلين أيضًا. لم تجد مادلين مفر سوى تغيير إتجاهها بما لا يخالف ضميرها، فقالت: "إعزفوا لنا موسيقى الدي شيرلي ساي!"

كل من في الحفل نظر لمادلين نظرات تعجب، فلم يسمع أحد بهذه الموسيقى من قبل، لاحظت مادلين هذه الحالة العامة، فإختارت أن تستخدمها لصالحها، فقالت: "هي موسيقى بالرغم من رقتها، فهي نشطة.. تتحرك أنغامها مع النسمات و تهديء الرياح، هي سحر يعيد البسمات و يغير الأمزجة المتعكرة و يعيد صفاء الأوقات.. لا تمل منها و لا تسبب الصداع، هي موسيقى لها أبعاد، بها عذوبية تطرب و تريح الأنفس.. تلهم.. تلهمك بأجمل الرقصات.. هي موسيقى تعزف في الحدائق بتردد نغمات حركات الأمواج.."

تحمس الجمهور لموسيقى الدي شيرلي ساي، و ظهرت على وجوههم الإبتسامة و التشوق لهذه الموسيقى.. بينما.. ظهر على وجه الفرقة الموسيقية خيبة الأمل و الخجل، قال جوريوس، بذهول: "لم نسمع عنها من قبل، هل هي بهذا السحر؟"

قال آخر، بسخرية و جدية: "أين سمعتيها؟ هل هذا نطقها الصحيح؟"

قال العازف الذي إقترح فكرة الإختيار: "أعرفها و سنعزفها لكم الآن.. شكرًا على إقتراحك!"

بعدت مادلين و وقفت على جانب المسرح دون أن يلاحظها أحد منتظرة أن ترى كيف سيحلوا المأزق، كما إختاروا، بالنصب على الجمهور..

تحدث العازف الرئيسي مع أعضاء فرقته لبعض الوقت، ثم بدأت الفرقة في عزف ألحان غريبة و كأنها مزيج من عدة ألحان لا تناغم فيها و لا تناسق و لا إنسجام..

حاولت مادلين أن تظهر للجمهور مرة أخرى قائلة بأعلى صوت لها و يظهر عليها الغضب و خيبة الأمل: "هل تقبل ورود الحديقة أن تسمع هذه الموسيقى؟ هذه موسيقى الأشواك، هذه موسيقى تنذر بغضب الطبيعة و لا دخل لها بحركة الأمواج ، ما هذا السخف؟ ما هذه الموسيقى العشوائية الباهتة المتكلفة؟ حتى أبسط موسيقى لا يمكنكم عزفها؟ فلتكفوا عن هذا فورًا، ليس ذنب الجمهور أن تجعلوهم يكرهون هذه الموسيقى المميزة التي لا يرقى الكثير ليعزفوها على آلاتهم.."

الدي شيرلي ساي؛ موسيقى من إختراع مادلين! لكن عندما رأتهم يتلاعبون بالألحان كنوع من النصب على الجمهور، لم تظهر نصبهم بل سايرتهم حتى لا يظهر تناقض و أوضحت مدى فشلهم و خذلانهم للجمهور.. كانت ترى إنها يمكنها إيجاد هذه الموسيقى من عدم، فإن كانوا قد لجأوا إليها، هؤلاء العازفين، لكانت علمتهم نوع موسيقى جديد قد لم يكن خطر على بالهم من قبل.

شعرت مادلين و كأنها قد أدت دورها و أشبعت حاجتها للتحدي المستمر، لم تجد شيئًا آخر تفعله، فخرجت مادلين من باب قاعة الحفل الموسيقي و سارت في إتجاه البيت.

خرج جوريوس بعدها بدقائق و تبعها بسرعة و حاول أن يلحق بها مع دقات الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل..

جوريوس: موسيقي شعره بني فاتح، عيناه عسلية اللون، طويل و رفيع القامة..

قال جوريوس، و كأنه يحاول أن يتذكر: "إسمك...."

ردت: "مادلين!"

"ما هذا؟ غير معقول... مادلين؟"

"هل تعرفني؟"

"حتمًا سنكون أصدقاء، فأنتِ ستكونين صديقة مقربة لي، أرى ذلك!"

"أسفة، أنا لا أرى ذلك، فليست معي نظارتي!"

إستكملت مادلين السير..

"تعرفين مقهى آلاي، أنا هناك كل يوم، طوال اليوم.."

"و ماذا تفعل هناك؟"

"أعزف أجمل الألحان و أغني في بعض الأحيان."

"لم تروقني موسيقاك؛ لا إحساس فيها و لا تناغم و لا أي مذاق."

"لكنك ستأتين، ألن تأتي؟ أقصد هل ستأتين؟"

"لا أعرف.. حسب ظروفي! سأذهب الآن!"

"إلى أين؟"

"إلى بيتي!"

و استمرا في سيرهما...

"يقولون إنكِ طلبتِ إستعادة قيمة تذكرة الحفل، هل هذا صحيح؟"

"صحيح!"

"و لم تستعيديها!"

"صحيح!"

"تنازلتِ!"

"صحيح!"

"لِمَ؟"

"لأني إستمتعت بوقتي هناك.."

"لكنك لم تروقك موسيقاي!"

"بغض النظر عن إستمتاعي بالمشهد الأخير الذي حدث، أنا مقدرة تعبك و مجهودك و محاولتك إبراز أفضل ما لديك، و كان هذا ربما أفضل ما لديك، لذلك قررت أن أتغاضى عن ما دفعت!"

دهش جوريوس من كلامها و وقف ينظر لها في صمت.. و ها و قد وصلت مادلين أخيرًا إلى البيت.. فقطعت مادلين الصمت و هي تفتح باب بيتها: "تصبح على خير!"

قال لها جوريوس بصوت عال: "مادلين، أي الرجال تفضلين؟"

ردت: "أنا أفضل الإنسان المهذب الراقي دومًا!"

قال لها بإبتسامة: "تصبحين على خير!"

دخلت مادلين بيتها و أغلقت الباب، وقف جريوس مبتسمًا ثم سار في طريقه إلى أن خرج من شارع آريْلا.

الفصل الثامن عشر:

عاد ماثيو إلى الجريدة بعد إنقطاعه عنها يومين و بعد أن إنتهى من كتابة مقاله..

دخل ماثيو مكتب مالك الجريدة و أعطاه المقال ليقرأه منتظرًا النتيجة.

فجأة، تغير إسلوب مالك الجريدة معه و قال و هو عابس: "مقال تافه و إسلوبه ركيك، لن ينشر! تحملتك كثيرًا من أجل والدك، أنت لا تصلح أن تكون كاتب أو حتى صحفي، مكانك هنا يستحقه الأكفأ، كم شكوى أتت لي من المحررين بسبب كثرة أخطائك اللغوية و النحوية و التركيبية! حتى القراء نخسرهم يومًا بعد يوم بسبب آرائك المستفزة. من اليوم، لا علاقة لك بنا، سأمضي قرار فصلك فورًا، (و هو مائل على المكتب يمضي الورقة) أنت تسبب المشاكل و تعقد الأمور لزملائك و كأنك المتحكم. (وقف) لا مكان لك هنا بعد الآن، سأخبر جميع العاملين في الجريدة ليكون القرار ساري."

ذهل ماثيو مما سمع، لم يكن هذا ما توقعه، كان كالفيضان الذي لم يتمكن من إيقافه أو صده، حاول ماثيو أن يستجمع قواه كلها و ثار: "إنها جريدتي أنا! كيف لك أن تفعل بها ما يحلو لك؟ كيف لك أن تأمر و تنهي و تطردني منها، من جريدتي و جريدة والدي؟ سأقاضيك!"

"كيف تتطاول، يا ولد، على من هو في مقام والدك؟ عديم التربية! لا خير فيك! سأنقذ الجريدة منك، كان الله في عون والدك، رحمه الله!"

"لا تتحدث عن والدي، أيها المخادع السارق! سآخذ حقي منك و إن طال الدهر، سأطالب به بإستماتة حتى تخر قواك أمام صمودي. أيها الجشع، أتحسب أن المال يمكنه أن يسلب الأمانات من أصحابها و المؤتمنين عليها؟ سأنتزع حقي منك، اظلم أكثر، اطمع أكثر، اظهر شرّك، إهلك نفسك بنفسك.. لن أستخسر فيك المال، مالي، إن كان سيودي بك إلى أزقة الجحيم."

قال مالك الجريدة، بغضب و بقوة: "لا حق لك عندي، لا حق لك و لا لأي شخص من عائلتك، أسمعت هذا؟ عرِّفهم! أهكذا ترد لي الجميل؟ لا تدخل هذا المكان مجددًا و إلا إستدعيت الأمن. اخرج! اخرج من هنا! اخرج!"

خرج ماثيو من المكتب و هو ممتعض، شعر و كأن برودة موسم الشتاء كلها قد إخترقته، شعر برعشات تجتاحه.. حاول أن يتنفس بعمق و يفكر فيما سيفعل.. و قال: "الجريدة حقي، سينصفني القانون! هو من إختار أن نلجأ إلى المحاكم، لا يلومني!

هل أخافه إتصال الجواهرجي؟ مادلين فعلت ما عليها و أكثر، أفضل مما تصورت، لكن المشكلة إني لم أكن أعرف إن هذا الشخص بهذا القبح و هذه الحقارة؛ عندما شعر بقوة المطالبين بالحق و كثرة عددهم و عدم قدرته على مواصلة الإستفراد بي تخلص مني تمامًا و طردني و أخذ جريدتي كلها لنفسه و لم يبق لي فيها أي أثر. (بحسرة) و هذه الأعذار التي إستخدمها للإطاحة بي! (بألم) آه، هذا المحتال، يا لجرأته! سيندم، سيندم حتمًا!

ياللمعتدي!! للمعتدي المتعدي على الحقوق ثقة.. بالرغم من هشاشتها إلا إنها خداعة!"

الفصل التاسع عشر:

عاد ماثيو إلى بيته متأخرًا و هو يمشي بخطوات ثقيلة و ما أن أغلق باب البيت و إستدار حتى وجد نورا، زوجته، عيناها خضراء واسعة و شعرها بني داكن قصير و ملامحها محددة، جالسة على أريكتها تنظر إليه ثم قالت: "الساعة الثالثة صباحًا! ظننتك ستقضي الليلة في الجريدة على غير عادتك!"

رد ماثيو: "أسف إني أقلقتك!"

"و لِمَ سأقلق؟ أنت من حُرِمَ من راحة البيت!"

"لم يعد هناك جريدة لي لأذهب إليها!"

سكت ماثيو و ظلت نورا ناظره إليه بنظرات ثاقبة، ثم قال، بهدوء: "سأمكث في البيت!"

"لا تقولها، حاولت أن أكذب ظني و أحسنه! أضعت الجريدة؟"

"حُرِمت من أملاكي..."

"نعم، أعرف هذه القصة ترددها كل يوم و أنت نائم، و ما الجديد؟ خسرت قبلها الأرض و قبلها خسرت المركز التجاري، و توجت سلسلة إخفاقاتك بخسارة الجريدة التي كانت تسندنا و ترفع رأسنا بكل ما إستطاعت من قوة برغم ضعفها."

"طردت منها!"

"و تقولها دون خجل؟"

"أعِدك سأعيدها!"

"كما وعدتني من قبل و صبرت على وعدك و أنت لا قدرة لك."

"الجريدة تختلف! هذا مجالي، إنها رسالتي، هي أمانة خاصة من والدي أمنت عليها!"

"(ضحكت بإستهزاء) أمنك أنت عليها؟ فليأتي ليرى! (مهاجمة) تقل قيمتك يوم بعد يوم، ألا تخجل من جبنك و حماقتك؟ لا أعرف لِمَ لازلت معك، فلتخرج من هذا البيت و لا تعود إلا و قد إستعدت لك قيمة، أنا أكره أن أراك؛ أنت تمثل الضعف، الذل، الفقر، الفشل، أنت تثير سخطي و غضبي!"

"أرجوكِ، إهدأي!"

"أهدأ؟ أتراني أحاول تمزيق أوراقك أو كسر إحدى مقتنياتك؟ قلت لك ألا تقل لي هذه الكلمة، لكنك مصر أن تندمني على إختياري أنا لك!"

"لست ضعيف! أنا رفعت قضية و أنتظر حكم المحكمة!"

أدارت وجهها و قالت: "إنتظر!"

"أنا أحترم القانون، نورا!"

نظرت له، ثم أدارت وجهها وقالت بلامبالاة: "إحترم!"

"ألا يرضيكِ؟"

جلست على أريكة بمسندين بشموخ و قالت "ألا!"

"إسمعيني، أرجوك..سـ.."

قاطعته نورا قائلة: "سمعت الكثير، وقتك إنتهى! (وقفت، في حزم) اخرج! (بقوة و شجب) ليس لديك ما تقوله سوى التسويف الخيالي و الأعذار، و أنا أمقت الإثنين!"

"(راجيًا) نورا، إتركيني أمكث في غرفتي و لن تريني إلا و قد إستعدت شيء، لن أخذلك، لن أقِّل في نظرك!"

قالت نورا، ببرود: "لطيبتي و سماحتي، سأعطيك مهلة هنا في البيت لمدة إسبوعين، بعد ذلك...."

"تطرديني؟"

"لا، غيرت رأيي! بعد ذلك، إن رأيتك في هذا البيت، نظرتي إليك ستعلن تحول هناء هذا البيت إلى جحيم، ستهرب أنت منه!"

"لطالما تحملتِ معي!"

"قل لنفسك!"

"يكفيني الإسبوعين، سأذهب بعدهما! شكرًا على كرمك!"

"العفو! كرمي بلا حدود كما ترى، لكنك لا تستحق النعمة، فتسحب منك! و لأني طيبة و أراعي مشاعرك سأسحبها منك تدريجيًا."

"أشكرك، نورا، أنا أقدر هذا!"

ثم خرجت نورا من غرفة المعيشة بخطوات واثقة و بإنطباع فيه قوة و سيطرة، و تركت ماثيو، كما هو، ضائع و أزادته ضياع و أصبح مكلومًا.

مر إسبوع و ماثيو معزولًا عن العالم في غرفته لازال يفكر و يتصفح أعداد قديمة من الجريدة التي كان يعمل فيها، و ها و قد بدأ العد التنازلي لإنتهاء الفترة المسموح بها له أن يمضيها في بيته بأمر نورا و زاد هذا من الضغوط التي عليه.. فجأة أتت على باله فكرة:

"لِمَ أنا محتار؟ أنا أعرف أماكن توزيع الجريدة، أعرف منافذ التوزيع كلها، ميزانيتنا لا تسمح بخسارة نسخ ثلاث طبعات متتالية..

بعدها.. سيعلن إفلاس الجريدة، سيقام مزاد، سأفوز بها، ستكون لي أنا وحدي.. سأستعيدها!

(صمت للحظات)

سأحرق النسخ و أهلكها كلها و لن تباع نسخة واحدة، و من فعل هذا؟ هل سينسبه للقضاء و القدر؟ أم سيعترف إن هناك جاني؟

على كل حال، سيخسر سيخسر و لن تفيده شكوكه و لا أسئلته و لا إتهاماته، فصلني و أصبح القرار ساريًا، ما علاقتي أنا بالجريدة؟ فليفسر هو هذا الأمر، أم الأمر به عصيان لأوامره؟

سأنفذ هذا من الغد!

لكن.. من أين سآتي بالمال؟ لا بد أن أربح المزاد و إلا كل مجهوداتي و حقي، كل شيء، سيضيع هباء!"

الفصل العشرون:

مضى إسبوعان، كانت مادلين فيهما منهمكة في عملها، فجأة، تذكرت جوريوس، الذي طال انتظاره لها...

في ظهيرة اليوم التالي، وصلت مادلين مقهى آلاي كما وعدت جوريوس و كما رتبت أعمالها و مهامها.. ما أن رآها جوريوس، أثناء عزفه، حتى ترك چيتاره و إندفع نحوها..

إقترب جوريوس من مادلين و قال لها: "أخيرًا، مادلين! أخيرًا جئتِ!"

نظرت إليه مادلين بإبتسامة خفيفة، ثم نظرت حولها تحاول أن تجد طاولة مناسبة.. لاحظ جوريوس بحث مادلين عن طاولة، فقال لها، بسرعة و هو يرشدها إلى طاولة: "تفضلي!"

حاول جوريوس ألا يسبقها، لكنه تذكر إن عليه إتاحة الكرسي لها ، ففجأة إندفع بجوارها و سبقها و شد الكرسي لها، فنظرت له مادلين بإستغراب، ثم جلست و شكرته بإيماءة رأسها.

جلس جوريوس أمامها و هو مبتسم، مدت مادلين يدها لتأخذ كوب الماء الذي يبعد عنها. تطبيقًا للإتيكيت، حاول جوريوس تقريب كوب الماء من مادلين و تقديمه لها، لكنه فعلها دون أن يقصد بطريقة فجائية عنيفة، فوقع كوب الماء و انكسر.. أتى النادل و جمع الزجاج المكسور و عم الصمت المكان..

بعد خمس دقائق، قطع جوريوس الصمت و قال: "ألن تختاري شيئًا من قائمة المشروبات؟"

أمسكت مادلين القائمة و أخذت تقرأها كثيرًا دون أن تختار شيئًا..

علق جوريوس قائلًا: "كل المحتارين، و خصوصًا الفتيات، يفضلون عصير المانجو.."

"لست مثلهم و أنا غير محتارة.. كما إني وعدت أحدهم من قبل بإني لن آكل المانجو مطلقًا. سأختار الثايدورايه!"

"الـ ماذا؟"

"الثاي_دور_ايه"

"خطيبتي كانت تطلب أسماء غريبة كهذه و تحزن إن لم تجد طلبها!"

نهض جوريوس و طلب المشروبات و عاد لمادلين..

"أنتِ جميلة!"

"أنا لا أعرف معاييرك في الجمال و لا زاوية إدراكك لأشكرك.."

"أنتِ معيار الجمال لدي!"

"من أين تعلمت هذه الأشياء؟"

"من الأغاني!"

سكتا لبعض الوقت..

قال جوريوس: "هل أنتِ ناجحة؟"

"إجتزت هذه المرحلة من الحياة.. أعتبر هذا نجاح! إن أنجزت أي شيء، يعتبر هذا نجاح.. لقد إستطعت للتو أن تنهي سؤالك، هذا نجاح! أوقعت الكوب، (نظر بخزي) هذا نجاح إنك أوقعته و فشل إنك لم توقعه و العكس حسب النية و ما تريد القيام به."

قال جوريوس في هدوء، خائفًا من الإجابة: "فعلت هذا لأني إنسان مهذب، أليس كذلك؟"

"لا تحتاج أن تفعل كل هذا! كل ما عليك هو أن تكون رسميًا، تختصر الكلام، و تبتسم بلطف.. و أبدًا لا تكون نفسك!"

سكت جوريوس للحظات لا يعرف ماذا يقول.. ثم سأل مادلين، في حماس: "هل لديكِ عائلة؟"

"كل منا لديه عائلة؛ هناك من لم يجدها و هناك من وجدها و عاش معها، المهم الإنتماء، المهم إعتراف الشخص بها!"

"أنتِ بارعة، اعذريني، أنا فهمي قدر إستيعابي!"

"لا بد أن يكون هكذا، أستستعير فهم و إستيعاب شخص آخر أم ستأتي بدعم و مداد لفهمك؟"

في هذه الأثناء، ظهر رجل نظر إلى جوريوس في صمت و كأنه يقول له شيء بعينيه مثل: "قابلني هناك!"، شيء من هذا القبيل..

سرعان ما نهض جوريوس و هو يقول لمادلين: "المعذرة، سأعود بعد دقائق!"

نظرت مادلين إلى هذا الشخص بتمعن، لم يبدو هذا الشخص سليمًا أو صحيحًا، بدا به خللًا و كأنه ينشر الخلل الذي به أو مسبب هذا الخلل بطريقة ما.. رأته مادلين و قد أخذ جوريوس بعيدًا عن الأنظار و كأنه يريد أن يقول له شيء أو يعطيه شيء في سرية تامة.

قالت مادلين: "هل هو مدمن إحدى أنواع مغيبات العقل؟ هل هو مجنون؟ يخفي هذا؟ من هذا الذي يتحدث معه؟ يبدو لي و كأنه ينشر السموم، ماذا يريد منه؟ فلينقذنا الرب!"

عاد جوريوس مرة أخرى متوترًا ثم هدأ و إختفى هذا الرجل الذي قابله.

سألته مادلين: "هل أنت بخير؟"

"نعم، أنا بخير!"

وصل النادل بالمشروبات..

قالت له مادلين: "أشكرك!"

أومأ النادل برأسه بإبتسامة و إنصرف..

ضحك جوريوس و حاول أن يوقف ضحكته هذه..

سألته مادلين، متعجبة: "علام تضحك؟"

"تذكريني بها، تنطقين بعض الكلمات تمامًا مثلها!"

"من هي؟"

"خطيبتي السابقة! كان لديها نطق خاص للكثير من الكلمات."

"السابقة؟ رحمها الله! (بجدية و توبيخ) ليس لأنها لم تعد معنا في هذا العالم تضيف للقبها كلمة "السابقة"."

"لا، لم تمت!"

"لم تمت؟ أقسوت عليها أم خنتها؟ (وقفت، بإنفعال) أنا لا أجلس مع الخونة أو القساة!"

"إجلسي، أرجوكِ! لست بخائن أو بقاسي، سأشرح لكِ الأمر!"

جلست مادلين و هي غاضبة..

قال جوريوس: "لا تظلميني، مادلين، أنا أتألم أكثر منها.."

عم السكوت لبعض دقائق، قطعه جوريوس قائلًا: "هل سمعتي عن الحفل الكبير الذي سيقام في آلاي؟"

"لا علاقة لي بالحفلات؛ لا تمر علي أخبارها و لا أدري شيء عن مواعيدها أو أماكنها و لا تصلني منها أي دعوة!"

"الدعوة مفتوحة لكل سكان آلاي..."

"و ما دخلي أنا؟"

"أريد أن أريكِ شيء مهم!"

"بمقياس: من واحد إلى عشرة، ما هو مقدار أهميته؟"

"عشرة.."

"متى سيقام هذا الحفل؟"

"بعد ستة أسابيع!"

بالصدفة، مر آيماس بجوار طاولتهما، نظر له جوريوس بتعجب فقد كان آيماس ينظر لمادلين و هو عابسًا و قابلته مادلين بإبتسامة لطيفة، ثم أدار آيماس وجهه في تكبر و حنق و بَعِد عنهما..

تسآل جوريوس: "من هذا المتغطرس؟"

ردت مادلين: "جاري! و هو ليس بمتغطرس بل حزين، يخرج الحزن على الوجوه بأشكال مختلفة.."

"لكن لِمَ هو حزين؟ هيئته توحي بأنه ذو نفوذ، هل نفوذه لم يطل سعادته؟"

"يبحث عن أخيه.. الضائع منذ أكثر من عشرين عامًا..."

"أخ ضائع؟"

وقفت مادلين و قالت: "نعم! لدي الكثير من الأعمال، سأذهب الآن!"

"انتظري!"

"أراك في الحفل، بمشيئة الرب!"

"ألن أراكِ قبلها؟"

"لا أعرف شيء عن الصدف.. لكن تخطيطيًا، لا أرى لقاء قبلها!"

"أنتِ قائدة!"

"لا، لست بقائدة، لست بتابعة أو متبوعة.. أنا مستقلة!"

"معناه إنك الأقوى!"

"لا! في رأيي، القوة، في نفس الكائن، تتوازى و تتناسب طرديًا مع الضعف.."

"كيف هذا؟"

"أراك لاحقًا!"

خرجت مادلين من المقهى بينما ظل جوريوس هناك يراقب آيماس..

إستغل جوريوس إنشغال آيماس بالحديث مع مجموعة من الأشخاص و إنهماكه معهم، و إقترب من آيماس بهدوء و أخذ محفظته دون أن يدري آيماس أو يشعر. فتح جوريوس محفظة آيماس و رأى بطاقته الشخصية، قرأ الإسم و العنوان و حفظهما، ثم أعاد المحفظة في جيب آيماس..

الفصل الحادي و العشرون:

الآن و قد دقت الساعة العاشرة مساء يوم ٣١ أغسطس، وصلت مادلين بوابة الحفل حيث الأضواء الملونة المبهرة و الموسيقى الكلاسيكية العالية. لاحظت مادلين أعداد كبيرة من الحاضرين بالداخل في مبنى الحفل.. مبنى الحفل كان يتكون من ثلاثة طوابق و سطح مفتوح..

دخلت مادلين الحفل بكل ثقة، في الوقت الذي كان يقف فيه جوريوس مع بعض زملائه بجوار الباب الرئيسي.. لحظة أن رأى جوريوس مادلين، إقترب منها قائلًا: "شكرًا على قدومك، مادلين!"

إبتسمت مادلين إبتسامة خفيفة..

قال جوريوس، بترجي: "أريد أن أعرفك على بعض أصدقائي و معارفي، أيمكن هذا؟"

"يمكن! أين هم؟"

أشار جوريوس بيده إلى الإتجاه، سارت معه مادلين حتى قابلتهم.. كانوا ثلاث رجال و سيدتان..

قال جوريوس: "هذه مادلين، حدثتكم عنها من قبل!"

تبادلوا السلام مع مادلين بالمصافحة..

قال أحدهم: "أهلًا، مادلين! ماذا تعملين؟"

علق جوريوس: "يااااه، نسيت أن أسألها هذا السؤال!"

ردت مادلين: "أنا مصممة ديكور!"

قالت إحداهما: "كلنا جيران هنا، أي شارع تقطنين، مادلين؟"

ردت: "شارع آريْلا!"

علقت السيدة: "غريبة! أول مرة أراكِ!"

قال أحدهم: "أظن إن الحفل كان سيختلف إن كنتِ قد صممتي ديكوراته!"

علق جوريوس: "بالتأكيد، فهي متميزة! آه، نسيت أن أقدمكم، هؤلاء زملائي و أصدقائي المقربين.. (مشاورًا على كل منهم) هذه آنيا، هذه جلا، هذا روي، هذا ماچيري، هذا سيرل.. كلهم تمنوا أن يروكِ من حديثي عنكِ.. الآن و قد حققت لكم أمنيتكم، أستأذنكم، أريد أن أتحدث مع مادلين على إنفراد.. أتسمحين، مادلين؟"

أومأت مادلين برأسها، فصعدا معًا سلالم مبنى الحفل إلى أن وصلا للسطح..

الفصل الثانى و العشرون:

في بيت نورا و ماثيو، رن جرس الهاتف، ردت نورا، المكالمة كانت من الجواهرجي الذي بحث عن رقم تليفون ماثيو في فهرس دليل أرقام التليفونات و حينما وجده إتصل به ليأخذ العنوان و ليتفقا على طريقة سداد مبلغ الخاتم، الذي حجزه ماثيو، و على طريقة إرساله إليه، لتتم عملية البيع.. لم يجد الجواهرجي ماثيو و ظلت عملية البيع عالقة و لم تصدق نورا ما سمعته منه.. و قالت: "(مستنكرة) أي شبكة يتحدث عنها هذا الرجل المخبول؟ و لِمَ.. لِمَ لا يكون ماثيو هو المخبول و يكون قد فعلها؟ (بسخرية) ألا تعرف هذه العروس إنه لا مال لديه و إنه جبان متسول مفلس؟ مفلس؟ (متعجبة) أي مفلس؟ شبكة بهذا المبلغ؟ هل يكذب علي؟ معه مال؟ مالنا؟ مالي! و.. أكثر مما ظننت؟ و كيف.. كيف سيتزوج و نحن لم ننهي زواجنا رسميًا إلى الآن؟ هل جن؟ (بغضب) قد يكون نسي نفسه و نسي حاله، سأذكِّره.. و أعاقبه على فعلته هذه، هذا الأخرق! سيذهب للحفل، أنا أعرف، هو يذهب هناك كل عام، أكيد هذه العروس معه الآن..

(بقوة) عذرًا، أيتها المدللة! تريدين ماثيو، لكن أملاكي ليست للتمليك و لا للإيجار!"

عودة إلى الحفل، على سطح المبنى، كان ماثيو واقفًا مفكرًا محللًا و متأملًا؛ لم يخطأ تخمين نورا..

كان ماثيو يتحدث مع نفسه هناك آنذاك، بعيدًا عن صخب الإحتفال الذي كان يحرص على حضوره كل عام، قائلًا: "لم تبق سوى الخطوة الحاسمة.. كل شيء سار بالضبط كما خططت، الحمد للرب! لم تباع نسخة واحدة منذ أن خرجت من الجريدة، أتلفتهم جميعًا و أفسدت فرحته بالفوز.. الجريدة في طريقها للإفلاس، لا مفر من الخطوة المتوقعة و المنتظرة.. خطوة عرض الجريدة في مزاد.. هو لن يبقي على خسائره طويلًا، سيتخلص منها في أقرب وقت.. و لن تتوقف خسائره مادمت أتنفس إلى أن يخضع و أنتصر في معركتي..

يجب أن أحصل على المال.. فورًا، يجب أن أستعد من الآن! هنا (ناظرًا إلى أسفل على مدخل مبنى الحفل و الذي مد إليه الإحتفال) معظم سكان آلاي، من أختار؟ لكن ما الغاية من إختياري؟ ماذا بعد؟ أسيشاركني في جريدتي أحدهم و أعيد الكرة مرة أخرى؟ لا، لا.... ماذا أفعل؟ الوقت يداهمني و إحتياجي إلى المال يصارعني.. أحتاج مبلغ كبير لأفوز بالمزاد.."

ثم سكت ماثيو لبعض الوقت و ما أن إلتفت بجانبه حتى رأى مادلين، فلمعت عيناه وكأنه تذكر شيئًا ما. رأى ماثيو مادلين مع جوريوس، فأخذ ينظر إليها و في يده ورق أبيض و قلم؛ كان يكتب حينًا و ينظر إليها حينًا و لا أحد يدري ما إن كانت تلهمه أم تشتت إنتباهه أم إنها مجرد صدفة..

وقفت مادلين تنظر من فوق المبنى على المنظر و بجوارها جوريوس يرتب كلامه حتى أتته الشجاعة و قال: "مادلين، لقد عرفتك على أصدقائي، أتعرفين ما يعنيه هذا؟"

ردت مادلين: "أعرف! إنك عرفتني على أصدقائك! و ماذا فيها؟"

و قبل أن يرد، لاحظ جوريوس شخص من الأشخاص القلائل الذين صعدوا السلم للسطح ينظر لمادلين كثيرًا، فتعجب منه و سأل مادلين: "من هذا؟ ينظر لكِ كثيرًا و كأنه يشبِّه عليكِ، أتعرفينه؟"

ردت مادلين: "هذا ماثيو! إنه يبحث دائمًا عن حامي كنزه و سارقه.. كانت لديه قطة شرسة، و أنا لا أحب الرخويات، كان يريد لها مكان في الديكور، لكني لن أخصص لها أي مكان، فلا بديل سوى الإستغناء، قد يكون قد تذكر قطته هذه. كما تراه فهو هكذا، يمثل ليحقق حلم والدته في أن يثبت وجوده كإنسان بالرغم من إنه من الأعيان و لديه كنز ثمين يخفيه.. في بيته.. أتذكر إنه كان يتمنى أن يعيش أيام العصر الفرعوني. هو يعرف آيماس؛ هذا المتغطرس الذي رأيته و علقت عليه معي من قبل.."

علق جوريوس: "آها.." و نظر لماثيو بإهتمام..

ثم إستكمل حديثه لمادلين قائلًا: "سألتيني من قبل عن خطيبتي السابقة.."

"أنت من فتح هذا الموضوع.. و ليس أنا!"

"نعم.. كنا نعيش أجمل أيام العمر!"

"أتمنى لكما السعادة الدائمة!"

"أي سعادة و قد أصبحت سابقة؟ إمهليني فرصة... كنا سعداء، كنا قد إقتربنا من الإرتباط الرسمي.. بالرغم من إني وقتها كنت أملك الكثير من المال، حفل واحد أوصل حسابي البنكي لفئة حسابات الخمس أصفار، طلبت مني فقط شقة و شبكة.. و بالفعل خضعت لطلبها و لو كانت قد طلبت أكثر ما كنت رفضت أو عارضت.. كان كل ما عليها هو أن تطلب.."

"و هي طلبت منك أن تعرفني بأصدقائك؟"

"أنا لم أتحدث معها و لم أرها منذ ثمان سنوات.... اليوم من ثمان سنوات، كنا نجلس في مطعم فاخر، كنت أحدثها بصدق مشاعر و عن إحساسي الجارف بها.. فجأة، لاحظت، كما قالت لي، "رابط بصري"، بيني و بين فتاة تجلس على الطاولة ورائها.. فنظرت لنا، ثم نادتها و دعتها أن تجلس معي على طاولتنا، قالت لها إنها لاحظتني أنظر إليها و ترى إنه ربما إعجاب متبادل، فلا بد لنا أن نتعرف على بعض و تتوطد علاقتنا.. ثم تركتنا معًا و ذهبت تتحدث مع النادل عن أي شيء، في أي شيء، و عندما سئمت من هذا الوضع و ذهبت لها و كلي غيرة مما أرى، قالت لي: "خاتمك الذي كان في إصبعي، هذا الذي يمثل قيمتي عندك و يمثلك أنت عندي، على طاولتنا، سيليق أكثر في يد الفتاة التي إخترتها." بعد ذلك، تركت المطعم و كلما حاولت الإتصال بها، قالت لي: "لازال بورتريه النظرة الخائنة محفور في وجهك، كيف أتغاضى عنه و أتجاهله؟ كيف أنساه إن لم أنساك أنت؟". و هكذا كانت النهاية إلى أن رأيتك أنتِ، أحييتي الحكاية و أحييتي سطورها الأخيرة المؤلمة، ظلمتني و لا أعرف لِمَ.. أنا لست بخائن أو بقاسي!"

"(لنفسها) حسب ما فهمت مما تريد قوله، إنك أناني! (لجوريوس) و ما علاقته بتعرفي على أصدقائك؟"

"لم أنهي الحكاية بعد.. هذه التي تركتني معها لم تفلتني؛ كل يوم كانت تتصل بي عدة مرات، و عندما كنت أرفع سماعة الهاتف، لم تجيبني و كأنها كانت تتأكد من شيء..

كانت تحضر كل حفلاتي و تقف في الصف الأول دائمًا.. أكاد أجزم إن كل حركة قمت بها مصورة لديها في ألبوم خاص معها. كانت تعرف كل شيء عني بطريقة لا أعرفها، حتى خطواتي كانت تعرفها هي قبل أن أعرفها أنا، كانت تحلل شخصيات كل معارفي و مدى تأثري بهم، إلى أن إطمأنت، حينها أتت بوالدها و زاراني في بيتي و فتحت موضوع الإرتباط و والدها لم يرفض لها طلب و وضعتني أمام الأمر الواقع..

يوم الزفاف، إنتظرتني و ... لم أستطع القدوم، ضميري منعني.. و أشياء و أشياء.. حتى إني لم أنم ليالي و قدت سيارتي و لم أستطع أن أترك عجلة القيادة، لا أعرف ماذا أصابني وقتها، كنت في.. حالتي المعتادة.. لكني.. صدمت أحدهم بالسيارة و لا أعلم ماذا حدث له، فبقدر صدمتي أنا أسرعت بعيدًا عن المكان، تقريبًا قلت لكِ كل شيء، أعرفه عن نفسي."

"لا أفهم!"

"الآن، أنا أتقدم إليكِ بكامل قواي العقلية و أعطيكِ إحساسي الجارف كله و أطلب منكِ أن تكوني رفيقة عمري و حب عمري الحقيقي الذي لم يضيع و لن يضيع، أتوافقين؟"

"علام؟"

"ألم تسمعيني، مادلين، و قد صرحت بحبي لكِ؟"

""أنا أسمعك لأنك في محيط سمعي، لكني لا أركز معك!"

"أتوافقين على الإرتباط بي؟"

"هل معك ورقة و قلم؟"

"لِمَ؟"

"أحتاجهما قبل أن أتخذ أي قرار.."

"دقيقة واحدة و سيكونا معكِ.. إنتظريني!"

إنصرف جوريوس بسرعة مع دقات الساعة الثانية عشر و نزل السلم و أخذ يبحث عن ورقة و قلم في كل مكان و طال بحثه عنهما؛ لا أحد يستخدمهما في حفل ترفيهي.. و بالرغم من وجودهما مع ماثيو، لكن لم يلحظهما جوريوس.. و هو في طريقه في البحث، أوقفه أصدقائه و تحدثوا معه و لم يستطع التخلص من حديثهم بسهولة..

في هذه الأثناء، إقترب ماثيو من مادلين و قال لها: "كيف حالك، مادلين؟"

"بخير، أشكرك، و أنت؟ كيف حالك؟ و ما أخبارك؟"

"كل شيء بخير، لم أنسى جميلك علي!"

"أترى؟ كان لا بد من الإستغناء عنها، لن تفيدك في مسرحياتك بصياحها المستمر..."

تعجب ماثيو كيف عرفت مادلين، لكنه قال: "هي، أعتقد، تريد الإنفصال الرسمي! على كل حال، سعدت برؤيتك!"

في هذا الوقت، إنضمت نورا للحفل و أخذت تبحث عن ماثيو، سألت عنه النادل، قال لها إنه يقف على سطح مبنى الحفل، فأخذت نورا منه مشروب و خرجت من المبنى و نظرت لأعلى و رأت ماثيو و رأت مادلين معه.. فإقتربت من أحد الحاضرين و سألته: "من هذه الفتاة التي تقف هناك على سطح المبنى؟ تبدو فائقة الجمال، أظن إني أعرفها!" لكنه لم يعطها إجابة قائلًا: "عذرًا، لا أعرفها!".. سألت آخر، كان أحد معارف جوريوس الذين سلمت عليهم مادلين، رد عليها قائلًا: "إنها مادلين من آريْلا.."

علقت نورا و هي تحدق بمادلين و تشرب المشروب قائلة: "مادلين.. من آريْلا!"

لازال ماثيو واقفًا مع مادلين على سطح المبنى، إستكمل حديثه سائلًا: "من هذا الذي كنتِ تقفين معه؟"

ردت: "جوريوس؟ هو مذيع في الراديو، أظنه مدمن أو يكون مغيب العقل أحيانًا.. لكني لاحظت فيه أشياء كثيرة؛ هو من النوع الذي تدفع له كي يضحك.. (سارحة) هو يستغل كل شيء، أناني بالفطرة.. أنا لا أعرف لِمَ أنا أنتظر هنا، سأذهب إلى البيت.. هذا الحفل ممل و لا يوجد أحد معي، لا أعلم لِمَ جئت من الأساس.. (تنهدت) مع السلامة!"

تركت مادلين ماثيو و خرجت من الحفل بهدوء.

عاد جوريوس إلى السطح و معه ورقة و قلم، لكنه لم يجد مادلين.. قال جوريوس، لنفسه في حيرة: "أين ذهَبت؟". جلس جوريوس في ركن و أخذ يفكر لبعض الوقت ثم نزل من السطح و كأنه متجه لمكان ما عقد عليه العزم.. أما ماثيو فقد كان واقفًا مكانه وقتها و شاهد جوريوس بل و تتبعه.. قائلًا: "قد يكون هذا مساعد لي.. طالما هو مدمن و يحب المال، يمكنني التحكم فيه بسهولة.. هو المنقذ!"

سار ماثيو وراء جوريوس منتظرًا أن تأتي فرصة ليحدثه، أخذ يتبعه حتى وصل إلى محطة القطار، هناك عرف ماثيو إن جوريوس متجه إلى توير. ذهب ماثيو سريعًا ليمهد لخطوته تلك التي يخطط لها، وصل إلى مركز آيماس، وجد ورقة إشعار ملصقة على بابه، فقرأها و غيّر فيها: "إجتماع لساكني شارع آريْلا لمناقشة مشكلة مكان وقوف السيارات و إرتفاع الأسعار المعلنة مقابل انتظار السيارات، في بيت أستاذ هوري (غيَّره ماثيو لعنوان شقته القديمة)، يوم غد، الساعة السادسة مساءً."

ثم إتجه ماثيو إلى محطة القطارات و ركب القطار و إنتظر في محطة قطار توير..

قال ماثيو: "سأنتظر هنا ما تبقى من هذه الليلة، سأنتظره حتى الغد. سافر في عجالة و ليس معه حقائب سفر، حتمًا هي سفرية قصيرة طارئة. (مبتسمًا) مادلين، يالكِ من تلقائية!"

الفصل الثالث و العشرون:

عند بوابة فيلا عائلة آيماس، وقف جوريوس يتمعن النظر، إنتظر بواب الفيلا حتى رآه، قال له: "أنا قريب آيماس، أريد أن أتحدث مع أفراد العائلة.. أتيت من مدينة بعيدة و أنا متعب.. أتيت في أمر طاريء يهمهم جميعًا، فهلا سمحت لي أن أدخل؟ تركت هذا البيت منذ سنوات، أنت البواب الجديد، أنا لا أذكرك و لكنك ستذكرني حتمًا بعدها.."

رد عليه البواب: "و من أنت؟ ماذا أخبرهم؟"

قال جوريوس: "أنا أخو آيماس! سأنتظرك هنا، سيفرحوا بالخبر عندما تزفه لهم و قد يزيدوا أجرتك بسببه.."

"إنتظر هنا.."

دخل البواب لبضعة دقائق، ثم عاد لجوريوس و دعاه إلى الداخل..

دخل جوريوس باب بيت آيماس و تظاهر و كأنه عاد لنفسه، عاد للماضي، عاد لجذوره.. إقترب منه من كانوا في البيت وقتها: عم آيماس و خاله و زوجة خاله و إبنة عمه..

قالت إبنة عم آيماس: "هل أنت أخو آيماس الضائع منذ سنوات؟ هل أنت إبن عمي؟"

قال عم آيماس: "كيف عدت إلى هنا، يا بني؟ و ماذا حدث لك؟"

تجاهل جوريوس كل هذه الأسئلة و إنغمس في التفكير متأملًا مفروشات الفيلا ثم قال باشتياق و كأنه يستعيد أيامه في هذا البيت: "رائحة المكان، آه، و كأنني عدت أعوامًا للوراء..

كثيرًا ما تحدثنا أنا و أخي آيماس هنا، في هذا الركن، عنفني مرة و جرحت شعوره مرات، أتمنى أن اعتذر له و تعود أيامنا، كأننا ما إفترقنا عن بعض لسنوات، كأنه كان البارحة و صفت النفوس بعدها."

قالت زوجة خال آيماس: "أهلًا بك في بيتك!"

باقي الحاضرين كانوا يحدقون به..

إستكمل جوريوس حديثه، و كأنه منخرط في عالم الذكريات، قائلًا: "على طاولة الشاي هذه، آه، كيف لي أن أنساها؟ طلبت منه بعض المال و تمردت على أخي الكبير و خاصمني تسعة أيام طوال لم أذق فيهم الراحة، كنا أولى بهم.. و إفترقنا بعدها!"

نزلت خالة آيماس على السلم بعد أن أخبرها الخدم بوجود ضيف يدعي إنه أخو آيماس..

ما أن نزلت حتى إتجهت كل الأنظار إليها و إقتربوا كلهم منها..

قال عم آيماس: "بعد كل هذه السنوات، سنوات الغربة و العذاب، تفاجئنا الأقدار لينضم لنا في تجمعنا هذا أخو آيماس لنعوضه عما فاته و أخذته منه الأيام!"

قال خال آيماس: "أتصدقين هذا؟"

قالت إبنة عم آيماس: "فلنحتفل!"

قالت خالة آيماس: "آيماس لا أخ له!"

قالت زوجة خال آيماس: "كان ضائع منذ سنوات.. تقبليه بيننا فقد عاد، لا تقسي عليه هكذا!"

ردت خالة آيماس: "آيماس ليس لديه أخ، كانت له أخت! كانت بنت! بنت!"

علق عم آيماس: "بنت؟"

علق خال آيماس: "كيف؟"

صاحت خالة آيماس قائلة: "هذا نصاب، محتال، غشاش، (ركض جوريوس فورًا و خرج من الباب مسرعًا) لا تدعوه يهرب! إمسكوا به!"

سمع الخدم نداء سيدة البيت، فهبوا جميعًا و حاولوا الإمساك بجوريوس، لكنه كان قد قفز من سور حديقة الفيلا و إختفى.

قال خال آيماس: "ماذا يحدث؟"

قالت خالة آيماس: "و ماذا تعرفون أنتم؟"

قال عم آيماس: "لهذا نسألك!"

ردت خالة آيماس: "كنتم مسافرين طوال الوقت و منهمكين في حياتكم، أخذتكم دوامة الحياة إلى أن عدتم لحياتنا كعائلة بعد أن خفت وتيرة حياتكم."

قال عم آيماس: "لا داعي لهذا الكلام الآن، يبدو إنك تحملين الكثير من المعاتبة، فقط نريد أن نفهم: من كان هذا؟"

ردت خالة آيماس: "كان هذا لص محتال!"

علقت زوجة خال آيماس: "لكن كيف عرف بوجود أخ ضائع لآيماس؟"

ردت خالة آيماس: "أخته هي من ضاعت!"

رد عم آيماس: "و ما أدراكِ؟ قد يكون كان لدى آيماس أخ ضاع هو أيضًا و لم يُفتح الموضوع!"

ردت خالة آيماس: "لا تُفتح هذه المواضيع لحساسيتها و صعوبتها و فعلًا تكتمنا على خبر إختفاء نوريتا أخت آيماس. أنا أعرف أختي جيدًا و هي لم تخبيء عني شيء، ضاعت طفلتها و لم يكن لها إبنًا سوى آيماس.. لن يضيع إثنان في وقت واحد، على الأقل، أختي لم تكن بهذا الإهمال أو سوء الحظ."

علقت إبنة عم آيماس: "لكن، آه، كيف هذا؟ سأجن! كان واضح في عينيه الاشتياق، أيعقل أن تكذب العيون؟"

علقت زوجة خال آيماس: "لكن كان يتحدث بثقة و دفء! كيف عرف البيت؟ كيف عرف آيماس؟ و كيف عرف هذه الذكريات؟"

ردت خالة آيماس: "هذه هي الأسئلة التي تطلب أن تجاب!"

الفصل الرابع و العشرون:

في زحمة الطرقات، وقف جوريوس و كأنه وحيدًا في عالم مليء بالأغراب، و كأنهم كائنات غريبة يخاف منها، بعد عن كل الناس و وقف تحت شجرة و بكى و هو مقهور قائلًا: "ما هو جرمي؟ هل أذنبت؟ أبحث عن وجودي كإنسان، هل أخطأت؟ أليس هذا ما يجب على كل إنسان أن.. يعلمه؟ نشأت على هذه الأرض، عشت في هذه الحياة، بلا أي جذور أذكرها، الجذور التي ستثبتني في هذه الدنيا.. آه، عشت منذ أن ولدت بلا أي إنتماء لشخص أو لبيت..

عرفت إن السر في المظاهر التي ستشتري لي الجذور.. عرفت إن الحل في الثروة، لم أهنأ بها، رغم إنها البديل، لكني حتى لم أمسك بها ليومين.. عرفت إن الحل في العائلة و هو ما قد أشتريه بكنوز الدنيا كلها، طردت من كل بيت طرقت بابه و لم أهنأ بسلام يوم.. لِمَ تعاندني الدنيا هكذا و كأنها تمنع عني الراحة و السند و الأمان؟

مادلين! رفضتني، تركتني و قد رأيتها كل من لي في هذه الحياة، و لم تكتفي بكسر قلبي و خذلاني، لكنها كذبت علي بل غدرت بي و ضللتني. لن أسامحها، ورطتني فيما أخشى و تركتني ذليل ضعيف.. لن أنسى لها هذا! سأنتقم منها، سأنتقم منها بحق وجعي من هذه الحياة! سأفعلها.. فقد جعلتها الدنيا سبب شقائي الأخير الذي لا أظن إنه بهين أو ببسيط. سأعود و لن تفلتي مني، مادلين!"

ذهب جوريوس إلى محطة القطار و هو مكسور القلب خائف من كل شيء، أحس و كأنه ورقة طائرة لا مهبط لها و لا مصدر قامت منه و هي خفيفة يقذفها الهواء كما يشاء و يتلاعب بها و قد يغدر بها إن حمل في طياته ما قد يعصف بها و يمزقها لفتات...

وقف جوريوس في محطة القطار ينتظر إلى أن إقترب منه ماثيو الذي كان ينتظره منذ ساعات، وقف ماثيو بجواره بهدوء مستفسرًا: "ألا تعرف إن كان قد وصل قطار آلاي؟"

"لا، لم يصل بعد!"

"أستستقله أنت أيضًا؟"

رد جوريوس: "أظن ذلك!"

"أنا أمِّل سريعًا من الانتظار، فلنذهب لنحتسي أي مشروب.. إن فاتنا قطارنا، فسيأتي غيره.. كنت قادمًا و أنا أكاد أجزم إنه فاتني، ألا ترى؟ استمتاعنا بحريتنا أفضل من ألف انتظار."

"أنت محق!"

"إذن...."

قال جويريس، سارحًا: "فلنذهب!"

ذهبا معًا و خرجا إلى الشارع..

قال ماثيو: "آه، للمال بريق القوة، تشع من كل حرف نقش عليه، للمال سر."

قال جويريس: "رأيتك في الحفل!"

"كان حفل رائع، لكني (محاولًا أن يتذكر) لم أرك.. صدفة ضائعة ياليتها لم تضيع، و كأن لقاءنا هذا مقدر.."

"أشعر بذلك أيضًا (ملتفتًا له، بإهتمام)!"

"كنت أقول لك.. كل شيء.. كل شيء إن أحببته بَعِد عنك إلا المال."

"حقًا؟ هناك من يحب الحياة، لكنها دائمًا ما تبعد عنه.. و حينما، حينما كرهها، كرهته أكثر و بعدت عنه أكثر."

"المال، يا صديقي، المال هو عملة هذه الحياة التي تبعد عنك و الإحتياج إليه هو ما يكرهك في الحياة.."

"المال فقط؟"

"أجل، أجل! ما أن تواجه نقص المال حتى تفيض حياتك بالمشاكل بكل أنواعها. (و كأنه يحلل ما إستطاع أن يتلقاه منه) أرى مشكلتك في عينيك؛ مشكلتك إجتماعية، قد تكون مهنية، أو مشكلة كسر كرامة.. المال هو حل لكل هذه المشكلات.. و إن.. أنكرت وجود أي مشكلة في حياتك، فالمال يقضي على الملل و يأتي لك بما يمكنه أن يمتعك و ينسيك أي غصة أو رفض أو فراق."

قال جوريوس، متردد: "لكن...."

رد عليه ماثيو، بثقة و نبرة وعظ: "صدقني، المال، هو المال وحده و لا لكن فيه و لا شك و لا تردد أيًا كان! و الإحتياج للمال صداع مزمن في الرأس، لا يكل و لا يمل، لكنه يحتاج لمجهود كبير. يجب أن تأتي به حالما تجده، لا تتردد لحظة، إذهب في إتجاهه. و قد وجدته، و أطلب منك أن تذهب معي، أستساعدني لنأتي به؟ و سنتشارك الغنيمة سويًا، فقط إن قمت بالمهمة كما يجب."

"(وضع يده على فمه و وجنتيه و حركها ببطء) مهمة؟ مثل ماذا؟"

"ستشاركني مخططتي، لقد جهزت كل شيء، ستكون كالقصة الترفيهية التي ستستمتع بها.. ها، ما جوابك؟"

"ماذا سنفعل؟"

"سنستقل القطار.."

"ثم؟"

"إتبعني و ستعيشها خطوة بخطوة.. لا إثارة بدون مفاجأة.."

الفصل الخامس و العشرون:

خطوة بخطوة، مشى ماثيو و ورائه جوريوس، وقفا خلف شجرة إلى أن قاربت الساعة السادسة و النصف، أشار ماثيو لجوريوس بيده أن يتبعه فقد وصل الهدف..

سارا للأمام معًا و دخلا مدخل عقار، وجدا فيه رجلًا و كأنه يبحث عن شيء أو منتظر شيء، لكنه لم يلتفت للوراء قط.. هنا أظهر ماثيو عصا خشبية كان مخبئها في بدلته و ضرب بها هذا الرجل إلى أن فقد وعيه، سنده ماثيو، ثم شاور لجوريوس أن يأتي بالغطاء الموضوع بجوار غرفة بواب العقار و يغطي هذا الرجل به سريعًا و يصعدا به السلم لأول دور، حيث توجد شقة ماثيو القديمة..

نظر جوريوس له بتوجس و ريبة و إستغراب و تردد، لكنه إمتثل في النهاية لأوامر ماثيو و تم له ما أراد إلى أن وصلا البيت و جوريوس يحمل الرجل و الذي لم يرى وجهه إلى هذه اللحظة.. فتح ماثيو الباب و قال لجوريوس: "ضعه هنا!" مشاورًا له على كرسي في غرفة المعيشة. وضعه جوريوس على الكرسي و أخذ ينظر له..

ما أن إنتهى ماثيو من فتح مفاتيح الكهرباء، أزال الغطاء من على الرجل المخطوف..

إنزعج جوريوس لحظة إظهار هوية المخطوف، لحظة رؤية آيماس في نفس المكان الذي هو فيه و خصوصًا بعد ما حدث في بيت عائلته.. إرتعش جوريوس بعض الشيء، لكنه تمالك نفسه و فضل الإبتعاد نسبيًا و هو يعرف، بتقديره الشخصي، إن الخبر لم يصل آيماس بعد، فجلس ليستريح..

بدأ ماثيو في ربط آيماس بالكرسي بلف الحبل حوله بقوة و إحكام، ثم نظر ماثيو إلى جوريوس قائلًا: "ألن تساعدني؟"

نهض جوريوس و ساعد ماثيو في لف الحبل حول آيماس.. و ما أن إنتهيا من ذلك حتى سأل جوريوس ماثيو: "متى سيفيق؟"

رد ماثيو: "لا أعرف! و كيف لي أن أعرف! سيفيق في أي وقت.. إفتح التلفاز و إرفع الصوت عاليًا حتى لا يسمع الجيران حديثنا و ما يحدث هنا."

ذهب جوريوس للغرفة المجاورة، فتح الباب، فتح التلفاز و رفع درجات الصوت..

فاق آيماس أخيرًا، و أول ما رآه هو ماثيو جالسًا أمامه و يظهر عليه الملل و الإمتعاض.

قال آيماس: "من أنتم؟ أين أنا؟ لِمَ أنا هنا؟ ماذا تريدون مني؟ (لنفسه) ما كل هذه الاسئلة! (لهما) بإختصار.. ماذا تريدون مني؟"

رد ماثيو: "و ماذا بيننا لنريده منك؟"

قال آيماس: "إسأل نفسك!"

حدثت هزة أرضية كانت قد ستسفر عن سقوط طقم فناجين مهم لدى ماثيو، فركض ماثيو سريعًا ليلحقه حتى لا يقع..

قال آيماس، مفكرًا: "إذن أنا مخطوف، يبدو لي الأمر كذلك! ماذا ستقول عائلتي عني إن عرفوا إني مخطوف؟ إني لي قيمة؟ هم بالطبع يعرفون ذلك.. إني مهم؟ أنا غني عن التعريف.. إني ظلمت أحدهم؟ هذا ليس من طباعي و لن يصدقوه أبدًا! لدي مال؟ ستكون نقطة سوداء في حياتي، فقد صادروا أموالنا، من أين أتيت به؟ لم يعد شرف لنا أن نكتنز المال أو نجمعه.. أنا أرفض دافعكم هذا و أشجبه.."

قال ماثيو: "لا يهمني كل هذه الترهات! أريد حقي في مطعمك! أريد مالي! إستثمرته في إحدى فروع مطعمك و لم آخذ حقي من الأرباح كما كان مكتوب في الإتفاق. كما إني أكلت عندك في مطعمك مرة، أصيبت بتسمم لعدم تعقيمك لأدوات المائدة، كنت سأبلغ الشرطة، و كنت على وشك أن تتعرض لخسارة فادحة، لكني أنا المتضرر، كان هذا سيضيع حقي في مطعمك، فتنازلت. أنا أريد حقي الآن.. أين الخزينة؟ أين المفتاح؟ ما هو رقمها؟"

قال آيماس: "أي مطعم تتحدث عنه؟ أنا لا أملك أي مطعم!"

قال جوريوس: "أنت لم تقل له أي مطعم!"

قال آيماس: "لا، لم يقل لي أي مطعم.. إسمع، إن كنت تقصد هذا المطعم الذي أرتاده و أتناول فيه الغداء أحيانًا، فيمكنني أن أعرفك أين يضعوا خزينتهم، فقد لمحتها بالصدفة، لكن رقمها.. لِمَ سيطلعوني على رقمها دونًا عن الناس كلها؟ كما أن الناس تحدثني بلغة الحروف، لا بلغة الأرقام."

رد ماثيو: "هذا تمويه، أتسخر من عقولنا؟"

قال آيماس: "السخرية من الحجر تأتي فقط من حجر مثله.. أفراد عائلتي مميزون؛ دائمًا يثيرون الخطف و كأنه واجب على كل منا أن يؤديه عندما يحين دوره و يستدعى له.. لكن أنتما تثيران الإشمئزاز! لكني أعتب عليكما، لِمَ لم تأتيان لي لأعالجكما؟ الجريمة أصلها خلل نفسي نابع من خلل أخلاقي و قصور ضميري.."

قال ماثيو، بإصرار و غضب: "أين الخزينة و المفتاح؟ ما هو رقمها؟"

رد آيماس، و كأنه يؤكد صحة نظريته: "المال و الكرامة هما دافع كل جريمة.."

قال ماثيو: "حتى لا نرتكبها و تكون أنت، يا فيلسوف العصر، الضحية، قل! إنطق!"

رد آيماس: "(بثقة) سأبلغ الشرطة حينما أستطيع الهروب منكما.. سيتسبب هذا في أذيتكما على المدى البعيد، ستندمان أشد الندم! ليس لأنك الخاطف تعتبر نفسك الأقوى، بلى، البطل هو دائمًا من كان الضحية.."

تجاهله ماثيو و دخل المطبخ، دخل ورائه جوريوس قائلًا: "ألم تنتهي المسرحية؟ هل إتفقت معه على كل هذا؟"

قال ماثيو: "أي مسرحية؟ أنا أطالب بحقي! ألا تريد المال؟"

"أريد المال! متى ستعطيني إياه؟"

"حينما ننتهي منه!"

"هو صديقك و لا يعرف شيئًا، فلتنهي المسرحية عند هذا الحد.. زاد اللهو عن حده!"

"أي لهو تتحدث عنه؟"

"لا يهمني كل هذا، أريد المال!"

"علام سأعطيك المال؟ أنت لم تنفذ أي شيء سوى المساعدة في الضربة الأولى للإيقاع به فقط.. ثم تملكك الضعف و الجبن و لا أدري لِمَ.. كيف تتجرأ و تسأل عن المال، هل تستحقه؟ اعمل من اجله!"

شعر جوريوس إن ماثيو سيخلف وعده معه و إنه لن يأخذ منه شيء مهما فعل..

بدأ جوريوس يبحث عن محفظة ماثيو ليأخذ منها المال و يخرج من هذا البيت، وجدها أخيرًا على الطاولة في غرفة السفرة، التي تعتبر مكملة لغرفة المعيشة حسب تقسيم بيت ماثيو. فتح جوريوس المحفظة، لكنه لم يجد فيها أي مال، وجد بطاقة ماثيو الشخصية، هنا تذكر كلام مادلين عن الكنز الذي يخبئه ماثيو في بيته، و رجح إن الكنز لن يكون في هذا البيت لإنه لن يسمح لغريب أن يدخله إن كان يخبيء فيه شيء، و ليس أي شيء بل كنز.. حفظ جوريوس العنوان و وضع كل شيء مكانه، ثم عاد و جلس في صمت في غرفة المعيشة..

قال آيماس لجوريوس الذي كان يجلس معظم الوقت بجوار النافذة ينظر منها و يبدو عليه التوتر: "هل أنهيت دراستك؟ أنت كأخي الصغير، (إرتعش جوريوس لهذه الكلمة و لاحظ آيماس هذا) لا تضيع مستقبلك في الإجرام، سِكَّته غير مضمونة و غير محمودة العواقب."

عاد ماثيو و جلس أمام آيماس..

قال آيماس: "و بم كنتم تحلمون؟ بالحقل الماسي أم بصحراء الزهور؟ أم بقطار المفاجآت؟ بالبساط السحري الغير معهود؟"

قال ماثيو: "(لآيماس) يكفي هذا، يكفي هذا! (لجوريوس) اضربه! لن أتحمل صداع كهذا.. فليريحنا حتى يقرر أن ينطق.. أو.."

قام ماثيو و وقف بعيدًا عن آيماس في ركن و معه جوريوس و قال له: "أقل لك.. إضربه و إذهب بصورته و هو مضروب و ينزف لأهله، إستعطفهم و كأنك كنت مخطوف معه و إستطعت أن تهرب بأعجوبة من العصابة، إشعرهم بخطورة الموقف و سوء الوضع، ثم عرفهم كيف يتصرفون؛ يدفعون فدية لتحريره و إنقاذه.. و إضغط عليهم حتى يرضخون و ينفذون."

إرتعب جوريوس مما سمع، من الفكرة نفسها أن يذهب مرة أخرى لمن هرب منهم ثم إرتعب من عنفها و قال، و هو مهزوز: "و لِمَ لا تذهب أنت؟"

"سأمكث معه!"

"سأمكث أنا معه.."

"أنت لا مركز لك، أنت لا حياة لك!"

عادا إلى غرفة المعيشة و عم الصمت الحذر، كل منهما يخاف أن تظهر أوراقه، فيُسأل، فتحرق..

علق آيماس: "أرى تصادم الأيديولوچيات، تنافسهم في القسوة، إعتبار الأخرى أكثر دناءة، و لا يعلمان لِمَ إجتمعا هنا، و كأنهما أخطآ تصويب الهدف، أرى مباراة تحالفية، أرى إنجاز لي في الأفق، أرى إبهار.."

لم ينتظر ماثيو أكثر من هذا، أتى بعصا خشبية و ضرب بها آيماس على رأسه، ففقد آيماس وعيه... نظر جوريوس لآيماس، ثم نظر لماثيو في حيرة قائلًا: "أستتركه هكذا؟ ما هذه القسوة؟ ماذا فعل لك؟ هل هذا لأنه وافقك و سايرك؟ هل تعاقبه بطريقة غير مباشرة؟ هذا ظلم!"

"(بإنفعال) و ماذا تعرف أنت عن الظلم، أيها المدمن؟"

"مدمن؟"

"و سأمنع عنك المال و المخدر إن لم تساعدني و تجبره أن يتكلم.."

هنا إرتفع صوت التلفاز مظهرًا صورة جوريوس على شاشته و التي إلتقطتها كاميرات المراقبة في فيلا عائلة آيماس معلنًا إن جوريوس مطلوب للعدالة و إن من يجده سيحظى بمبلغ كبير مكافأة له..

نظر ماثيو لجوريوس لبعض الوقت، فهم جوريوس ماهية النظرة و طبقها على حب و حماس ماثيو للمال الذي كان يُحدِّث جوريوس عنه ليقنعه أن يأتي معه.. فإندفع جوريوس خارجًا من البيت بعنف هاربًا من أطماع ماثيو و من هذا المأزق الذي وضع فيه، أخذ يركض و يركض دون أن يفكر حتى بعد عن بيت ماثيو بعدة مترات، بدأ يفكر بعدها عما حدث و عما سيفعل، قال جوريوس لنفسه، و هو يلهث: "لن يضيع حقي منه.. لقد وعدني بالمال و سآخذه منه رغمًا عنه.. لديه كنز، سيكون لي! بخل علي ببعض المال و يريد أن يورطني في جريمة لأهوائه، سأسلبه ما يملكه و يفتخر به، و سيأتي لي و لن أعطيه من ماله، حتى لو البعض القليل.."

الفصل السادس و العشرون:

في سكوت تام، جلست مادلين في غرفتها سارحة، ثم إنهمرت من عينيها الدموع، لم تتكلم، لم تتحرك، لم تفعل شيئًا، و لا تدري لِمَ.. فقط تواردت على مخيلتها مشاهد من الماضي فرضت نفسها عليها بقوة و كأن هذه المشاهد أرادت أن تتحرر من كبتها في مخيلة مادلين و قد أتاها الوقت لتبدأ في العرض و يكون لها السلطة، و لم تملك مادلين سوى أن تعيد مشاهدتها فقد فشلت مقاومتها و لم يبق لها سوى أن تعيشهم مرة أخرى.. تعيش مرارة أكثر مشاهد خذلتها في حياتها.. ذكريات متفرقة.. و لكنها ليست الأكثر قسوة!

و بدأ العرض..

المشهد الاول:

مادلين مع صديق أخيها كارل، تورجوت، خطيبها وقتها.. المكان: في الشركة التي كان يعمل بها تورجوت مؤقتًا.. الوقت: بعد وفاة كارل..

قالت مادلين: "هل أنت مشغول؟ أيمكنني أن أتحدث معك؟"

رد تورجوت: "ماذا تريدين؟"

"لا أعرف، لكني لا أريد أن أمكث وحدي!"

"ماذا يمكنني أن أفعل لكِ؟"

"أيمكنني المكوث معك هنا لبعض الوقت؟ ليس كل الوقت، ياليت كل الوقت!"

"و ماذا بعد؟ وجودِك غير مستحب؛ هنا مكان عمل (بسخرية) و ينقصه الطابع الفندقي."

"لا أريد شيئًا، لِمَ تقسو علي هكذا؟"

"سنبدأ النقد! أنا لا أستمتع بسماع النقد و لست مجبرًا أن أتلقاه، هكذا أنا، بشخصيتي و معاملتي، إن أعجبك."

"فلنخرج معًا الآن!"

"هل جننتِ؟"

"لِمَ؟"

"أنا لا أعرف هل أنتِ ساذجة إلى هذا الحد أم هو قناع اللؤم أم نهج اللامبالاة؟"

"لِمَ كل هذا؟"

"ألا تدرين بما يقوله الناس؟ لن تطاردني اللعنة في حياتي اللامعة، لعنة أخوكِ تلك!"

"تقصد ذكراه، أية لعنة هذه؟"

"ألم تسمعي يومًا عن رهاناته؟"

"أعرف كانت مجرد رهانات، لعبة سخيفة! سأصلح كل هذا!"

"كيف؟"

"ما يستدعيه هذا الإصلاح.. بالمال!"

"لا مال لديكِ، و إن علمت به الشرطة ستفقدينه قبل أن تضعي يدك عليه.. كما أن خطاياه لا تغتفر و لا تمحى بمال! إسألي مهندس الحاسب الآلي الذي يقطن عمارتكم!"

"و ماذا لديه ليقول؟"

"أخوكِ هذا تراهن على مزادات خارج الدولة من خلال موقع على شبكة الإنترنت، راهن مع الجمهور على من سيرسي عليه المزاد.. هذا المهندس عرفه الموقع، و كانت هذه البداية..

حتى مهندس الكمبيوتر، تراهن معه ما إن كان هذا العميل سيشتري هذا الحاسب الآلي أم ذاك و متى سيعطل الجهاز مجددًا، تراهنا على ساعات اليد، على أحذية، تراهنا على أشياء.. بسيطة. كان هذا المهندس الموقر المحترم يبدل قطع الغيار الأصلية لأجهزة الحاسب الآلي الحديثة لتكون صالحة للرهانات و تعطل بعد وقت حددوه في الرهانات بينهما.

أرى إنكِ تريدين أن تسمعي المزيد! راهن أخاكِ على زوجة أحدهم إنها ستتركه، قلل من إحترامها له بتشويه سمعته أمامها و كرهها فيه، و تم له ما أراد و فرق بينهما و عاش الزوج مكسور القلب و مظلوم و لازال يتسآل عن سبب الهجر و قد خسر كل أعماله لأنه لم يستطع إعطاء عمله أي إنتباه يذكر.

راهن على حياة إنسان مريض و غوى الممرض بالمال، فقتل الممرض المريض دون أن يؤمر من أخاكِ، فعل هذا بفضل معزة المال..

راهن.. "

"إصمت!!"

"راهن صاحب بيت سابقًا أن يكون هذا البيت، الذي كان يملكه يومًا، ملكًا له هو الآن. سرق بطاقة ائتمان الرجل المقيم في البيت حاليًا و سحب كل أمواله و لم تجد الأسرة سبيل إلى الحياة سوى ببيع البيت لعله يأتي ببعض المال و بذلك نصبوا المآزق لأنفسهم، لا حل سوى بيع البيت مكان مأواهم بشكل عاجل بأي سعر. قابله أخاكِ ذات يوم و ساومه على بطاقة الإئتمان الخاصة به مقابل التنازل عن البيت، و أعاد له البطاقة و قيمتها و لم يدفع مليم في شراء هذا البيت، رد ما سرق بسرقة ما هو أكبر، نصب محكم بلا جرم بين. لم يكن لهم بيت آخر يعيشون فيه، كانوا أطفال و أم مريضة، شُرِّدوا كلهم بفضل أخيك، ما ضاع منهم كان أقل بكثير مما راح. أرأيتي ماذا فعل أخيكِ؟ أيمكنك أن تعوضي أيًا منهم بالمال؟"

"أنت كاذب! كاذب! كلام فارغ! أنت تعكس بشاعتك على صورة أخي و هو ليس معنا ليدافع عن نفسه."

"أنا أقول الحقيقة! أتعتقدين بعد كل هذا إني لازلت أريد أن أبقى معكِ؟"

"أتنقض عهدك معي؟"

"أنا أنقذ نفسي و أحررك.. لإختيار مصيرك!"

"أي مصير تتحدث عنه؟ أنت تتخلى عني.."

"الحقيقة، لتستريحي و تريحيني و تبعدي سيل الإتهامات هذا عني، إن أخوكِ إستغل حاجتي و منعها عني و ربطها بإرتباطي بكِ، رأفة بكِ أو شفقة، لا أدري أيهما بالضبط عنى بطلبه هذا."

ردت مادلين، مصدومة: "ماذا؟"

"و أحبتيني، أتري؟ لم يكن هذا بيدي! و أنا غير راغب فيما لم أسعى له."

"ما هذا الذي تقوله؟ ألم ترسل لي خطاب؟ ألم..؟ كانت خدعة؟ لكن.. أتظن إني أردتك يوم؟ لِمَ فعل أخي هذا بي؟ هل هنت عليه لهذه الدرجة؟ رأفة بي؟ بل عطف عليك! و أنا.. أنا كنت أمضي الأيام عدًا لرجوعك، لتصدمني و أصدم أنا فيك.."

"أنا لا..."

"أنا لا أريد أن أسمعك، إكتفيت من قبح كلامك.. ما أنت سوى كاذب تكره أخي و تكرهني و أنا أكرهك أكثر من كرهك هذا.. كاذب! كاذب!"

المشهد الثاني:

مادلين تتحدث مع أخيها، كارل، في بيتهما..

قالت مادلين: "أي مال تجنيه دون أن تتعب في كسبه، لا حق لك فيه، و الحق يأتي بما يحق لك أن تفعله، ما ينفع و لا يضر."

رد كارل: "أنا من يُضر! أنا من يخسر، مادلين، أنا أخسر!"

"إذن توقف عن هذا! الرب يريدك أن تعدل عن هذا الطريق! سنغرق في الديون، أنا لا أملك أي مال."

"هذا هو التحدي!"

"سأقدم لك ألف تحدي، فقط إبتعد عنه! هذا إدمان!"

"أعلم!"

"صده! لا تمكنه منك!"

"لا أستطيع! لن يشمتوا في! و لا شيء يثيرني في هذه الحياة غيره، مادلين!"

"لا تقل هذا! المغامرة موجودة بأجمل صورها، لِمَ تختار أبشعها؟"

"أبشعها هو من إختارني!"

"إرفضه! أرجوك، كارل، لا يمكنني أن أراك هكذا! فقط ابقى معي، سأريك جمال الدنيا و إن كان يجذبك أبشعها، فاتركني أنا أختار لك أبشع ما فيها. ضرره سيهلكنا، يا أخي! راهن معي أنا، لا تدخل بيننا الغرباء.. سنضيع، كارل، سنضيع!"

المشهد الثالث:

كارل يتحدث مع مادلين في بيتهم قبل وفاته بمدة قصيرة..

قال كارل: "عندي لكِ أخبار جديدة سارة لي و ستكون سارة لكِ، أنا متأكد من هذا!"

ردت مادلين: "ما هي هذه الأخبار، كارل؟"

"صديقي المقرب، أنتِ تعرفينه، تورجوت!"

"من تورجوت هذا؟"

"ستتذكرينه فيما بعد!"

"و ماذا بشأنه؟ نجح؟ ترقى؟ لِمَ ستسرني أخباره؟"

"أحبك من النظرة الأولى و هو.. و هو يقول فيكِ أشعار كلما خاضنا حديث إلى سيرتك."

"أحبني؟ و كيف عرفت؟ أنا لا..."

"ظاهر.. ظاهر حبه لكِ في عينيه، هو متيم بكِ.. هذا خطاب منه لكِ (أعطاها خطاب) و بداخله صورة لتورجوت، لعلك تتذكرينه."

فتحت مادلين الظرف و نظرت إلى صورته، لكنها لم تتذكره، قالت: "كيف أحبني هذا؟ أنا لم أره من قبل! أنا متأكدة!"

"العين لا يمكنها أن ترى كل شيء، هناك بعض الخبايا في أركان و منعطفات الحياة و ها هي و قد ظهرت الآن.. تورجوت يريد أن يرتبط بكِ، خذي وقتك و فكري و قولي لي قرارك.."

"من هو؟ ماذا قال عني؟"

"هو أقرب صديق لي، أنا أثق فيه.. و هو إبن رجل ثري، لن يتعبك أبدًا و لن تقوى عليكِ الحياة طالما أنتِ مدعومة بقوة المال.. سيحميكِ المال، مادلين.. و هو.. هو يحبك حبًا جمًا.."

"و ماذا أيضًا؟"

"هممممم، هو متيم بكِ.."

"و ماذا أيضًا؟"

"إن كانت لديه هواية، فأنتِ ملهمته.. حبك بداخله لا يضاهيه شيء."

قالت مادلين، و هي مبتسمة: "و ماذا أيضًا؟"

"أتته الجرأة ليطلب من أقرب صديق له مثل هذا الطلب الشخصي الخاص.. و كأنه.. و كأنه قد يضحي بكل شيء في سبيل لحظة معكِ.. أيوجد مثل هذا الحب؟ إقرأي كلماته؛ هي تتحدث عنه و عن حاله أفضل مما يمكنني أن أحكي أو أصف.."

لم تستطع مادلين إستعراض المزيد أو تحليل هذه المشاهد، أرادت أن تهرب أو على الأقل أن تأخذ هدنة من هذه الذكريات التي طغت عليها و أحكمت سيطرتها عليها و كأن كل ما كانت تفعل من أساليب تحميها منها قد باءت بالفشل. لم تفكر مادلين، لم تريد هذا و لم تقوى عليه.. قررت أن تخرج.. تخرج لتشتري أي شيء، ربما! أو تخرج لتتناول العشاء في أي مطعم.. تخرج لتشاهد أي فيلم في السينما، تخرج لتذهب إلى صالة ألعاب رياضية.. أي شيء إلا الخروج و التنزه في وجدانها.. إلا هذا المكان مهما كان، لا للوجع الذي يمكّنه الإستسلام!

الفصل السابع و العشرون:

خرجت مادلين من البيت مسرعة متجهة إلى صالة الألعاب الرياضية آملة أن تكون لازالت تستقبل الرواد.. وصلت مادلين إلى صالة الألعاب الرياضية، و بالفعل، كان يوم غير معتاد هناك مدوا فيه ساعات العمل و تناسب هذا مع مادلين..

لم تترك مادلين جهاز رياضي في صالة الألعاب إلا و جربته و رفعت قوته و سرعته إلى أقصى درجة و كأنها بذلك تبذل مجهودها فيما قد ينسيها و تشغله بعيدًا عن أي أفكار أو طاقات سلبية.. فكلما خطر على بالها ما يؤلمها، ركزت أكثر على مجهودها و تأملت آلية عمل الآلة.. إستمرت هكذا إلى أن شعرت بإجهاد كبير، فلم يكن لها سوى أن إلتقطت حقيبتها و سُترتها و هي في أشد الحاجة إلى أن تنام، فقط أن تنام..

في طريق عودتها إلى البيت، إستوقف مادلين مشهد شجار رجل مع، كما بدا لها، زوجته، و كأنه هو وحده طرفي الشجار في آن واحد. ظلت مادلين تنظر إليهما حتى قام الرجل بضرب السيدة، هرعت مادلين عليها لتنقذها، و وقفت بينهما..

قالت مادلين، بغضب: "(للرجل، في وجهه) كيف تتطاول على سيدة، أيها الحقير؟ (للسيدة) هل أنتِ بخير؟"

بدأت السيدة تبكي و جهشت بالبكاء..

رد عليها الرجل: "لا تتدخلي في خصوصيتنا و إهتمي بحالك أنتِ!"

ردت مادلين: "لن أتركها! مهما كان السبب، لا حق لك أن ترفع يدك على سيدة مهما حدث، حتى و إن تسببت في خسارتك لكل ما لديك، حتى و إن تسببت في مقتلك.. حاول أن تكون رجلًا نبيلًا! فعلًا، مدينتنا أصبحت تأوي الحيوانات المتوحشة المطرودة من الغابات."

قال لها، بغضب بالغ: "كيف تتجرأي؟"

قالت مادلين: "(للرجل) إن لم تعرف من أنت، فمن واجبي الوقوف بجوارك، أي أمامك، و إخبارك! (للسيدة، و هي تساعدها تجلس على أقرب مقعد لها) أنا أشعر بكِ، مررت بمثل هذا الموقف يومًا و تعلمت الكثير ليوم كهذا، سأحميكِ منه، لا تخافي!"

قالت السيدة و هي تغالب دموعها: "أنتِ؟ كيف؟"

ردت مادلين: "بكل ما لدي! فأنا ما عدت أخشى وجود شيء معي و لا حتى فقدانه.."

شد الرجل يد السيدة بعنف قائلًا: "قومي معي!"

واجهته مادلين و هي تشد يد السيدة التي يمسك بها قائلة: "أعرف إنك ستتركها بكسر يدها و سأبلغ عنك الشرطة في الحال و موقفي أقوى بوجود إثبات حاله وفرته أنت لي ببساطة.. ففي كل الأحوال، لن تذهب معك!"

قال الرجل: "بأي حق؟"

ردت مادلين، وجهًا لوجه: "بقوانين هذا الشارع الذي قمت أنت بخرق قوانينه بهمجيتك، و بهذا أعطتني الحق، كل الحق!"

و ما أن رفع الرجل يده ليصفع مادلين، في لحظة، تبدلت الوجوه و المواجهات و أصبح أمامه وجه التحدي البارد بعد الوجه الغاضب الثائر.. كما دخلت مادلين بين الرجل و السيدة، دخل تايبريو بين مادلين و الرجل و في فمه سيجارة رفيعة جدًا، أخذ يوجه الدخان لخارجها في وجه الرجل ببرود..

نظر تايبريو إلى هذا الرجل بنظرات بها تحدي و لامبالاة و سرح فيه لبعض الوقت و الرجل لازال واقفًا أمامه مستشيط غضبًا لكنه حائر مذهول مما أوقف نشاط غضبه عن الثوران.

لم يقوى الرجل على تحمل الأدخنة و لا كبت جماح غضبه و لا الدوران في متاهات حيرته، أخذ ينظر لهم جميعًا، لكن لم ينطق أحد بكلمة، فإنسحب و أخذ يركل الصخر الذي أمامه و هو ينظر للسيدة التي كانت معه و مادلين بتوعد و عنف إلى أن إختفى..

إستدارت مادلين إلى السيدة و قالت لها، في تعجب: "تتزوجين بلطجي؟ ماذا أعجبك فيه؟ وقاحته أم بجاحته؟ أعرف إن هذا ليس بالوقت المناسب لتأنيب الضمير و الإستفسار عن العجائب... إسمعي، لا تعودي للبيت أبدًا، إذهبي الآن بالقطار إلى أي قريب لكِ في مكان آخر بعيدًا عن هنا، و تنقلي بين مراكز الأمن في طريقك.."

"أشكرك جزيل الشكر! فليحميكِ الرب من كل شر!"

"فليحميكِ الرب أنتِ أيضًا!"

ذهبت السيدة في طريقها إلى محطة القطارات و هي تتلفت حولها و تضع وشاح على رأسها كتنكر منها لتحمي نفسها بكل ما لديها من مكر..

و ما أن إختفت السيدة عن الأنظار حتى إلتفت تايبريو إلى مادلين قائلًا: "أتعرفيهما؟ هل هما أقربائك؟"

ردت مادلين: "لا!"

"لا؟ تعرضين نفسك للخطر و كدت تعرضينني أنا أيضًا للخطر و تقولي لا؟ ما دخلك بهما؟"

"و ما دخلك أنت بي؟ و من أنت؟ و لِمَ تسأل؟"

"من أنا؟ ألا تتذكرينني؟ أتيتِ لي بالأيس كريم في هذا اليوم الذي أوقعتِ فيه الكرة على يدي.. كنت قد نسيت أن أشكرك.. ثم تصادف وجودي في هذه الأنحاء اليوم، و رأيتك و رأيت ما حدث. نصيحة مني: لا تبرشتي على الناس هكذا..."

قاطعته مادلين، مفكرة: "لا تبرشتي؟ أنا ماذا؟ أبرشت؟ من فعل يبرشت، على وزن يفعلل، تأتي من برشتة، براشت، برشيت.. (متعجبة ببراءة) أتوجد هذه الكلمة في المعجم اللغوي؟"

"أقصد لا تكوني كالباراشوت في لحظات الناس الخاصة.."

"بأي لغة تحدثني؟ ماذا لو لم أكن أعرف معنى كلمة باراشوت؟ ماذا لو لم أكن ملمة باللغة الإنجليزية و بهذا الإختراع؟ أتهزأ بي؟ إسمه البالون الذي يحلق في الهواء و هو مجهز بمكان لوقوف الناس، يصطحبهم البالون في جولاته بقرب السحاب."

"أقول كل هذا حينما أستطيع أن أدمجهم جميعًا في كلمة واحدة؟"

"كلمة غير مفهومة، ما فائدتها إذن؟"

"على العموم، جئت لأشكرك، لا لأعتذر!"

"لا يهمني وجودك كما لا يهمني اعتذارك!"

"أتعرفين ما كان يمكن أن يحدث لو لم أنقذك؟ أنتِ لا تعي خطورة الموقف، الآن أنتِ من يجب عليه أن يشكرني.."

"إن لم تكن قد فعلت هذا، فسيؤنبك ضميرك كلما تحدثت معه، حتى و إن لم تكن معترف بخطأك! ثم ما هذا؟ ما هذه السيجارة؟ أنت لا تدخن، هذا واضح، أتلعب بالدخان لتتسلى؟ إن كنت تريد أن تلعب فليكن دخان ذو ألوان، أنت تضحكني حتى دون أن تفعل شيئًا.."

"إذهبي إلى بيتك، فوالداكِ حتمًا قلقان عليكِ!"

"لا أحد ينتظرني في البيت، لن يقلق أحد.."

"أين والداك؟ لِمَ تركاكِ هكذا؟"

"أنا لا أعلم! أتعلم؟ إشتقت لهما، (تعاطف معها) أنا أمزح، أنا لا أشتاق لأحد، مجرد إحساس عابر غير مدعوم بأي ذكرى. (تأثر تايبريو أكثر بكلامها)"

"أين تسكنين؟"

"في هذا الشارع!"

"لِمَ لا تريدي أن تذهبي للبيت؟"

"هذا الأمر بإرادتي، ليس بيدي.. إن كان بيدي، لكان بغير إرادتي!"

"أنا لا أفهم! هل الأمر له علاقة بالإرادة؟ هل يمنعك أحد من الدخول لبيتك؟"

"فكر فيما أقول جيدًا ستفهم، لكن لا تسألني عن السبب.. لن أذهب إلى البيت، و لن تجبرني، إذهب أنت إلى بيتك!"

"سأذهب حتمًا ما أن أجده.."

قالت مادلين، في تعاطف: "فقدت بيتك؟ إحكي لي!"

"ألا تريدينني أن أذهب؟"

"أستحاسبني على رغباتي؟"

"سأحققها لكِ!"

"تغيرت رغبتي و أريدك أن تبقى، لكن مللت منك و أريد أن أذهب إلى البيت.."

"سأوصلك!"

"قلت لك مللت منك!"

"لكني جائع و في طريقك طريقي!"

"تافه!"

"أشكرك!"

بعد دقائق صمت، قال تايبريو: "بِمَ أناديكِ إن رأيتك مجددًا؟"

"و لِمَ سنلتقي مجددًا؟"

"قلت لكِ طريقك طريقي، قد نلتقي مرة ثالثة و لا يمكن بعد لقاءنا الثاني هذا ألا أعرف إسمك، ماذا سيقولون عني؟ يبدو إن المدينة لم يعد بها غيرك.."

"الثاني؟"

"ألا تذكرينني هكذا؟ لا بد إنك تقابلين الكثير كل يوم، لكن يقولون إن من دفع مال في شيء لا ينساه أبدًا، و أتيت لكِ بما أتيتني به وقتها، لكنك كنتِ قد تركتِ المكان.."

"إسمح لي أن أترك المكان مرة ثانية!"

"ما إسمك؟"

قالت مادلين بعد أن ملت: "مادلين!"

"و أنا تايبريو!"

سارا معًا إلى أن وصلا بيت مادلين، وقفت مادلين تفتح الباب و خلفها تايبريو. لاحظ تايبريو تحديق ماكسيم بمادلين في حنق و حزن دفين.. قال تايبريو لمادلين: "إنظري، مادلين! لِمَ ينظر لكِ هذا الشخص بحزن و عتاب؟"

و كأن لم يكن هناك شد و جذب في الحوار، أجابته مادلين بتلقائية: "تذكر سيارتي الفارهة و الزمن.. كيف ضيعني الزمن! كما إنه لم يعجبه لون سيارتي، طلب مني أن أغير اللون أو يغيره هو لي، فرفضت.. فإمتنع عن إصلاحها لي لأنه، على ما أظن، يتشاءم من اللون الأحمر.."

"ميكانيكي؟"

"نعم!"

"لكنه يبيع الدونتس!"

"حقًا؟ لا أدري لِمَ يفعل هذا، صعب تفسير ما يؤول إليه الناس في غياب روتين عقلهم، فلندع الخلق للخالق!"

ثم فتحت مادلين باب بيتها و دخلت و تركت تايبريو الذي إنتظر ما أن أغلقت مادلين الباب و سار نحو ماكسيم..

قال تايبريو: "أريد الدونتس، الكثير منها، إعطني صندوق!"

قام ماكسيم بوضع بعض الدونتس في الصندوق و هو يحدق بتايبريو في غيظ..

قال له تايبريو: "أتعرفها؟"

رد ماكسيم: "كنت بائعها المفضل في وقت ما!"

"ماذا تعرف عنها؟"

"لا أعرف الكثير عنها، لم تدم علاقتنا أكثر من شهرين، لم أحضر منهما سوى شهر تقريبًا."

"كيف هذا؟"

"حينما سافرت، أخذت ترسل لي الخطابات و من التواريخ، عرفت إننا إستمرينا على وفاق لمدة شهر آخر.. و حينما عدت، وجدت من أخذ مكاني.. تسألني عما أعرفه عنها، أعرف عنها إنها تكسر القلوب.. أرى إنه وقتك، إحذر منها، فهي تنسى بقسوة، تجاهلتني بعد أن إنقضى شهران.. و كأنني لم أكن، أبدًا لم أكن في حياتها حتى كعابر سبيل... علقت آمالي عليها، فحطمتني بها، ليتني ما عرفتها، ليتني ما إقتربت!"

إستكمل ماكسيم وضع الدونتس في الصندوق، ثم إلتفت إلى تايبريو، لكنه لم يجده أمامه، فأخذ يبكي بعد أن أصبح المكان خاليًا و أعاد الدونتس مكانها..

الفصل الثامن و العشرون:

وصل جوريوس إلى بيت ماثيو، كما نوى، و قطع قطعة قماش من قميصه و غطى بها وجهه..

رن جوريوس جرس باب بيت ماثيو، بيت كبير في مكان غير مأهول بالسكان، و ما أن فتحت له الخادمة، التي كانت وحدها في البيت وقتها، حتى تفاجأت بشخص ملثم يدخل البيت عنوة و يقيدها بالحبال و يضع على فمها شريط لحام.. ثم أدخلها أقرب غرفة و أغلق باب الغرفة..

أخذ الملثم، جوريوس، يبحث في معظم الغرف التي قابلها على الكنز الذي قيل له إن ماثيو يخبئه في بيته، أخذ يبحث عن أي شيء ثمين أو مال، لكنه لم يجد أي شيء..

أثناء بحث جوريوس عن الكنز في بيت ماثيو، نجحت الخادمة في الخروج من الغرفة و وصلت إلى غرفة المعيشة بهدوء تام.

بعد دقيقتين، وصلت نورا البيت، وجدت باب البيت مفتوح و رأت الخادمة و هي لازالت مقيدة تشاور لها على غرفة المكتب.

دخلت نورا غرفة المكتب في هدوء وجدت جوريوس ثائرًا يقذف بالأوراق في كل الإتجاهات. وقفت نورا أمامه في ثبات، نظرت في عينيه و ما أن إلتقت عيناهما حتى ذعر جوريوس لوجودها، فخرج مسرعًا تاركًا كل شيء في حالة فوضى. أما نورا فهي لم تتحرك، ظلت واقفة مكانها في صمت و كأنها تذكرت شيء غير هين بهذه النظرة..

ظل جوريوس في الشارع خائفًا تائهًا، لا يعرف ماذا يفعل و أين يذهب.. جلس على رصيف و أخذ يبكي قائلًا: "لقد تضاعف حقي منكِ، مادلين! أين أذهب الآن؟ لن أعود إلى هذا المجرم.. و آيماس، ضحيته اليوم، سأكون أنا ضحيته الغد، لن يرحمني إن علم إني...

الآن، لم أعد موسيقي، أصبحت "مطلوب للعدالة". جازفت و إندفعت، جازفت في كل شيء و بكل شيء.. سأدفع الثمن، لكن سأدفعه و أنا رأسي مرفوع، إن كان لي أن أدفعه. سأخلص من هذه القيود، حدثت سريعًا و ستنتهي سريعًا.. لن أعيش مُطارد! سأتصرف، لست بجبان!"

إتجه جوريوس إلى بنك، دخله ثم خرج مسرعًا و هو يظهر عليه الفزع و الرعب، إقترب من رجال الأمن و قال لهم، بسرعة و توتر و قلق: "قنبلة، قنبلة ستنفجر، لقد رأيتها بعيني، إنقذوا البنك!"

وقع النبأ على رجال الأمن وقع الصاعقة، فهرع بعضهم بعيدًا عن البنك أما البعض الآخر فإستجمع شجاعته و دخل البنك بأسلحته. إستوقف جوريوس أحدهم قائلًا: "أقول لكم قنبلة تأخذون الأسلحة معكم؟ إترك سلاحك هنا! إتركه!"

إقتنع رجل الأمن بوجهة نظر جوريوس و لم يفكر في الأمر، فإتجه مباشرة لإحضار خرطوم الطواريء تاركًا سلاحه على بوابة البنك. لم يلبث أن دخل رجل الأمن البنك حتى حمل

جوريوس السلاح و ركض بعيدًا و لم يتوقف إلا عند أول محطة بنزين صادفها في طريقه و إشترى منها خمس لترات من الجاز السائل..

بهذا، حسب تقدير جوريوس، أصبحت عدته كاملة و أصبح مستعد للمواجهة، مواجهة مصيره الذي هرب منه..

سار جوريوس في طريقه و كأنه يبني الطريق أمامه و يرصفه بعينيه و إحساسه، الطريق إلى بيت ماثيو القديم.

الآن، جوريوس واقفًا أمام العقار الذي به بيت ماثيو وجهًا لوجه.. لم يلبث أن تأمل المبنى للحظات حتى حمل السلاح الذي معه و أخرج منه رصاصة واحدة، ثم وجهه في إتجاه التصويب و فرغ كل ما هو محتوي عليه من رصاص، خرج الرصاص كطلقات نارية مكثفة هوجاء، إنصب معظم هذا الوابل في مكان واحد محدد، كان من نصيب نافذة بيت ماثيو.

لم يضيع كل هذا الرصاص هباء، أصيب ماثيو بطلقتين منهم أما آيماس فحاول أن يفك قيوده و يقطع الحبال بأي طريقة قبل أن تصله رصاصة من الرصاص العشوائي الطائش الذي يلعب به أحد الأطفال في الخارج، كما رأى الموقف أمامه.

لم يستسلم آيماس، ظل يحاول إضعاف الحبال التي حوله بكل الحيل، حاول بعنف أكثر، فوقع بالكرسي على الأرض، إستطاع بذلك أخيرًا أن يزحف و يخرج متسللًا من قيود الكرسي.

لم ينته جوريوس بعد، فتحرره، كما رأى، لن يتم إلا بهدم مقر خوفه كاملًا..

صادف وجود شجرة كبيرة بجوار نافذة بيت ماثيو، فتسلقها جوريوس و سكب الجاز داخل البيت قدر إستطاعته من خلال النافذة و نثر بعض الجاز حولها، و وضع الرصاصة المتبقية معه في السلاح و أطلق الرصاصة عليه، فإنفجر المكان و أضرمت النيران في كل جزء من البيت..

حاول جوريوس أن يهرب سريعًا من هذه المنطقة بل من مدينة آلاي كلها، لكنه لم يلحق، فقد أتت سيارات الشرطة إلى موقع الحادث بسرعة غير متوقعة نتيجة لإتصال أحد الجيران برجال الشرطة حينما سمع صوت طلق ناري..

تم القبض على جوريوس، و إستمرت النيران في الإشتعال و وصلت إلى الأدوار التي تعلو بيت ماثيو و أخذت النيران في الإزدياد تأكل كل شيء تقابله.. إستمر الوضع هكذا إلى أن وصلت سيارات الإطفاء و معها سيارات قنوات تليفزيونية و محطات إذاعية، و الذين رشحوا ما حدث أن يكون جريمة القرن في آلاي .

قال جوريوس أثناء القبض عليه، بتشتت و رعشة و صدمة و ذهول: "حررت نفسي! لقد تحررت! إتركوني أنا لم أفعل شيء! إسألوه هو عما فعل بي.. إسألوه هو عما فعله و يفعله.. المجرم قد مات، لِمَ تقبضون علي أنا؟ و الآخر يستحق ما حدث له لأنه كان سيحرمني مما أستحقه، لم ينعم به و كان سيحاسبني على رغبتي به و شروعي في إقتناصه..

إتركوني! لقد تحررت! لقد تحررت من كل شيء!

من أنـا؟ أين يفيض نهر دماء أجدادي و والدي و أشقائي؟ أين أرى ظلال وجوه مِن أُلفتها تشبهني و أكون أنا منها؟ قبل أن تقيدوني عرفوني قيود جذوري.. عرفوني من أنـا.. عرفوني من أنا.. لِمَ تستخسرون في الإنتماء و حب العائلة؟

أنـا متغرب، أنـا لست منكم، أنـا لا أفهمكم، انـا لا أعرفكم، و أنتم لا تعرفوني و لا أنـا يمكنني الجواب.. (منتحبًا) تعبت من الذل الذي ألقاه في هذه الحياة!"

الفصل التاسع و العشرون:

كتبت لآيماس النجاة و إستطاع أن يهرب من الحريق و عاد إلى بيت عائلته و هو في حالة يرثى لها؛ يغطي وجهه السواد من آثار الدخان و قد تمزقت أجزاء من بدلته.. ما أن دخل البيت حتى هرعت إليه خالته قائلة: "أين كنت، يا بني؟ و ماذا حدث لك؟"

رد آيماس: "أتيت هنا بالقطار، لكنه... حدث عطل في طريقه.. أُوقِفَ القطار و نزلنا جميعًا، لكني لم أترك عمال الصيانة، وقفت معهم و ساعدتهم كمواطن راقي متحضر يسهم في إصلاح البنية الأساسية للمجتمع لتسيير مصالح الناس و لراحتهم.."

"ما هذا الذي تقوله؟"

"بإختصار كنت أصلح معهم القطار.. أنا متعب حقًا، سأدخل غرفتي و أنام، لا تزعجوني أرجوكم بأي شيء مهما كان.."

إستدار آيماس و بدأ يصعد السلم في هدوء و إذ بخالته تصرخ: "آيماس.. آيماس! هذا هو النصاب! آيماس، إقدم الآن.. الأمر ضروري!"

هرع آيماس نحو خالته التي كانت تقف أمام التلفاز مشاورة على صورة شخص في الأخبار.. رفع آيماس صوت التلفاز ليسمع ما آلت إليه الأمور..

قالت المذيعة: "الأخبار بالتفصيل: هبت مدينة آلاي في فزع و ترقب بعد أن هزها هذا الحادث الأليم، هذا الحريق المروع الذي لم تشهد مثله مدينة آلاي منذ عشرين عامًا.. هذا و قد أسفر الحريق عن مصرع عشرة أشخاص و جاري البحث عن باقي الضحايا و المصابين.. سنتواصل الآن مع مراسلنا من الحدث، ما الجديد؟"

قال المراسل: "(صوت سيارات إطفاء و سيارات النجدة كخلفية صوتية أثناء المكالمة) الشرطة لازالت في موقع الجريمة لم تتركه بعد؛ لازالت تحقق مع قاطني الشارع و تجمع الأدلة و الشواهد."

"ماذا عن منفذ الحادث؟ أين هو؟"

"تم القبض على منفذ الحادث و يدعى جوريوس (عارضين صورته مرة أخرى على الشاشة) و هو الآن في قبضة شرطة آلاي.."

"هل إعترف بجريمته؟"

"من الواضح إنه قد إعترف.. إعترف بجريمته بشكل.. غير مباشر، و لكنه يقول كلام آخر كثير، ضمن أقواله، غير مفهوم.. هناك الكثير من التكهنات حول لجوء الشرطة إلى إستدعاء متخصص علاج نفسي لتشخيص حالته العقلية، هذا الخبر منتشر و بشدة في أنحاء الحي، لا أعرف مدى صحته إلى الآن."

قال ضيف المذيعة في الإستديو: "أعتقد إن هذا الأمر ليس بالسهل أبدًا، لن يرضى أي متخصص علاج نفسي الدخول في دوامة مشاكل بطلها مجرم.. بل سفاح.."

قالت المذيعة: "شكرًا، مراسلنا! هذا و سنوافيكم بالأخبار! نقدم التعازي لأهالي الضحايا.."

علقت خالة آيماس: "هذا! هذا هو المجرم! رحمنا الرب من جرمه و قسوته! هذا المجرم أتى هنا في غيابك و إدعى إنه أخيك.. إنتحل شخصية لا وجود لها، أتى و أقنع أفراد العائلة إنه أخاك الضائع منذ سنوات و قد عاد.. ماذا كان يريد؟ أيريد أن يرتكب أي جريمة بأي صورة من الصور؟ لكننا لم نتركه، أبلغنا الشرطة! لكني أتسآل: كيف عرف بيتنا؟ كيف عرف إسمك؟ كيف عرف إن لدينا فرد من العائلة ضائع؟ أتمنى أن يأخذ عقابه، أرجح إنه مجنون. أخاف أن يعود هنا مرة أخرى، يقولون إنه سفاح."

"(لنفسه) الشرطة؟ (لخالته) لا تخافي أبدًا! سأتصرف! إتركي هذا الأمر لي!"

"و ماذا ستفعل؟"

"سأنتقم منه لأنه.. تجرأ علينا و إنتهك خصوصيتنا و كاد يؤذينا.. سأفعل ما يجب علي فعله، ثقي بي!"

"فليعينك الرب على حماية عائلتنا!"

"(لخالته) سأخلد للنوم الآن.. تصبحين على خير!"

ثم صعد آيماس السلم و يغلب على وجهه نظرات بها حيرة و إنتقام مكبوت محاولًا أن يهديء نفسه حتى يحين الوقت المناسب و لازال لا يعرف العلاقة بين ما حدث له، و الذي لم يتبين أي شيء عنه سوى تخاريف لا تمت للواقع بصلة، و بين زيارة جوريوس لبيت عائلته دون أي سابق معرفه، كما إنها لم تكن كأي زيارة.. ظاهريًا، هي زيارة ورائها غرض غير واضح. ثم قال لنفسه و هو في طريقه لغرفته: "هذا البلاغ يجب أن يُلغى فورًا، و يلغي معه أي علاقة لي بهذا المجرم.. سأتنازل عن هذا البلاغ صباح الغد قبل أن يصل إلى شرطة آلاي.. كاميرا الفيلا إلتقتت وجهه فقط مع بعض الإضافات، الإضافات التي ستعينني في مهمتي، لم أشتريها هباء، إشتريتها ليومٍ كهذا لم أراه حتى في خيالي، كم أنا مبهر!"

إختلف وقع خبر حادث القرن في آلاي على مادلين و نورا..

مادلين: قد رأت على شاشة التلفاز و سمعت نبأ القبض على جوريوس، كانت مستنكرة ما يحدث أمامها على الشاشة و لم تجد له تفسير، فقالت:

"ما هذا السخف الذي يقوله؟ ماذا يحدث؟ ما بال هذا التلفاز؟ لا يكف عن سرد و إذاعة الخرافات! جوريوس! لِمَ يقحم نفسه في هذا؟ هو مفعول به؛ لا يمكنه أن ينشيء الحدث.. لا بد أن أرجعه إلى رشده."

أما نورا: فلجأت إلى خطيب سابق لها إسمه مارشي.. و ذهبت إليه في مكتبه..

ما أن رآها مارشي حتى قال لها: "(في ذهول) نورا! (بشوق) لِمَ عدت؟ (بحزن) ألم تختاري؟"

"من قال لك إني إخترت؟ الآن، الآن فقط، أنا أختار بكل ما في من أريده حقًا و من لطالما حلمت به.. (إستدارت) المال يبهر، لكن.. (نظرت له) لم تأسرني شخصية مثل شخصيتك طوال حياتي التي مرت و هذا وحده كافي أن يجعلني مقتنعة و متأكدة من هوية الشخص الذي أريد أن أكمل حياتي معه. جئت لك حرة، أسعى لحبي.."

"ألستِ متزوجة؟"

قالت نورا، متجاهلة سؤاله: "إسأله من يُضرَب به المثل في شجارنا اليومي؟ إسأله من هذا الذي يُغيرُ منه؟ من الذي إنفصلنا بسببه؟ إن قال جواب آخر، لومني، عاتبني!"

"فلنتزوج الآن!"

"و ماذا عن من فرقوا بيننا؟ أنتركهم يعيشون في سلام؟"

"زوجك؟"

"لم يعد لي، إنتقم لي القدر منه!"

"كيف؟"

تجاهلت نورا إستفساره و قالت: "لم يبقى سوى أول عدو لك! هذا الذي قتل عمي.. عمي، أشد المعجبين بك، كان سيدعم قرارنا و يساعدنا في بداية مشوارنا.. لكن هذا المجرم قتله و فرقنا. و فعلًا بعِدنا، نوى أن يكسرني و يضيع فرحتي للأبد و فعلها، هنيئًا له ما نوى و ما تمنى!"

"و لكنك كنتِ ستتزوجينه، نورا! لا داعي أن تعيدي جراحي للحياة!"

"كنت سأتزوجه؟ لا تعليق لدي... لا تعليق لدي سوى إنه مجرم.. هددني بأن يدمر ما أحب، خفت عليك، و لم يأتي على بالي غيرك أنت. فقل لي، هل هذا ما أستحقه، يا حب العمر؟"

"أنا؟"

"نعم أنت! و هل لي عمر آخر؟"

لاحظت نورا على وجه مارشي التردد و وجود حائل بينه و بين الخضوع لرغبتها، فقالت، بصوت عقلاني هادىء: "لذة الرجوع إلى الماضي في الحاضر يشوبها القلق، لا بد من الإنتقام لتستتب الأمور، ألا تعرف لذة الإنتقام ممن فوتوا علينا الماضي و نقلونا لحاضر مريب؟"

"ماذا تعنين؟"

"لا زفاف سيقام و لا فرحة لي إلا بعد أن آخذ حقي منه.. أريد أن أبدأ حياتي معك، أريد أن نبدأها معًا بلا أية مناوشات من الماضي تهاجم حياتنا الجميلة التي سنقضيها معًا."

و هكذا إتخذت الدوافع الإتجاهات التي ستشكل ما سيحدث من أحداث و تنشيء الجبهات..

الفصل الثلاثون:

أما جوريوس، فقد أُدخِلَ إلى غرفة الزيارات في سجون آلاي، و التي لم يكن بها أحدًا سوى ضابط شرطة، و لم يكن بها شيئًا سوى طاولة و كرسي.

قال الضابط: "إجلس!"

جلس جوريوس على الكرسي في حنق و تعنت..

قال الضابط: "أنت مجنون، جوريوس! لم يرضى أي طبيب نفسي أن يعالجك أو يسمعك.. قضيتك تثير الريبة من هولها.. لم يرضى أحد أن يورط نفسه معك بأي شكل، سوى واحد فقط منهم.. يريد أن يراك؛ يريد أن يعطيك فرصة!"

"أنا من لا يريد فرصته و لا أريد أن أرى وجهه و لا وجه من شابهه.."

"لست في منزلك لتقرر من ترى و من تطرد.."

خرج الضابط و قال: "تفضل، آيماس!"

قال جوريوس، في صدمة و ذهول و تعجب، لنفسه: "آيماس؟"

دخل آيماس غرفة الزيارات و تم إغلاق الباب على جوريوس و آيماس..

قال جوريوس، لآيماس، في ذهول: "أنت؟ لقد قتلتك، (بإنفعال) النيران التي أشعلتها بسببكما لازالت تلهب وجداني كلما تذكرتها، و ما أقواها ذكرى!"

قال آيماس، بصوت منخفض: "إصمت؛ سيسمعونك!"

"أنت مت، لكن كيف خرجت من البيت؟ لا، أنت شبيه له، أتيت لتورطني بما أقول من هذيان بمجرد رؤيتي لك.. لكنهم نادوك بـ "آيماس"!"

"بالضبط!"

"هل إنتحلت شخصيته؟"

"لست بمجرم مثلكما، و لا تتعجب أو تتسآل عن القدر الذي أتى بي هنا.. أنا فقط أقوم بواجبي!"

"إذن، أخرجني من هنا! أنت تعرف ما حدث.. و ها أنت ذا، لم يحدث لك شيء.. كُلِّي يقين إن بعد لحظات سيظهر لي ثالثنا و كأني لم أفعل شيء و ينتهي المسلسل الذي بدأه هو، كيف ينتهي دون بطله؟ إخرجني من هنا، هذا واجبك!"

"و ماذا سيجبرني؟ أنت لم تنقذني!"

"ألا يعتقدون إني مجنون لهذا أتوا بك؟ أيمكنك أن تلوم المجنون؟ و إن لومته، سيضحك! و إن تكرر موقفنا، (بإنفعال) ما كنت أنقذتك، (بعنف) كنت سأقتلك بيدي حتى لا تأتي لي و تشمت في هكذا.."

"أنت لست فقط بمجنون، و لكنك معقد عنيف... و ماذا تريد؟"

"أريد تقرير يثبت جنوني إن كان هذا ما سيبرئني لإني أستحق البراءة من دماء أمثالك.. و أريد دواء مهديء أو منوم لأتحمل مكوثي هنا.. فهمت؟ أم أكرر؟"

"تتحدث بكل ثقة، و لِمَ سأخضع لإرادتك؟"

"تتحدث بكل هدوء رغم صعوبة الموقف و كأنك تحلل شيء و ترتب لضربة منك، أشعر بذلك! لكن لا يهمني، أريد ما أطلبه منك فقط.. لأنك أنت الذي جئت لي، تساومني بمنتهى البراءة المزيفة.. و أنا أساومك الآن، و سأقتلك إن تقاعست عن أداء واجبك كما أمليه عليك.. لن يستعصى علي هذا، لطالما شردت و كافحت، سأخرج بأي صورة كانت و أنتقم منك.. إجعلها جميل منك لي، هذا أفضل لك إن أردت أن تعرف كيف تعيش، يا عابس الوجه."

"تنتقم مني أنا؟ لِمَ؟ هل إقتحمت بيتك و تجرأت على أهلك مثلًا؟ هل خطفتك و أذيتك و كدت أقتلك مثلًا؟ هل..."

"أتعايرني إني لا أهل لي؟ و الآن؟ تريد أن تقتلني؟ لن تهرب بفعلتك و أنا ما عاد يهمني، أنت من وضعت نفسك في دائرة الشك.."

"أنا أقول "مثلًا"، لِمَ أخذتها على محمل الجد؟ سأفعل ما بوسعي، أنت و حظك!"

"حظي إن أصبح تعيس كوجهك، سأقتلك أنت.. لا تقل لي "أنت و حظك" بل قل لنفسك "أنا و نيتي و تصرفي"!"

بهذه المحادثة قرر جوريوس مصيره و بهذه المحادثة ظهر إختلاف شخصيته و كأنه أتته قوة و حكمة شخص عاش سنين طويلة، ففعلته هذه غيرته تمامًا عما كان مع مادلين.. و لم يعد يهم جوريوس ما حدث في بيت عائلة آيماس، لم يربكه و لم يقلقه، تتضآلت كل أزماته و مخاوفه بعد الجريمة الأخيرة التي إرتكبها، و لم يعد يهمه شيء.

"عالم مادلين المُثير"

رواية

تأليف: نهى علاء الدين

جميع الحقوق الخاصة برواية "عالم مادلين المثير" و حقوق النشر كلها محفوظة كاملة للمؤلفة: نهى علاء الدين

الفصل الحادي و الثلاثون:

بعد يومين، بعد الظهيرة، ذهب تايبريو إلى بيت مادلين و رن الجرس، فتحت مادلين الباب، سألها تايبريو: "هل أيقظتك من النوم؟"

ردت مادلين: "نعم!"

"لِمَ تنامين كثيرًا هكذا؟"

"أتقصد إني أحلم كثيرًا؟"

"لا، أقصد إنك دائمًا نائمة.. كم ساعة تنامين في اليوم؟ اليوم بطوله؟"

"أعلم إنه قد فاتني الكثير هنا في عالم الواقع، لكن لم يفوتني الكثير هناك في عالم الأحلام. فإن كان العكس، لكنت حزنت، لن أجد من يطلعني على ما حدث هناك في غيابي، و لن يعوض بثمن قط."

سأل تايبريو، و كأن هناك غرض ما من سؤاله: "هل تعرفين أين مصنع البلاستيك؟"

"مصنع البلاستيك؟"

دخلت مادلين البيت للحظات و أتت بمعطفها، ثم قالت لتايبريو على الباب: "سنجده في طريقنا!"

"أتعرفين أين هو؟"

"طالما هو موجود، فسأعرفه!"

"هل أنتِ مقيمة هنا؟ تعرفين الأماكن؟"

"الآن، أترى الثلاث أرصفة المقابلين لبعض، سأسير على الرصيف الذي يتوسط الشارع و أنت إمشي على الرصيف، الذي يقابلني، على شمالي، و تابعني حتى نصل."

"و لِمَ لا نمشي معًا؟"

"رغبتي!"

"أي رغبة في هذا؟"

"الحرية و الإستقلال و لا أحتاج للتشويش، لدي بعض الأمور التي أحتاج أن أفكر فيها الآن."

أخذا يمشيان معًا كالمارة المفترقين، ثم عبرت مادلين الشارع فجأة ذاهبة في إتجاه تايبريو قائلة: "تذكرت الآن، أنا لا أنسى شيئًا أبدًا. إستمر في سيرك لنهاية الشارع!"

بعد أن وصلا لنهاية الشارع، عبرا الميدان ثم سارا في شارع آخر طويل جدًا. و ما أن إنتهى هذا الشارع بعد عناء، وجد تايبريو نفسه في مكان أشبه بالصحراء و أمامه مصنع كما طلب و

كما تراءى له.. لكن حينما إقترب منه ليقرأ إسمه، وجده ليس بمصنع بل كان معمل تكرير البترول.

قال لمادلين و هو مصدوم: "أين نحن؟"

"كما ترى و كما أردت.."

"سألت عن مصنع البلاستيك!"

"ألا ينتج البلاستيك من البترول؟"

"و ما دخلي أنا؟ و ماذا أفعل هنا؟ ما ذنبي أنا؟"

"و لِمَ تحتاج أن تذهب هناك؟ أي سبب كان، سيفي هذا بالغرض.. أنت لجأت لي و أنا لم أخذلك."

"و إن وفّى بالغرض، كيف سنعود الآن؟"

"لن نعود الآن، تحملنا المشقة لنصل و وصلنا إلى غايتنا، فلنستمتع بها."

"(بغضب و إستنكار) هنا؟"

"ألم يكن هذا إختيارك؟ أسنُفصِّل لك الأماكن؟"

في هذه الأثناء، رأى تايبريو بائعة ورد..

قال تايبريو: "أخيرًا، وجدنا إنسان هنا على هذا الكوكب الذي أرشدتيني إليه."

"و إن يكن!"

"فلنحتفل بظهور أمل في هذه الصحراء القاحلة؛ فليُهوِّن علينا المشقة و هذه الأجواء الجافة.. فلنذهب لنشتري بعض الورود، أي الأنواع تحبين؟ سآتي لكِ بها!"

"إذهب لها أنت، فأنا غير صالحة للحياة."

"ماذا يعني هذا؟"

"تعامل أنت معها، لا أعرف كيف أتعامل معهم.. انظر! ستذهب! إلحق بها!"

ركض تايبريو نحو بائعة الورد و ناداها: "إنتظري! إنتظري!"

وقفت بائعة الورد، كانت فتاة منهكة تحاول أن تكسب قوت يومها.

إقتربت مادلين منهما خطوة بخطوة..

قال تايبريو لبائعة الورد: "أريد بعض الورود؛ أريد ورد أحمر و ورد أصفر و ورد أبيض..."

"الورد الأحمر مات.. الورد الأصفر..."

قاطعتها مادلين بسرعة مهاجمة: "لا تقولي مات الورد، بل قولي ذبل الورد، فقط إسقيها ماء و ستعود للحياة.."

ردت بائعة الورد، بجدية: "ما هذا الذي تقولينه؟ هل أنتِ سليمة العقل؟"

ردت مادلين، موجهة كلامها لتايبريو: "قل لها شيئًا!"

رد تايبريو، هامسًا لمادلين: "لن يعود الورد، لِمَ تقولين هذا؟"

قالت مادلين: "لأن الأشياء لا تنتهي، لا تكن قاسي مثلها و مثلهم!"

نظر لها تايبريو في ذهول و تعاطف، ثم حاول أن يعيد المحادثة لطبيعتها: "على كل حال، أريد بعض الورد، إختاري لنا مما لديكِ.. (نظرت له مادلين بغيظ) أقصد ما تعتقدين أنتِ إنه لديك.."

تدخلت مادلين: "ألن تدفع ثمنه؟ إختره أنت!"

رد تايبريو: "و أنتِ من سيتلقاه، فلتختاري أنتِ!"

"لا وقت لدي للتفكير، و إن فكرت في هذا الموضوع، فلن يكفيني وقت!"

"لِمَ؟"

"لأني أمِّل، لأني غير موجهة بإحساس قوي يدفعني نحو شيء أو ضد شيء، لأن الخيار هنا فيه محايدة، و أنا لا أتمنى أن أستنفد طاقتي فيما هو محايد، إختر أنت!"

"ماذا لو لم يعجبك ذوقي؟"

علقت بائعة الورد: "أستستمرون هكذا؟ ذوقي و ذوقك، هل هذه دعوة عشاء؟ ليس أمامى اليوم بطوله، أنا أتجنب دائمًا نوعية الأشخاص مثلكما."

تجاهلتها مادلين قائلة لتايبريو: "أليست هذه الهدية منك؟ إذن ستمثلك عندي بجمالها و قبحها.. كن أنت في إختيارك! "

"كما تريدين!"

"أشكرك!"

بعد أن إختار تايبريو الورد و تم إعداد البوكيه، وضع يده في جيبه ليدفع المال لبائعة الورد. في هذه الأثناء، قالت مادلين لبائعة الورد: "أتعرفين؟ لن يتركوكِ؟"

قالت بائعة الورد، بإستحقار: "من؟"

"رائحة النفط غلبت رائحة الورد، و لطالما كانت رائحة الورود هي ما يرفع المعنويات، لكنها كانت كلاسيكيات، الآن، رائحة النفط وحدها تحل كل المشكلات و تغير الحالات. زماننا هذا

يعترف بالأقوى لأنه مليء بالأسطح.. حتى هذا الورد الذي ذبل، أعلم إنك ستستاءي أكثر و أكثر و ستستبدلينه بالصناعي فيما بعد، و سيحل الصناعي مكان كل شيء رويدًا رويدًا، حتى أجهزة الكائن الحي.. و سيختفي الجمال بأيدينا نحن و سنتسآل عن يوم مضى صادفناه فيه و نتمنى لو لم نفلته كما فعلنا."

من الواضح، إن تايبريو كان منتبه لمادلين و مشدوه بما تقوله حتى توقف عن البحث في جيبه عن المال.. فقالت بائعة الورد: "حتى المال لا أريده، سأتركه لك! لا يمكنني الانتظار أكثر من هذا و لكني لن أسامحك على حقي في المال.."

إنصرفت بائعة الورد مسرعة و هي غاضبة..

قال تايبريو لبائعة الورد، بصوت عالي: "إنتظري! سأعطيك مالك! ماذا حدث؟"

ردت مادلين: "لم يحدث شيء! فتاة وقحة، هذا كل ما في الأمر. أنا تقل لي "هل أنتِ سليمة العقل؟"؟ كيف تجرأت علي؟ و تقل "أشخاص مثلنا"؟ هي لا تحلم أن تتحدث مع شخصية مثلي و أنا ليس بمثلي أحد.. و ذوقي؟ ذوقي! بذوقي أنا فقط كان يمكنها أن تحول من بائعة ورد إلى صاحبة أكبر محل تجاري للزينة، هذه التي تقل من ذوقي أنا! مشكلتي أنا إني فتحت لها الباب بكوني لطيفة معها.. أنا معقدة؟ عقدي هذه ترفعني منازل و منازل فوقها.."

بدأت مادلين تبكي..

قال تايبريو: "أستبكين هنا؟"

"نعم، فقد وصلتني الدموع هنا!"

"تماسكي!"

"أتماسك؟ ما هذه السوقية؟"

"أي سوقية؟"

فجأة، لمحت مادلين، في مرمى نظرها، بحر هاديء تنعكس عليه أشعة الشمس الساطعة.. فلمعت عيناها و هي تنظر إليه و تقول، متحمسة: "بحر اللآليء!"

قال لها تايبريو، بإستهزاء و إستنكار: "ما هذه اللآليء التي تتحدثين عنها؟"

نظرت له مادلين و قد جرحت من تعليقه هذا ثم إستدارت لتخفي دموعها..

قال تايبريو: "فلنذهب لنجمعها!"

ركضا الإثنان إلى أن وصلا مياه البحر، ظهرت على مادلين السعادة و بدا عليها الحماس، قالت، و هي تفكر في حيرة: "ماذا لدي؟ آه!"

فتحت مادلين حقيبتها، أخرجت تذكار بلوري منها مصنوع من مادة شفافة كان بداخله ورود و بالونات بلاستيكية ملونة، نظرت لها مادلين و قالت: "كنت قد إشتريتها بالأمس و نسيت أن

أضعها مكانها على الرف. (قذفت بها في البحر بحماس و أمل و تفاؤل) فليأتي لنا بها المستقبل مرة أخرى و تعود إلينا، أليس هذا هو الغرض من التذكار؟"

قال تايبريو، متعجبًا بإستخفاف: "و هل سيعيدها البحر؟ بعمقه و أمواجه و إمتداده؟"

ردت مادلين و هي ناظرة لتايبريو، بثقة: "أنا أستأمن البحر و لا أستأمن بشر!"

"ألا تخافين من المستقبل، مادلين؟"

قالت مادلين، و هي تنظر إلى التذكار الذي تقاذفته الأمواج: "لست بظالمة؛ سيرفق بي القدر مهما أتى لي بمفاجآت."

قال تايبريو، بإهتمام: "و هل أنتِ مظلومة؟"

قالت مادلين: "(و هي تنظر أمامها إلى ما بين البحر و السماء) هؤلاء هم البشر، وجدت منهم خشونة و جفاء تفوق حافة الصخر حدة، و أنت تحدثهم تشعر.. و كأنك تمسك بنبتة صبار. (بصدق) لا أعرف هل سأتعلم كيف أعيش و سأطبق يومًا (ناظرة لتايبريو) أم إنني غير صالحة للحياة و لا يجب أن أكمل."

مشيت مادلين بعيدًا عن البحر، تبعها تايبريو.. و سارا معًا في طريقهما للعودة..

قال تايبريو: "الحياة ليست بهذا السوء، مادلين!"

"لا أعرف أي سوء تعنيه، لكن.. (سرحت لوهلة) كلهم يستغلونني، يصبغونني بصبغات هويات و شخصيات أخرى، يجعلوني أشخاصًا أخرى لا أعرفهم و لا أعرف لِمَ أو كيف.."

سكتا لدقيقة واحدة، قطعها تايبريو، معلقًا بوجه عام: "الذي يجرح دائمًا هو مجروح أو مغلول!"

علقت مادلين ببراءة و إهتمام: "موثوق فيه كلامك هذا؟ أثبت صحته؟"

"نعم، بالتأكيد!"

"أنا أحب أن أكون معك؛ أنت لا تستغلني و لا تطلب مني أن أكون شخصًا آخر، تطمئني دومًا، بالرغم من إنك وقح بعض الشيء.. لكني.. أحب معك الحياة، أراها بشكل جديد مختلف، فلتكن دائمًا صديقي."

و هما في أثناء حوارهما، كانا قد وصلا أخيرًا إلى الميدان..

قال تايبريو: "أيمكننا أن نستريح لبعض الوقت؟"

أومأت له مادلين برأسها موافقة.

جلسا الإثنان معًا على سور مزخرف لنافورة معطلة و قد حل الليل عليهما و أضيئت الشوارع و الميادين بأعمدة النور.

سألت مادلين، بإهتمام: "ماذا تضيف لهذه الحياة من قيمة، تايبريو؟"

"أنا أصلح ما هو ضروري إصلاحه لسلامة كل بيت؛ وصلات كهرباء، صنع مفاتيح، أشياء من هذا القبيل.. أعمل في حِرَف متنوعة! و أنتِ؟"

"حاليًا ليس لي دور، مثلك، سوى مجال عملي.."

"الذي هو..؟"

"أستُكمل كلامي نيابة عني و تتحدث بإسمي؟ أنا مصممة ديكور!"

"آه، تضيفين الخشب و الزجاج و الأقمشة و تغيرين ألوان الدهانات!"

"ليس بالضبط، و ليس بهذه البساطة و العامية.. لكن، نعم، لتعرف كم هو عمل شاق!"

"شاق؟ و لِمَ تتعبين نفسك فيه؟ ما هو إلا صانع للرفاهيه المتكلفة التافهة!"

"أتقصد إني لا أضيف قيمة؟"

"أقصد إنه ليس بضروري لإستمرار الحياة على الأرض؛ أنتِ تجمِّلين المكان لا أكثر و هذا إن أديتي واجبك كما يجب و كنتِ مبدعة حقًا!"

"إن كنت مبدعة حقًا؟ لا، لست بمبدعة، أيمكنني أن أنافسك في إبداع، على الأقل، ردودك! و ليكن! أنت لم ترى شيء لأسمع رأيك أو ليكون لك رأي مبني على أساس.. أنا إن إخترت أن أحدثك عن مجالي و مدى أهميته، لن تكفيني الساعات ما بين اليوم و الغد، لإني بعدها لن أريد أن أراك مرة عاشرة، إن صح العد.. أكون قد إكتفيت و إنتهى وقتي معك."

"مهما قلتِ لي، أنا أعيش في هذه الدنيا، بين الناس، تخبطت فيها و عاصرت الكثير و مررت بالكثير، و أرى هذا و ذاك، و يستثيرني هذا الذي تقولينه لمجرد وجوده.. هناك من يعيش و لا يعرف كيف يدبر قوت يومه للغد، لا مال لديه، لا مأوى، لا طعام، لا شراب، لا عمل لديه.. و هؤلاء.. (بسخرية) يبحثون عن المقعد المريح و الخلفية المناسبة التي ستغطي الحائط، و التي تعكس مدى عظمتهم، عظمتهم كما يرونها هم بأعيونهم. هؤلاء.. ماذا قدموا؟ و ماذا تقدمين لهم؟ لا قيمة، لا قيمة!"

"إذن لا تجالس من لا قيمة له بنظرك!"

وقف تايبريو، و قال، في حماس: "ها هو بائع الأيس كريم! (مشاورًا على عربة تبيع الأيس كريم) سآتي لكِ بواحد!"

"أنت إنسان مستفز!"

"لِمَ تهينيني الآن؟ سأشتري لكِ على حسابي الخاص و لن تدفعي شيء، هذا كرم مني، أبهذا تردي الجميل؟"

ثارت مادلين عليه و وقفت قائلة: "أنت وقح.. لا تعرف أي سبيل و لا وجه للرقي، تجبرني أن أنسحب دومًا و إن مشيت الآن، فإعلم، أيها الهمجي.. لن تجالسك سيدة راقية مثلي أبدًا."

"يكفي إهانات، سيدتي الراقية! أنتِ تغضبين سريعًا، علام؟ أنا غير راقي، أعي ذلك، لا تأخذي كل ما أقول على إنه خروجي عن الرقي المعتاد المعروف أنا به لأجرحك. و يكفي جرح في.. (بحزن) لدي شعور مثلكم!"

جلست مادلين مرة أخرى، و قالت ببراءة و رقة شعور و تعاطف كبير: "ألديك شعور؟ هل هذا حقيقي؟ لقد قسوت عليك، فجعلتك بهذه الوحشية.. أليس هذا ما حدث؟ لا تحزن!"

بكت مادلين لشعورها بالذنب الذي إستثارته بداخلها بتعاطفها مع تايبريو..

قال تايبريو، في لهفة: "لا، لا، فقط علميني كيف أكون راقيًا مثلك و لن أرفض لكِ طلبًا.. أعتذر، مادلين، أعتذر! (بحس مداعبة لطيفة) أعتذر أنا في اليوم سبعين مرة لكِ و من أجلك.. لم أعتاد على هذا من قبل.. قولي "سامحتك!"

نظرت له مادلين ببراءة، قال لها: "أرجوكِ!"

"(سارحة) أنت! إسلوبك راقي عندما تنسى نفسك في كلامك معي، لِمَ تخبيء هذا؟ و أفعالك نبيلة، هذا ما أراه و أشعر به، لِمَ تحاول دائمًا أن تريني الأسوأ، ما أنت ليس به و لا عليه؟"

نظر تايبريو للأسفل، لم يعرف ماذا يقول لها، لا يملك أن يفسر لها شيء.. إستكمل كلامه لها بعد لحظات: "أسامحتيني؟"

"العتاب يصفي النفوس.."

"أنا لا أحتاج أن أعاتبك، أنا أشعر بكِ و أقبل إهاناتك، أنتِ تصدين بها رصاصي، أنا أعذرك!"

"لكن العتاب يجعلنا متابعين لأخر التطورات في علاقاتنا بالرغم من مرارته اللاذعة وقت تلقيه. تتعمق الأوجاع بداخلنا بتراكمها و تسبب الشقوق، العتاب يمنع تفاقم الأوضاع على ألا يبدأ في إثارة مشكلة جديدة و تتأزم الأحوال. بلا عتاب سنعيش فوضى الإحساس، منفصلان!"

مشى تايبريو بعد كلمة "منفصلان" و لم ينظر لمادلين، فقد كان يظهر عليه الغضب. حدقت به مادلين مستغربة من رد فعله هذا.. عاد تايبريو بعد دقيقة كأنه كان يحتاج أن يبتعد للحظات و كأنه يخشى شيء أو ذكرته بشيء، لم تدري مادلين، لكنها تضايقت مما فعل و لم تكن متوقعة إنه سيعود.

قال تايبريو: "أيمكنني أن أوصلك إلى البيت؟"

قالت مادلين، بتكبر و غطرسة: "سأذهب وقتما أشاء! كما إنني لو أردت أحد يوصلني، سأجد الملايين تتمنى هذا.."

"من هم؟ أين هم؟"

"هم في كل مكان ينتظرون غيابك و إختفائك و الإشارة مني..."

"فهمت! كيف كان يخفى عني ذلك؟ (لمعت عيناه) و سيتحايلون عليكِ و يعرضون عليكِ السيارات الفخمة و يتمنون و يتمنون و يخيب أملهم إن رفضتِ.. ماذا إذا.. أقصد هل يمكنني أن أنال هذا الشرف؟"

نظرت إليه للحظات ثم إبتسمت و قالت: "سأجعلك تناله!"

إبتسم تايبريو و مد لها يده، وقفت مادلين و سارا معًا إلى أن وصلا إلى بيت مادلين.. ثم إستكمل تايبريو السير وحده مثلما كان طول الطريق في صمت إلى أن رأى صديقه، ألشيل، أقرب زميل له من العصابة التي ينتمي لها حاليًا، يقترب منه و يشاور له ليحدثه في ركن ما.

قال ألشيل: "وجدتك أخيرًا، يا صديقي! أين تختبيء؟ تقوم بعمل خاص؟ ألم أخطر على بالك؟ يمكنني أن أساعدك فيه بأقل نسبة!"

"لا، أنا لا أعمل هذه الأيام.. أنا في أجازة!"

قال ألشيل، في صوت منخفض و حذر و هو على مقربة من تايبريو: "هناك كلام و تعليمات غير رسمية بتتبع هذه الفتاة التي كنت معها.."

"أي فتاة؟"

"هذه الفتاة التي كنت معها منذ دقائق.. هذه التي تقضي معها ساعات فراغك و تفرغ لها ساعات عملك..."

"ماذا بشانها؟"

"مطلوب مراقبتها.."

"من طلب هذا؟ الزعيم؟"

"لا، لا دخل للزعيم بها.. من الواضح إن خطيبته تحدثت مع بعض الأعضاء في هذا الأمر.. الأمر قيد السرية.."

"و لِمَ ستهتم بها؟ أو حتى تخطط لذلك؟"

"قد تكون قد ضايقتها، قد يكون ثأر قديم.. يقولون رأتها يومًا مع زوجها الذي مات في الحريق، هذا الرجل صاحب جريدة آلاي.. سابقًا!"

"آه!"

"تزعم بإنه كان بين هذه الفتاة و زوجها علاقة ما.. إحذر هذه الفتاة، إحذر الدخول في غيرة النساء.."

"ألن تتزوج ثانية؟"

"هذه الأمور لا يحلها الزواج.. أشعر أن خطيبة الزعيم ستتزعمنا قريبًا جدًا!"

ثم وضع ألشيل القبعة على رأسه و إنصرف في هدوء..

أخذ تايبريو يفكر فيما قيل له حتى قرر أن يذهب إلى بيت الزعيم، مقر إدارة أعمال العصابة، و ينتظر دخول و خروج نورا من بيتـه و يتتبعها ليعرف أين تسكن، لعلـه يجد حل لما آلت إليـه الأمور..

و قام تايبريو بهذا بالفعل و حصل على عنوان نورا.

الفصل الثانى و الثلاثون:

عادت نورا بعد يوم شاق إلى بيتها و إذ بالخادمة تخبرها بوجود ضيف ينتظرها في الصالون.. فإتجهت نورا للصالون و هي تخلع قفازها و تتكلم برسمية: "نعم؟ ماذا يمكنني أن أفعل لك؟"

وقف تايبريو و قال: "زوجك إستعار خطيبتي!"

ردت نورا، متعجبة: "من أنت؟ خطيبتك من؟"

"أنا خطيب مادلين، جئت أوضح لكِ حقيقة الأمر لأن سمعة خطيبتي تهمني!"

"أي أمر؟ و من مادلين هذه؟ (لنفسها) آه، مادلين من آريْلا!"

"كانت مادلين، خطيبتي، مصابة في المستشفى بعد أن تعرضت لحادث، عرض عليها زوجك أن يكتب مقال عنها و عن الحادث الذي ألم بها، تحمست مادلين كثيرًا لهذا المقال و وجدت السعادة و هي تروي المشاهد كبطلة الأحداث؛ فهي تعشق الدراما لنقاء نفسها و إحساسها العالي و برائتها، كما إن لديها حُب الظهور."

"و ما شأني بما تقوله؟"

"ما أقوله يخصك و يخصني!"

"الذي يخصه الأمر قد مات!"

"لكنك أمامي، لا تبشري على نفسك، أرجوكِ!"

"ما هذا الذي تقوله؟ هل جننت؟ أقصد.. زوجي ماثيو، الذي تآمرت عليه خطيبتك، مات و تركني!"

"أسف، لم أعرف، فليرحمه الرب! كنت مسافر وقتها، لم يخبرني أحد بهذا النبأ عندما عدت.. في النهاية، أرجو ألا يكون لديكِ أي ضغينة إتجاه خطيبتي، هي لا تتحمل أن يحزن أحد منها أو يُجرح أحد بسببها.."

"و بِمَ سيعنيني هذا؟ هل هذا سيعيد لي ما فقدته و ما هدمته هي؟ أين كنت أنت حينما كانت تقضي وقتها في الحفل مع زوجي؟ قل لي؟ و ماذا أفعل بحبها للظهور و هذه التفاهات التي تحدثني عنها؟ جئت تدافع عنها؟ بأي حق؟ بأي كرامة أو نخوة؟ هي خائنة!"

"لا، ليست خائنة، لقد حكت لي كل شيء و أنا أصدقها، جئت لأقل لكِ الحقيقة.."

"تسامحها أنت.. تصدقها أنت، هذا شأنك، لكني لن أتنازل عن حقي بعد أن جرحت كرامتي، على الأقل، لأحمي زوجات أخريات لا يتمنين أن يكونن في مكاني هذا يومًا.."

"إذن إنتظري بعد زواجنا حتى لا تغير رأيها.."

"لا أعرف لِمَ الحوار معك يتخذ منعطف هزلي.. إكتفيت من الحديث معك! قل لها إني أعرف كيف أحمي أملاكي حتى بعد هلاكها و لن أتركها. فلتعرف ما هو الإنتقام البارد مثلما حاولت الإستفراد بما لي بكل برود، لعلها تعرف من تلاعب.."

"لكن.."

"هل لديك عذر آخر لها؟

لكن لا شيء يمكنك قوله..

لكن لا يحبذ وجودك هنا..

لكن عد لها و طمئنها إنها ستدفع الثمن..

إكتفيت بلَكِنَك تلك؟"

إستدار تايبريو و خرج من بيت نورا و هو كله حيرة من الأمر الذي أقحم نفسه فيه. فبعد أن حاول تايبريو أن يهديء الأمور، إتضح له إن هناك عاصفة، ظهرت علاماتها في نبرة صوت نورا و كلماتها... بالرغم من هذا، رآها تايبريو سيدة طائشة، أعمتها الغيرة، لن تقوى على فعل شيء مما هددت به.

الفصل الثالث و الثلاثون:

بعد فترة قصيرة جدًا، طلب آيماس مقابلة جوريوس..

بعد ثلاثة أيام، دخل آيماس غرفة المقابلات، وجد جوريوس جالسًا بثقة و إسترخاء على الكرسي في انتظاره.

وضع آيماس علبة على الطاولة أمام جوريوس بحزم قائلًا: "ها هو ما طلبته!"

"الدواء؟ أين التقرير؟"

"التقرير لن تراه! طلبت مني طلب و هددتني، و أنا أقوم به.."

"يجدر بك أن تكتبه كما يجب.. بالنسبة للدواء، (ممسكًا بالعلبة) هل مفعوله قوي و سريع؟"

"نعم، ليس لك عندي شيء بعدها.. لكن لازال لدي شيء عندك!"

"و ما هو؟"

"إقرار منك إنك طلبت مني هذا الدواء و تعهد منك إنك ستتحمل مسئولية تعاطيه.."

"و ماذا فيه؟ أليس بمهديء؟ لا تكن هكذا، لِمَ كل هذه الرسميات و الشكليات؟ من يهتم بالتعهدات و الإقرارات على أي حال؟"

"أنا و رجال القانون.. نفذت لك ما تريد، ألا يمكنك أن تنفذ لي ما أريد؟ و أعدك إنك لن تراني بعدها.."

"هل هذا وعد؟"

"نعم! كما إن التعهد و الإقرار، كما يبدو لي، لا يمثلا لك أي شيء.. فقط إكتبهما و وقع تحتهما! (ممسكًا بورقتين و قلم) هاتان الورقتان لهما شكل محدد معروف فهو عبارة عن سطرين في أول الورقة و ما عليك إلا أن توقع في أخر الورقة تحت جملة: "و على هذا الكلام المذكور أعلاه أوقع تأكيدًا مني على صحته"."

"إعطني القلم!"

أعطى آيماس جوريوس القلم و الورقتين.

كتب جوريوس بإنه في كامل قواه العقلية و هو يكتب هذا الإقرار، من دون أن يركز فيما يكتب و كأنه يكتب كلمات و عبارات روتينية لأسباب لا يراها ذات أية أهمية، و تعهد إنه مسئول مسئوليه كاملة عن تعاطيه لهذا المهديء و إنه أحضر له بناء على طلبه و مضى في أخر كل ورقة منهما. ثم أعطى الورقتين لآيماس..

أخذ آيماس الورقتين من جوريوس و قال: "شكرًا! تمت الصفقة.. (و هو يضع الورقتين في حقيبة معه) أتمنى ألا نرى بعض مرة ثانية!"

"هذا يعتمد على براعتك في حبْك التقرير!"

"آها! الوداع!"

إبتسم جوريوس إبتسامة ساخرة و لم يرد، خرج آيماس من غرفة الزيارات.

بعد ساعتين، دخلت سيدة إلى جوريوس في غرفة الزيارات و هو يبتلع الدواء و يشرب بعده الماء..

قالت: "(بتشوق) جوريوس! (بنبرة إرتياح) جوريوس! أخيرًا وجدتك، يا بني!! لقد أصبحت شابًا يافعًا بل رجلًا ناضجًا. إنتظرت عمري كله هذه اللحظة.."

"هل تعرفيني؟"

"أنا والدتك، ألم يدلك حدسك؟ أعرف من نظراتك هذه إنك لا تصدقني، لم تتغير نظراتك، يا صغيري، و إن صدقتني، (بكت) أعرف إنك لن تسامحني.."

"والدتي؟ كيف؟ أنا لا والدة لي، أقنعتني الدنيا بهذه الحقيقة منذ زمن بعيد و أكدتها لي مؤخرًا، كيف تعارضي الدنيا؟ ما دليلك على ما تقولين؟ إعطيني كل الدلائل و لا تبخلي علي بأي منها بالرغم من إني سأصدق أبسطها، فقط قولي لي!"

"أملك الكثير من الدلائل لكنهم لن يفوقوا قناعتي بإحساسي بك.. (تحدق به) تشبه والدك تمامًا، نفس الملامح.. لدي صورة له، (أخرجت صورة من حقيبتها و أعطتها لجوريوس) ألا ترى كيف يشبهك؟ الفرق الزمن، كانت هذه الصورة أيام التصوير ثنائي اللون و يختلف عنك بالشارب.. لكن نفس العيون و الأنف و الفم.."

"فعلًا، (و هو ينظر إلى الصورة) الشبه كبير جدًا، إن لم يكن مطابق، أين والدي؟"

"ينتظرك في القصر على كرسيه الذي لم يفارقه منذ أن فقدناك.."

"والدتي! لِمَ تركتيني؟ كيف هنت عليك؟"

"خطفتك الخادمة، كنا سنذهب إلى المحامي يومها و قررنا أن نأخذك في نزهة بعدها، كتبنا إسمك في الحقيبة التي حُمِلت فيها في مدينة تساري، كنت طفل لطيف مع لصة.. لصة إختفت معك و لم تعود..

كم أفتقدك، يا بني، أترى كيف أصبحت والدتك؟ قضيت عمري كله أبحث عنك، عانيت و صارعت و مشيت في متاهات لأجدك، ضعت أنت بين البشر.. لكني وجدتك أخيرًا، حمدًا للرب، سالمًا. دلوني فاعلي الخير على العشرات، في كل مرة يؤكدوا لي إني أخيرًا وجدتك و ما أن أرى هذا الذي يظنوه إبني يخيب أملي إلى أن هداني إحساسي إليك، سعادتي لا توصف، يا بني.."

"والدتي!! تخبطت في هذه الحياة و تعذبت؛ لم يهتم أحد لأمري، لم يشاركني أحد أيامي، لم أجد من يرشدني في طريقي، حتى و إن كان سيقسو علي.. فقدت الأمل أن أراكِ، ياليتني فعلتها و أتيت هنا منذ سنوات، الآن فقط بدأت حياتي، سأخرج سريعًا لكِ، لا تتركيني مرة ثانية، عاهديني!

آه، كم إشتقت إليكِ و أنا لم أراكِ و لم أعرفك! ألم تحبيني؟ لكني عشت أحبك بالرغم من غضبي منك، كان هذا في الماضي، الآن، أنا سامحتك و لا أريد شيء سوى أن أظل بجانبك.. (وقف، إتجه نحو النافذة) الآن أعلنها، أنا مثلكم، لي قيمة، لي جذور، لست بضائع و لا مشرد و لا ينقصني شيء، لا أنتظر قبول أحد أو عطف أحد علي.. (للسيدة) إبقي معي، لا تذهبي، سأقول للعالم كله إنك والدتي، ستحضري كل حفلاتي و أشير إليكِ إنك والدتي و كل ما أغني أهديه لكِ، يا أمي.."

"لا تضيع مني مرة أخرى.. أتعرف؟ أتيت بما صنعته من أجلك، لك مخصوص.. (أخرجت علبة صغيرة بها بعض الطعام و وضعتها على الطاولة، ثم إستعدت للنهوض)."

"لا تذهبي! إنتظري! أريد أن أرسمك، (جرح نفسه و بدأ يرسم بدمائه على الحائط) أريد أن أخلد هذه اللحظة و أخاف أن تضيعي مني.."

"لن نفترق بعد اليوم، إطمئن! لا تنسى أن تأكل مما أعدته لك و تنام باكرًا.. إعتني بنفسك من أجلي، يا بني!"

قال جوريوس، متوسلًا، راكعًا: "لا تذهبي، أرجوكِ!"

"سآتي غدًا.. آه، جوريوس، إن علمت كم سعادتي بلقائك و رؤيتك، ستعرف إني سأمضي الليلة كلها بجوارك هنا، أينما كان مكوثي لا يستدعي إذن من رجال الشرطة.. إنتظرني الغد!"

وقفت السيدة، دخل ضابط، قال لها: "المقابلة إنتهت مدتها!"

قال له جوريوس: "هذه والدتي و ستأخذني قريبًا لعائلتي! و.. ستأتي غدًا، لا تعرقلوا إجراءات دخولها.. أنا أريدها معي، (خرجت السيدة) (بصوت عالي) سأنتظرك، لا تتأخري! عودي بسلام!"

خرجت السيدة من غرفة الزيارات.. و فتح جوريوس علبة الدواء و أخذ جرعة أكبر مما هو موصي به ليهدأ أكثر و أكثر كما ظن..

بعد ساعتين، مُنِحَ لمادلين إذن مقابلة جوريوس، و الذي تقدمت بطلب الحصول عليه منذ ست ساعات و سبقتها السيدة التي أتت بعدها و دخلت قبلها بحجة أمر طاريء أتت به.

على باب غرفة الزيارات، قال الضابط لمادلين: "أعرف إنه يوم الزيارات لهذا المسجون، بالرغم من ذلك، معكِ سبعة دقائق فقط، هو مجرم خطير!"

دخلت مادلين غرفة الزيارات، و ما أن رآها جوريوس حتى نهض من مكانه، ثم لمعت عيناه و كأنه وجد ما كان يبحث عنه و لم يستطع إخفاء ضحكاته التي لا سبب لها..

قال جوريوس و هو ثائر ببرود فيه سخرية الغضب: "أهلًا بمهلكتي الجميلة، ماذا تفعلين هنا؟ هل أتيتِ لتدليني على الجحيم و كأنه الجنة و نعيمها؟ أم إكتفيتِ.. إكتفيتِ و أتيتِ لي شامتة؟"

ردت مادلين: "جئت لأدلك، نعم! (ببراءة) لكن لا يمكنك الخروج الآن من السجن لتذهب إلى أي مكان!"

"أتتهكمين علي؟"

"أنا هنا لأرجعك لصوابك!"

"ها ها ها!"

إستكمل جوريوس تناول كبسولات من الدواء الذي أعطاه إياه آيماس..

قالت مادلين: "أعرف إنك مظلوم، لا تقوى على فعل ما أنت متهم به، أنا هنا لأساعدك!"

"(مهاجمًا) تساعديني؟ أم تنهيني؟ أنسيتِ كيف تخليت عني في عز ضعفي و أنا أطلب دعمك و مرافقتك لي؟"

"طلبت مني ما لا أرضاه لغيري إن كان مكاني أو كنت مكانه."

"ضللتيني و جعلتي مني اضحوكة.."

ردت مادلين، بتوتر: "لا، لم يسمعنا أحد!"

"كذبتي علي!"

"لا، أنا لم أكذب عليك قط!"

"(بعنف) كذبتي علي، يا صاحبة النية الصافية.. (ضحك) كنت أنا من سيأتي إليكِ، لكنك هنا و أتيتِ أنتِ لي، إن كنت قد أتيتك قبلها، (بنظرة وعيد) ما كان لكِ بقول أو بفعل بعدها..

(بغضب) أنا لا أحتمل وجودك! (ثائر) أنتِ من فعل كل هذا! أنتِ المجرمة الحقيقية، أنتِ من عصف بحياتي كلها (إستدار) و ها أنتِ ذا، تعيشين في هناء خارج أسوار الذل و الهوان!"

علقت مادلين و هي مضطهدة تبكي: "ماذا فعلت لك لكل هذا؟ أنا مجرمة؟ (بإستنكار) بأي جرم تتهمني؟ (بقوة) واجهني! أنا من منعت الجرم، أبهذا شاركت أنا في الجريمة؟ (بتعاطف) أريدك فقط أن تفيق من هذا الوهم، أنت لست بمجرم، أعرف إنها كانت خدعة.."

"أنتِ من قام بها و نسجها و خرجتِ أنتِ منها و كأنكِ غير مرئية و لا مسموعة.. ماذا تحاولين أن تقولي؟ ماذا تريدين الآن؟ تخدعين ثم تعطفين على من خدعتِ، يالك من محتالة متمكنة!"

"أنا أحاول أن أمنع سخريتك من عقول الناس!"

"لن أسامحك قط!"

"(بتأثر) عن أي ذنب لا أستحق الصفح؟ أعلم إني تأخرت في إنقاذك، لكني لم أتهاون لحظة حينما سمعت الخبر.."

"عم تتحدثين؟ تقللين من وجعي و من ذنبك و تأتي بالأعذار.. ألا ترين ما فعلتِ؟ تستمرين في الكذب حتى بعد أن واجهتك؟"

قالت مادلين، و هي تبكي: "و كيف جرحتك؟ لِمَ أنت غاضب مني هكذا؟ أنا لا أكذب! أنا أتذكر إني لم أفعل لك شيئًا.. و لا أتذكر إني تسببت في وجع أي إنسان.. أيًا كان.. لِمَ تظلمني؟ إظلمني إن أردت، لكن لا تكن قاسي علي، سامحني!"

"ها ها ها، أسامحك؟ أسامحك! ها ها ها!!"

"إسمع لي، أنا لا أعرف عما تتحدث و ..."

"(فجأة، بعد هدوء، بعنف) إسمعي! ها هو لا يريدني أن أسامحك.. (ينظر بجواره و كأنه يتحدث مع شخص) لا، لا، كانت تعلم! لا تحدثها، تحدث مع.. معي أنا. (بعنف، لمادلين) كنت سأنتقم منكِ، لكني أخيرًا وجدت السلام أو هو من وجدني.. (ينظر بجواره) إتركوها!"

"من معنا؟"

"لا أحد... غريب!"

دخل عليهما الضابط معلنًا إنتهاء المقابلة، خرجت مادلين و واضح عليها الذعر..

جلس جوريوس مكانه و بدأ يأكل من الطعام الذي تركته له السيدة التي زارته..

و لم يتمكن من مادلين إحساسها بالذعر لأكثر من ساعات معدودة لأنها لم تشعر في أعماقها بأحقيته أو وجوبية وجوده في حوارها مع جوريوس و إعتبرته إحساس وهمي و إنتصرت عليه.

الفصل الرابع و الثلاثون:

كان هناك شيء ناقص، هذا ما شعر به تايبريو، لكنه لم يعرف ما هو.. أخذ يفكر "كيف تراه مادلين؟" و يركب صورته مما رأت منه و مما حكى لها عنه. أراد تايبريو أن يثبت لمادلين إنه بلطجي كما تراه، فقد وجد إنه من الضروري أن يبقى الحال هكذا بهذه الصورة و بهذه الفكرة عنه.. و بدأ التنفيذ!

إشترى تايبريو مظلة و دفع ثمنها، لكنه إتفق مع المتجر إنه سيأتي بعد ساعتين ليأخذها.

ذهب تايبريو إلى بيت مادلين، رن جرس الباب، فتحت له مادلين، قال لها: "ألستِ جائعة؟ أيمكنك أن تشاركيني العشاء الليلة؟"

ردت مادلين، و هي مبتسمة: "أين؟"

قال لها: "في مطعم هيتشيري ليزون، هل أكلتِ فيه من قبل؟ يقدمون أشهى المشويات!"

"مشويات للعشاء؟"

"فلنأكل و نستمتع!"

ضحكت مادلين وقالت: "سآتي معك! إنتظرني!"

دخلت مادلين بيتها و إستعدت للخروج و رافقته..

سألت مادلين، في حيرة: "إنكسر زجاج النافذة بالأمس من دون أي صوت، ألا تدري ما قد يكون السبب؟"

"لم أكن معكِ!"

"و لِمَ ستكون معي؟ كل الناس يريدون أن يكونوا معي، أنت لا ترى نفسك حتى جدير بهذا الشرف و أنا أحترم فيك هذا. لكن.. ألست بلطجي؟ ألا تعرف عن هذه الأشياء؟ ألم تضطر مرة لكسر نافذة أو إصلاحها؟ ألم تعمل في هذه الحرفة مطلقًا؟"

"أعمل في كل شيء!"

"إذن لِمَ لم تجاوبني حينما سألتك؟ أسرار المهنة؟ تريدني أن أدفع لك المال من أجل الإستشارة؟ أم إنك لا تعرف شيئًا و تتحجج بما سيريحك من عناء التفسير و إيجاد الإحتمالات؟ قل إنك لا تعرف شيئًا! قل إنك فاشل!"

"أهذا ما سيرضيكِ؟"

ضحكت مادلين و قالت: "نعم، بالطبع نعم!"

"أنا لا أعرف شيئًا!"

"يااااه، أنت لا تدرك ماذا فعلت.. عرفت سبب من الأسباب التي تجعلني لازلت أبقى على مرافقتك، أتعرف ما هي؟"

"لا، هل هي معادلة صعبة مثل كل نظرياتك؟"

"أنا أحب الفاشلين؛ أفضل أن أعيش معهم، هؤلاء الذين يحبون فشلهم و يستمتعون به.. لا أحب أن أستمع للناجحين و لا أن أشاركهم نجاحهم، أمِّل منهم و لا أرتاح معهم. هم و هؤلاء الغير راضيين عن فشلهم يبحثون دومًا عن بدلة الإبهار بعد أن يتمكنوا من حيازة طوق النجاة، الضحية، لينجوا بها و يكونوا ناجحين إن أتيحت لهم الفرصة أو لكي يستمروا على نجاحهم.. و يدفع المختارون الثمن."

نظر لها تايبريو و هو لا يعقل كلامها لكنه إبتسم إبتسامة خفيفة فيها قبول لما سمع، لكنه لم يفهم على أي إستناد أو خبرات تقول مادلين هذا؟

بعد أن قطعا مسافة شارعين، وصلا إلى المطعم..

دخل تايبريو و مادلين المطعم، و جلسا على إحدى الطاولات، شاور تايبريو للنادل و كأنه يخدمه هو فقط بطريقة فظة.. ما أن وقف النادل بجوار طاولتهما حتى قال له تايبريو: "إحضر لنا كل المشويات التي تقدمونها هنا و بسرعة!"

رد النادل: "هذا وقت العشاء، لا نقدم المشويات الآن!"

"لكننا نريد المشويات، أستختار لنا ما نتناوله على العشاء؟ هل صعب عليك أن تقوم بالشواء الآن؟ أتؤجرون المعدات أوقات و أوقات؟"

"حضرتك..."

"(بثقة) حضرتي حضرت و طلبت ما أريد.. مما تقدمونه، هل أصبح بمستحيل؟"

"أمرك!"

إنصرف النادل و على وجهه التذمر..

بعد دقائق، عاد النادل و معه طبق كبير به مشويات، وضعه على الطاولة و إنصرف في الحال.

بدأ تايبريو يأكل من الطبق الرئيسي، دون أن ينتظر مادلين أو يعزم عليها.. حتى إنه لم يأكل في طبقه الخاص الموضوع أمامه.

علقت مادلين على سلوك تايبريو بوجه عام: "أحب مشاهدتك و أنت تطبق كل ما يخالف الإتيكيت و يتنافى معه، أحب أن أصحح أخطائك في مخيلتي، و ما أكثرها!"

رد عليها تايبريو و هو يأكل: "لِمَ لم توجهيني؟"

"قلت لك أحب مشاهدتها.. أستمتع بها، لِمَ سأمنع إستمتاعي عني؟"

"ألن تأكلي؟"

"لا! أنا فقط أشاركك طاولة عشاء الليلة، نسبيًا كما أتت لي الدعوة بالضبط!"

إنتهى تايبريو من تناول الطعام..

نظر تايبريو في ساعته، و قال لمادلين: "فلنذهب الآن!"

خرج تايبريو و مادلين من المطعم، وقفا أمام المتجر الذي إشترى منه تايبريو المظلة و قال لها: "إنتظريني هنا، سأعود بسرعة!"

دخل تايبريو المتجر و نظر لمن إشترى منه المظلة يطمئنه و يعرفه إنه قد أتى ليأخذ ما إشتراه. أخذ تايبريو المظلة و كأنه يسرقها، ظهر هذا في خطواته الحذرة و نظراته المترقبة حوله كل ثانية.. خرج تايبريو من المتجر و هو معه المظلة يخبئها في معطفه متجهًا نحو مادلين.

رأت مادلين كيف أخذ تايبريو المظلة في المتجر و كيف خرج بها، فعلقت و قالت له: "أتسرق؟ لست فقط بلطجي و وقح، لكنك أيضًا سارق!"

رد تايبريو، بسعادة: "يمكنني أن آخذ أي شيء أريده!"

"لا أدري! أهذا مرض أم هواية أم وظيفة لك؟"

"هذه.. هواية، أستمتع بها!"

"أتريد المزيد من الإستمتاع.. إسمع، لدي ٣ طرق أفضل مما تفعله هذا!"

"لا، أنا أحب ما أفعل.. فلتكن طرقِك لنفسك!"

"هي لنفسي طبعًا، يمكنني أن أستدعيها حينما أشاء أينما أشاء.. لا تتسرع و تقول إنك لن تسمع.. أنا أحب التحديات و المغامرات دومًا.. لن أعظك، لا تقلق!"

"ما هي هذه الطرق؟"

"الطريقة الأولى: يمكنك إثارة شعور الخوف و القلق في المتجر بأن تمثل إنك هنا لتسرق شيء.. كأنك ستسرق و عينيك على الهدف، لا تحيد عنه.. لكن لا شيء معك في النهاية أثناء خروجك من المتجر، لن يجدوا شيء، لأنك لم تسرق شيء! لكن بها مجازفة، إن حدثت أي سرقة في المتجر فيما بعد، فسيتهمونك أنت!

الطريقة الثانية: حينما تدخل المتجر، تضع على طاولة الحسابات مبلغ من المال، تقديرك لقيمة ما تنوي سرقته، ثم تدخل المتجر و تأخذ ما تريد خلسة و كأنك تسرقه، لكن تكون قد دفعت حقه كاملًا.. مسبقًا!

الطريقة الثالثة: و هي الأفضل و الآمن هي إنك تشتري الشيء و تأتي لاحقًا لتأخذه بالإتفاق مع البائع.. مرة تمهد لمرة!

هذا يعتمد على ما يثيرك في العملية كلها: تضليلهم؟ شعورك إنك أخذت الشيء غصب عنهم؟ حصولك على الشيء خلسة و بطريقتك الخاصة؟"

قال تايبريو، في تعجب و حيرة و ذهول، خصوصًا بعد أن سمع الطريقة الثالثة: "كيف عرفتِ؟"

"كيف عرفت ماذا؟ وضعت نفسي مكانك، و أتت لي هذه الأفكار.. فلننفذ واحدة منها الآن! مر وقت طويل و لم أعيش أي تحدي."

"إختاري متجر!"

"متجر الألعاب النارية!"

"أين هو؟"

"في أخر الشارع!"

ذهبا معًا و دخلا المتجر..

ما أن دخلت مادلين المتجر حتى قامت بوضع المال على طاولة الحسابات.. لِحظّها، رآها موظف الحسابات، فنظرت له بصمت أن يسكت و يأخذهم و يحافظ على السرية.. إختارت مادلين ما تريد و رأت بطاقة السعر، وجدت نفسها قد دفعت أكثر من قيمة ما تريده، زادها هذا ثقة و أخذته و كأنها تسرقه، أو بمعنى آخر، أقنعت نفسها إنها تسرقه.. و فعل تايبريو ما فعله بالضبط في متجر المظلات، أي الطريقة الثالثة، لكنه أتم العملية في دقائق معدودة هذه المرة.

بعد أن حصلا على ما أرادا، خرج تايبريو و مادلين من المتجر و كانت مادلين في قمة السعادة. وقفا في ساحة فضاء، قالت مادلين لتايبريو: "سأوجه الأشجار و الماء و النسيم و الرياح، سيعزفون لنا أجمل السيمفونيات. (إستخدمت مادلين الألعاب النارية و وقفت وسطها وكان المنظر رائعًا تشع منه البهجة و الحياة بألوانها الزاهية.)

(و هي تدور حول نفسها) سأمزج ألوان ورود الكون كلها و تكون هي ما يلون العالم من حولنا... و سأخلط عطورها و ستصبح روائحها ما نتنفسه كل يوم في حياتنا.

(نظرت له) يناديني هذا الحب، فهل يرضيك؟"

ظل تايبريو ناظرًا لها و هي لازالت ناظرة له منتظرة الرد، ثم إستدار و إتجه إلى سور، جلس فوقه و قال: "يرضيني؟ و من يجد حب كهذا؟ لكني.. أتحداكِ!"

جلست بجواره مادلين و قالت، و هي تنظر إليه: "لا تتحداني!"

"سأثبت إنكِ مخطئة!"

"لا شيء صعب علي! سأفعل كل هذا، طالما قلته، سأفعله!"

"أستحبينني؟ (لم ترد مادلين، ظلت ناظرة إليه) أليست الورود و العطور و الرياح و الأشجار تشهد على هذا الحب؟ أنا عندما تحديتك، تحديت حبك!"

لم ترد مادلين و ظلت تحدق به..

قال تايبريو: "أتقبلين التحدي؟"

"أنا أعشق التحدي.. فليكن، لكن إن تحدتني، فلا تلومني على أي نهاية!"

ضحك تايبريو و وقف قائلًا: "أنتِ، مادلين، أنتِ المتمردة الرقيقة، المتهورة المتأملة، الساذجة ذات الخبرات التي تفوق عمرها، البريئة التي تحب التحدي."

و قفت مادلين و قالت: "بدلًا من أن تنعتني بأي صفة كانت أو حال، فقط قل إسمي، نادني، قل "مادلين"، هذا وحده سيفسر كل شيء."

"معكِ أُذهل، أرى الحياة بمنظور جديد!"

"معك أذهل، أكون أنا معك.. أنا التي فقدتها و إفتقدتها منذ زمن بعيد!"

أتى تايبريو إتصال طارىء على هاتفه اللاسلكي لا يحتمل الانتظار، لم يرد عليه، لكنه قال لمادلين: "يجب أن أذهب الآن، يريدوني في أمر طارىء."

"لا تتركني وحدي، لا أريد أن أكون بمفردي، أنا حتى لا أستطيع أن أجتز خيالي من الحائط ليكون جليسي، فهو و أنت المفضلان لدي و ليس عندي غيركما و لن أرضى بغيركما."

"ماذا سأفعل؟ أنا مشغول حقًا!"

"مشغول؟ ماذا يعني؟ إن كنت مشغول مثلي، فقط مثلي، فلك كل العذر!"

"مشغول مثلك؟ هذا تقليل من حجم إنشغالي الفعلي و إستهانة بمن يطلبني الآن."

"أنا أتحفظ على طريقة كلامك معي و المعنى الذي تكنيه بعباراتك اللاذعة هذه!"

"أعتذر، مادلين! لم أقصد إهانتك! أنا هكذا دائمًا! لا أعرف كيف أجالس السيدات الراقيات مثلك، سامحيني!"

لم ترد عليه مادلين و أدارت وجهها..

قال لها: "أنا فعلًا مشغول.. مشغول مثلك! كنت أتمنى أن تطول لحظتنا هذه إلى ما بعد الدهر.. لكن سنتقابل مرة أخرى، و قد تكون في المرة الأخرى أوقات أكثر متعة. نكتفي بهذا الآن؟"

"إذهب! لن أعطلك! إمضي في طريقك و اتركني! أنا مكاني أن أعيش وحدي.. لست في حاجة إلى أن تطلب منهم أن يتصلوا بك، أنت حر، يمكنك الرحيل وقتما تشاء، لا أمل لي و لا رجاء."

"لا تظني في، لا تسيئي فهمي، أرجوكِ، مادلين!"

إستدارت مادلين محاولة إخفاء دموعها..

قال تايبريو: "مادلين.. مادلين، إنظري لي!"

تركته مادلين و ذهبت متجهة إلى بيتها بخطوات سريعة، و ظهر على تايبريو اليأس و تأنيب الضمير و ذهب حيث إستدعي.

أشرقت شمس يوم جديد، شهد ما هو جديد.. فقد إنتشرت الصحف و زادت مبيعاتها و تواجدها مع مواطني آلاي بما تحمل من أخبار نارية و تطورات، كانت من أبرز عناوينها:

"مقتل حارق عقار المكتب الثقافي، العقار ٧٠"

"مقتل مجرم العام في زنزانته، و النبأ لازال بلا فاعل!"

""دكتور آيماس يحكي: "أنا الضحية، و قد أنقذت جوريوس من نفسه".. "فعلت كل هذا لأجل أختي الضائعة، نوريتا.. نوريتا، عودي لنا!" .. "الدواء الذي كتبته لجوريوس هدأه و أرشد ضميره، أليس هذا غاية العلاج النفسي؟" .. "نعم، حققت إنجاز و لا شك عندي!""

لكن من هو قاتل جوريوس؟ كيف مات؟ كثر المشتبه فيهم بالرغم من وجود جوريوس في السجن آنذاك.

و السؤال لازال قائمًا..

من تتهم؟

الفصل الخامس و الثلاثون:

دخل تايبريو مكتب صديقه، المحقق تشاد..

الهوية و الشخصية الحقيقية لتايبريو آن لها أن تظهر من خلف الستار، لكن ليس للجميع إلى الآن..

قال تشاد: "هل أعجبك العمل مع العصابات؟ نحن لا نراك إلا بالصدفة عندما تأتي لنا و تزورنا.. كيف أحوالك؟"

رد تايبريو: "بخير! كيف حالكم؟ (جلس فوق المكتب) و ما جديدكم؟"

"يعجبني مباشرتك لعملك في المكتب و أنت في قمة إنشغالك بالمهمة الموكل بها.. أمامنا قضيتين؛ قضية تهريب أموال و قضية مقتل جوريوس، هذا الذي أحرق العقار الذي به المكتب الثقافي."

"أين الملفات؟"

"أعرف إن لا وقت لديك لقراءة الصحف. (مشاورًا على المكتب) هذه هي ملفات القضيتين و التحقيقات!"

"لا أطالع الصحف إلا لمعرفة العناوين، أحضر هنا لأعرف التفاصيل."

فتح تايبريو ملف قضية جوريوس و أخذ يقرأ فيه ثم قال: "تطور غريب و سريع و مثير في قضية مجرم القرن، (و هو يقرأ) مات مسمومًا! (في حيرة، لتشاد) ألم يتناول هذا اليوم ما كان يتناوله كل يوم؟"

"حدث هذا في يوم الزيارات!"

"من زاره يومها؟"

"زارته سيدة و معها طعام له، إدعت هذه السيدة إنه إبنها و لم تره منذ سنوات، أخذت تتحايل بكل الأساليب و الضغط و الإستعطاف أن تقابله بسرعة و كأنها في سباق.. و تمت لها الإجراءات في أقل من نصف ساعة.. و دخلت و غيرت حالته المزاجية لأفضل حال حتى إنه أوصى عليها بعد خروجها من عنده.. ثم زارته فتاة تدعى مادلين.. والتي كان عنيفًا و ثائرًا معها.. و سبقهما طبيبه النفسي، آيماس، و كان هادئًا معه و بعد أن خرج من عنده."

ذهل تايبريو عندما سمع إسم مادلين، لكنه حاول أن يخفي ذهوله، قد تكون فتاة أخرى تدعى مادلين و ليست من أتت على باله وقتها.

قرأ تايبريو في الملف لدقائق، ثم قال، في جدية و هو منشغل بما يقرأ: "هل كتب جوريوس فعلًا إقرار بذنبه؟"

"نعم! و قدمه آيماس بعد وفاته!"

"لا بد أن تستدعي آيماس و هذه السيدة.. أتذكر إني سمعت جوريوس في الأخبار يقول إنه ليس لديه عائلة، فجأة، تظهر والدته و تحضر له الطعام؟ و هذا الذي تنازل و قبل أن يعالجه، على غير العادة و بسرعة، يقدم إقرار منه و بإسمه يدينه و لا يبرئه؟ هناك غموض، و كأن هذه التصرفات موجهة، ليست بطبيعية.. فلنستجوب السيدة أولًا!"

"سأستجوبها.. لكن.. لِمَ تستبعد هذه الفتاة؟ قد تكون هي القاتلة!"

"قلت لي إسمها مادلين؟"

"نعم!"

"هل تعرف شيء آخر عنها؟"

"بياناتها التي أدلت بها لطلب المقابلة.. لا أذكر منها شيء سوى إنها تسكن في شارع آريْلا."

ذهل تايبريو مرة أخرى؛ فمؤشر شكه يتجه لليقين، فقال، محاولًا أن ينهي الموضوع مؤقتًا إلى أن يفهمه: "سيظهر كل شيء لا تتعجل و تحكم على الناس!"

"و ما أخبارك؟ سمعت إنك تقضي وقتك مع فتاة.."

"إذن؟"

"من هي؟"

"هي خيطي للحياة و ..."

"تحقق في جريمة و تحتاج أقوالها؟"

"ربما!"

"أُذكِّرك مرة أخرى، لا تظهر لها أخلاقك المهذبة التي لطالما عرفناك بها، لا تنسى نفسك معها، أنت الآن عضو في عصابة. أنا أعرفك جيدًا، لذا أُذكرك."

"(في أسف) و ما ذنبها؟"

"ذنبها توقيت ظهورها في حياتك و دورها فيها، ألا ترى إن مهنتك هي ما يقود حياتك، لا تضيع نفسك من أجل أي مخلوق كان."

"(مبتسمًا بإمتنان) شكرًا على النصيحة!"

ثم أخذ تايبريو يقلب صفحات الملفات التي بيده و هو جالسًا فوق المكتب.

الفصل السادس و الثلاثون:

قرأت مادلين الأخبار في الجريدة و قالت بغيظ: "كلما إلتفت أمامي أو خلفي، أجدك! لا بد أن أصحح أخطائك دومًا! ماذا تظن نفسك؟ لا بد أن يعرف العالم الحقيقة! لن أسكت عن حق أبدًا!"

لم تلحظ مادلين خبر موت جوريوس، قرأته قراءة عابرة دون قصد منها، كل ما شد إنتباهها هو صورة آيماس و تصريحاته السخيفة..

في صباح اليوم التالي، إتجهت مادلين إلى قسم الشرطة.

جلست مادلين في مكتب المحقق، تشاد، تنتظره..

دخل تشاد و قال: "أستاذة مادلين، كيف يمكنني مساعدتك؟"

"أشكرك، لا أحتاج إلى المساعدة، جئت لأسحق الحقائق التزييفية التي وصلتكم من مصادر تتلاعب بالرأي العام.. جئت لأصححها."

"ألا تري إن في هذا إستخفاف بتحقيقاتنا؟"

"أنا لا أستخف بشئ، كيف أستخف بكم و أنتم لا تملكون من الحقيقة شيء؟ (جلس تشاد على كرسيه) أنا هنا لأظهر الحقائق.. آيماس هذا لا يمت لعلم النفس بصلة؛ لا يمكنه أن يفرق بين العقل البشري و الحاسب الآلي.."

"ماذا تقصدين، أستاذة مادلين؟ و ما هي حقائقك؟"

"آيماس هذا الذي يزعم إنه طبيب نفسي، كاذب! هو في الحقيقة صاحب سلسلة مطاعم، أنا لا أعرف كيف إستطاع أن يأخذ تصريح.."

"كيف هذا؟ ما هو إثباتك؟ و ما علاقتك به؟"

"هو جاري؛ أعرف عنه كل شيء."

"تعرفين ما تحدث عنه آيماس؟ تعرفينه هو؟ و.. ماثيو و جوريوس و ..."

"أعرفهم كلهم!"

"ما علاقتك بكل منهم؟"

"ماثيو طلب مني أن أصمم له ديكور بيته. عندما رآني، بكى على عمره و حياته و كرهني و تجاهلني ثم عرف قيمتي، فعاملني كوالدته.

علاقتي بجوريوس، آه، جوريوس، كان يخفي عني و عن الجمهور إنه مدمن إحدى أنواع مغيبات العقل، أخفى هذا بتقديمه برنامج أغنيات على الراديو. في يوم اصطحبني معه لمحطة

الراديو التي كان يعمل بها، عرفني على أصدقائه و عائلته، كانت وجوه غير مألوفة لي، لم أرها من قبل، هم يعملون خلف الستار، تبين لي في هذا اليوم إنه كان في وضع حرج، فقد طلب مني أن أغني معه بدلًا من المطربة الأصلية للأغنية، أعرف إن هذا يعتبر خداع و تضليل و ظلم، فإنسحبت و تركته.

أما علاقتي بآيماس فهي ليست على ما يرام، لا أنكر إني تدخلت في عمله لكن كان هذا واجبي، واجبي أن أصحح الإخفاقات التي كنت أراها لأنقذ ما أمكن إنقاذه. و قد إتهمني بأني المتسببة في ضياع أخيه، و حينما عرف إنه مخطيء، كعادته، حاول أن يصالحني بنظرة إمتعاض."

"زرتِ جوريوس مرة في السجن..."

"مرة؟ بلى، مرتان!"

"كيف هذا؟"

"إسأله!"

"مات جوريوس، ألم تصلك الأخبار كاملة؟"

"مات جوريوس؟ لا تقل مات جوريوس، بل قل سبقنا إلى العالم السحري المثير أو قل إستيقظ قبلنا لوجودنا الحقيقي.. لكن هل مات حقًا؟ لكنهما مرتان! أنا أتذكر جيدًا و رأيته و هو... (مذهولة من نفسها) يموت.."

جلس تشاد أمام مادلين و كله إهتمام و إنتباه لما تقوله: "مثبت لنا رسميًا إنكِ أتيت مرة واحدة.. هذا كلام شديد الأهمية!"

"(لازالت تحت تأثير الصدمة التي لم تتداركها بعد) لهذا أتيت لك!"

"و كيف مات، كما رأيتي؟"

"حينما زرته أخر مرة، لم يعيرني أي إهتمام مما أثار غضبي و لكن غضبه كان يفوق غضبي، رأيت هذا في عينيه، لم يبق معي، تركني مع أصدقائه و إتجه صوب جدران السجن و هو سعيد و أخذ يشرب من هذه المياه التي كانت تتدفق من الجدران، كانت مسمومة بمبيدات حشرية و لكنه كان فرح بها و إستزاد منها، حتى وقع أرضًا و لم يعد يتنفس.. كأن هذه الماء سر الحياة كانت هي سر موته و قضت على أنفاسه التي كانت تصارعها لتبقى.."

"لكن جوريوس لم يمت بهذه الطريقة، و لم يكن أحد معه آنذاك."

"كيف هذا؟ أنا كنت هناك، أراه كما أراك أمامي! (تذكرت فجأة، بإستغراب) آيماس.. (مؤكدة) آيماس أيضًا كان معه وقتها!"

"آيماس؟ أتعرفين لِمَ قبض على جوريوس؟"

"أعرف القصة بأكملها، لهذا جئت له في زيارتي الأولى لإني أعرف إنه مظلوم و ورط نفسه بنفسه بكلام غير مسئول فهو مفعول به، يتخذ دائمًا مكانة و محل المفعول به في كل حدث و خبر، هو لا يقوى على فعل شيء من تلقاء نفسه أبدًا."

"و كيف عرفتِ هذا؟"

"إحساسي!"

"لا مجال للأحاسيس هنا، أستاذة مادلين! ما يهمنا و نأخذ به هنا هو الدليل و الإثبات المادي و ليس المعنوي، لا نسير وفقًا للأهواء حينما يتعلق الأمر بمصائر الأشخاص."

"أنا أعي ذلك، لذلك أنا هنا!"

"تعي ذلك؟ و ما هي القصة بأكملها إذن؟ و ما مصدرك؟ كيف عرفتِ بها هي أيضًا؟"

"أنا أتابع الأخبار عن كثب، أتابعها جيدًا و كما قلت، أعرف جميع أطراف.. الحدث، بالنسبة لي، و القضية، بالنسبة لك.. كما إني عشته معهم بطريقة مميزة، أكاد أُحسد عليها.."

"أيمكن أن توضحي كلامك أكثر؟"

"يمكنني، طبعًا! كنت معهم!"

"معهم؟"

"نعم، كنت معهم.. عبر خط التليفون."

"آه، أنا أسمعك!"

"سأقول لك ما حدث بالضبط! ماثيو دائمًا يحب الإستمتاع و الرفاهية؛ هذا النوع من التسلية الذي يكون له مغزى، هدف من ورائه. في يوم، هذا اليوم، إختار ماثيو أن يذهب إلى مطعم آيماس، مطعم كبير فاخر متنوع العروض كما يبدو للكل.."

"مطعم... آيماس؟"

"نعم، عنده مطعم!"

"يجوز يكون قد إمتلك مطعم بجانب عمله الأصلي، من يدري؟ لكن.. يبدو للكل؟ و ماذا عنك؟ كيف يبدو لكِ؟"

"لن أتحدث في هذا الموضوع، لإني إن تحدثت، ستفتح قضية أخرى نحن في غنى عنها الآن... المهم.."

"نعم!"

"ذهب ماثيو هناك بالفعل! آه، أحيانًا يؤنبني ضميري؛ كان من الممكن، إن كان قد سألني، أن أمنعه، لكنه.. (تنهدت)، كما شاء و أبى."

"أبى؟"

"أبى أن يأخذ برأيي!"

"آه!"

"في مطعم آيماس، كان ماثيو جالسًا مستمتعًا. في هذه الأثناء، لفت إنتباهه وجود جوريوس و الذي كان يسجل برنامجه في مطعم آيماس.. إنشغل ماثيو بوجوده، دعاه ليأكل معه و إنضم لهما آيماس و قضوا الليلة في ضحك و مرح إلى أن قرر ماثيو أن يستكملوا ليلتهم في بيته و يحتفلوا بصداقتهم الجديدة.

و هم في ذروة الحوار، شعروا بالحاجة إلى مشروب، ذهب جوريوس متطوعًا ليعد الشاي و ما أن دخل المطبخ حتى إتصلت أنا بهم و رد علي ماثيو بنفسه، و بدأنا نتحدث، كنا نتحدث عن أخر أخبار الديكورات، و فجأة سمعت صوت جوريوس يقول ما يعني إن أنبوبة الغاز فارغة.. فقام آيماس معه ليتصرفا في هذا الشأن.. و ما أتذكره جيدًا هو إن ماثيو، حينما كان يتحدث معي على الهاتف، كان واقفًا أمام طاولة السدوكو. بعد ثمان دقائق تقريبًا، إنتهى جوريوس و آيماس من صنع الشاي و أحضراه، و ما أن ناول جوريوس الشاي لماثيو حتى إنسكب على طاولة السدوكو و دوى صوت إنفجار أنبوبة غاز آنذاك.

هذا ما أعرفه و اعتبر شاهدة، شاهدة عليه بإحساسي و بحواسي."

كان تشاد مشدود الإنتباه بمادلين من صدق نبرتها و نظراتها و هي تحكي ما لا يصدقه عقل و ما يثير كل التساؤلات، لكن ما هي إستفادتها من التدخل في هذا الموضوع و سرد هذه الشهادة؟

ما أن إنتهت مادلين من كلامها حتى أخذت تحدق بتشاد و الذي كان محدق بها، عاد بعدها تشاد لوعيه و قال لها بجدية: "آيماس لم يكن معهما وقت حدوث الحادث، لكنه كان الطبيب النفسي المعالج لجوريوس بعد...."

"آيماس هذا كاذب، لا تصدق ما يقول!"

"لا أحتاج أن أذكرك، أقوالك هنا تختلف عن أي أقوال ممكن لكِ أن تذكريها في أي حوار صحفي، لازلتِ مصرة عليها؟"

"أنا أقول لك الحقيقة، ضحيت بوقتي من أجل تصحيح المفاهيم و إعادة ترتيب الأحداث لتكون مثلما كانت بالضبط."

"و هو كذلك! سنحتاج التواصل معكِ، أستاذة مادلين، أثناء تحقيقاتنا، إن لم تمانعي. لدينا محل إقامة لكِ للأيام المقبلة.. أخشى إنه لا خيار لديكِ"

"يجب علينا أن نتحمل حتى تظهر الحقيقة، أعي ذلك، ما المشكلة؟"

"لا مشكلة!"

و من هنا، حان دور وسائل الإعلام؛ فقد إنتشرت المنشتات الصحفية التي تتصدر الصحف و المجلات و كثرت الريبورتاچات بعد شهادة مادلين، كان من أبرز ما قيل:

"حقائق مادلين سوليدين آلاد: تهيؤات في ملفات التحقيقات؟"

"الدكتور آيماس نصاب! هو صاحب سلسلة مطاعم، أبهذا يعالج الناس؟ أية رخصة كان يقصد؟"

"جوريوس كان مدمنًا بريئًا من الإتهامات، و هذه هي جريمته!"

"مادلين سوليدين.. من أين أتت بأقوالها؟ تنفي وجود أية شبهة جنائية في الجريمة التي هزت أرجاء مدينتنا، أتهوّن على نفسها؟ لِمَ تغير الأحداث و تتحايل عليها؟ أتتستر على مجرم؟ و قد مات المجرم! أتتستر على قاتله؟ ما مصلحتها في ذلك؟ أتطلع على الغيب؟ خبايا الماضي أم غيب المستقبل أم نوايا الحاضر؟"

"حقائق مادلين: أهي خرافية؟ تذكُّرية؟ وهمية؟ أم حقيقية؟"

الفصل السابع و الثلاثون:

جلست نورا ذات مساء تطالع صحف الإسبوع المنصرم كعادتها و إذ بها تجد صور آيماس و تصريحاته تتصدر وسائل الإعلام... فقالت:

"(بذهول) آيماس!!! بعد كل هذا؟ بعد ماذا؟ (بحسرة) أين كنت، يا أخي؟ (بإشتياق) يااه، سنين و سنين، لم أسمع إسم "نوريتا"! (بإنكسار ذو قناعة) أنا نورا الآن.. حياتي الجديدة التي بدأتها مع عائلتي الجديدة منذ أكثر من عشرين عامًا تعيشها نورا.. آه نوريتا.. لازلت تذكرني و أنت.. أنت لم تغب عن بالي لحظة... وجدتك أخيرًا، آيماس، و ليس علي سوى أن آتي لك و أعود، لكن تناقضات القدر حسمت الأمر.. رُتِبَت حياتي، و فات الوقت، لا رجوع، آيماس! لا رجوع، يا أغلى أحبائي.. لكني سأكون ملاكك الحارس دائمًا!

(إستدارت) (بحسرة و غضب) و هذا.. هذا الذي فضلته على كل من أحبوني، تخلى عني يوم زفافنا.. و ليس هذا فقط، لكنه إنتقم مني، قتل عمي، صدمه بسيارته و هو تحت تأثير الكحوليات و كأنه كان يحاول أن ينساني.. جوريوس، أصبح من وقتها وصمة خزي في حياتي.. وصمة خزي محيتها و تخلصت أنا منها.. بعد أن قتل ماثيو حينما.. إستحق القتل!

لم أصدق يومًا أن صوره التي بحوزتي ستكون ذات نفع لي في يوم.. كهذا! و فعلًا.. بالإضافات عاد الزمن و أصلح كل شيء و أصبحت هذه الصور طُعم لصاحبها أوقع به في فخ الكذب بالأوهام.

(متعجبة) رأيته عينًا بعين، و لم يعرفني؟ أم عرفني و فر هاربًا كعادته؟ ماذا كان يفعل في بيتي؟ عم كان يبحث؟ هل.. اشتاق لي؟ هل هناك تفسير آخر لقتله لزوجي؟ (صمت) ماذا كان علي أن أفعل سوى أن آخذ حقي بيدي؟ هذه الأمور كلها لا يحلها ضابط شرطة، هذا ثأر قديم لي.. (تنهدت) كانت حالته مزريه، و هكذا انتقمت الأقدار منه لي.."

جلست نورا و أمسكت بجهاز التحكم عن بعد و شغلت التلفاز لتعرف باقي الأخبار بالصوت و الصورة و تتابع أخر التطورات..

و ما أن فتحت التلفاز حتى سمعت نورا خبر تكذيب مادلين لكل ما يقوله آيماس و التشكيك في هويته و في نزاهته..

قالت نورا، بغضب و حنق و حقد: "أنتِ! هذه الفتاة التي تجرأت علي و على أملاكي! ماذا تريد مني؟ لكن.. مالها و مال أخي الآن؟ ألم يكفها ما فعلته بزوجي؟

هي تقصدني أنا و لا يهمني أن أعرف السبب، مهما كان دافعها، سأسحقها، لن أسمح لها بهدم حياتي..

(بغصة) لم تتورط في مقتل جوريوس بعد.. بالرغم من إن كل الأدلة ضدها، كيف ستضره والدته؟ حتى وسائل الإعلام ذكرت ما حدث بالتفصيل يومها.. والدته التي لم تراه منذ سنوات طويلة، والدته التي فرح برؤيته لها حتى إنه كاد يطير من الفرحة. أهي المشكوك فيها أم هذه

التي ثار عليها و رفضها؟ لكني.. للأسف و مع كل ذلك، يبدو إنني أصبت هدف واحد بدلًا من الهدفين معًا، أخطأت التصويب!

عهد علي إني سأنقذ أخي منكِ، لن تنالي منه، و لا مني. لن أخسر معركتي معكِ، كما خسرت من كان مِلكًا لي، لكِنك أنتِ أيضًا لم تستطيعي تملكه!"

بعد عشر دقائق و نورا لازالت تفكر و تخطط و تستنكر، زارها خطيبها مارشي و ما أن دخل غرفة الإستقبال حتى قالت له: "مادلين سوليدين آلاد من شارع آريْلا!"

سألها في تعجب: "من؟"

"أنت لم تخذلني قط، لكني لازلت أفكر هل سيأتي اليوم الذي ستخذلني فيه؟ هذه الفتاة ستجعل زواجنا في خطر يجب أن نخلص منها، أتريدنا أن نفترق ثانية؟"

"و كيف ستفرقنا إن كان يجمعنا الحب؟ عدنا بعد سنوات طويلة، حاربنا الزمن و معاركه، من هذه لتهددنا؟"

"و ماذا ستخسر إن إنتهيت منها؟ حاولت أن تتعدى على أملاكي في الماضي و الآن ستفسد فرحتي بك.. إسمع، سأقتلها أنا، إن لم تفعل، ثم أقتل نفسي و لأكن أنا شهيدة الحب المُخذِل! (جلست على الأريكة متظاهرة بخيبة الأمل و الإنكسار)."

رد عليها: "(بقوة) لم يَهون علي إنسان قط، و لن يَهون علي! (بضعف و تأثر) أنا أعلم إني أحبك، أنا أعلم هذا، لِمَ تهدديني بفقدانك؟"

قالت نورا، بإصرار و حزم: "لأني لن أعيش من دونك و لن أسمح لها أن تؤذيك!"

الفصل الثامن و الثلاثون:

إتجه تايبريو إلى بيت مادلين ليفهمها حقيقة ما حدث و ليعتذر لها و ليعوضها عن الوقت الذي كانا سيقضياه معًا، و ليفهم منها علاقتها بجوريوس بطريقة غير مباشرة.. لكن مع كل خطوة كان يخطوها تايبريو إتجاه بيت مادلين، كان يتسآل، أتاه مائة سؤال واقفًا عائق بينه و بينها، و إزدادت حيرة تايبريو حينما لاحظ إن رصيد علاقته مع مادلين عبارة عن العديد من علامات الإستفهام، أتى إليها اليوم و هو ينوي و يصر أن يبدلهم إلى نقاط..

طرق تايبريو باب بيت مادلين، لكنها لم تفتح له.

قال تايبريو: "هل لازالت نائمة؟ هي دائمًا نائمة! أم.. خرجت؟ سأطرق الباب مرة ثانية، لعلها تستجيب."

طرق تايبريو الباب مرة ثانية، لكنه لم يلقى أية إستجابة.. حاول تايبريو مرة أخرى و أخرى إلى أن ظهر عليه اليأس و تنهد..

قال تايبريو، لنفسه: "سآتي في وقت لاحق! صعب أن أعرف مواعيد نومها، كل الساعات عندها مباحة للنوم!"

و هو في طريق خروجه من حديقة بيت مادلين، لمح صندوق البريد الخاص بها مفتوح و يظهر منه ظرف.

أخذ تايبريو الظرف و قرأ ما عليه: "عاجل و ضروري!"

قال تايبريو: "مادلين لم تستيقظ بعد، قد ينتهي الأمر الذي أرسل بسببه هذا الخطاب و هي لازالت نائمة.. سأفتحه و أقرأ ما فيه، قد أستطيع أن أفعل شيء أو أخبر مادلين.. لا أعتقد إنه سري، (فحص الجواب) لا علامة للسرية عليه! سأقول لها لاحقًا!"

فتح تايبريو الخطاب و أخذ يقرأ ما فيه و هو يسير بعيدًا عن بيت مادلين منهمك فيما يقرأ.. ثم توقف سارحًا يفكر في الأمر، فأخرج ورقة من جيبه و نقل العنوان المذكور في الخطاب. ثم وضع الخطاب في الظرف و أغلقه و عاد مرة أخرى إلى بيت مادلين و أعاد الظرف في صندوق البريد و أغلق باب الصندوق، و قرأ العنوان مرة أخرى و كأنه يرتب أموره و إنصرف بعدها.

ذهب تايبريو إلى ساحة تجمع أفراد العصابة، و ما أن دخل تايبريو حتى قابله ألشيل.

قال ألشيل: "أين كنت؟ كنت سأذهب لك! لدينا اليوم إجتماع مهم، أنت محظوظ إنك حضرت!"

قال تايبريو: "إجتماع؟ أي إجتماع؟"

"إجتماع في الصالة المغطاة!"

"أسيحضر الزعيم؟"

"لا يحتاج أن يحضر! نتلقى التعليمات منه، نتلقاها منه عبر الشاشات."

بعد ساعتين، دخل تايبريو و أفراد العصابة الصالة، قاعة الإجتماع..

عندما دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، إشتغل الجهاز و فتحت الشاشة و سمعوا التعليمات دون أن يظهر من يتحدث.

كانت التعليمات كالآتي: "الهدف لام: يُخطف .. الهدف شين: يُقتل .. الهدف ميم: يُقتل .. الهدف فاء: يُسرق."

و إنطفأت شاشة العرض..

قال تايبريو: "لم أفهم شيء!"

رد عليه ألشيل: "أليست معك البطاقة؟"

"أية بطاقة؟"

"عليها التعريف بالأهداف!"

"آه، نسيتها هنا أو هناك!"

"لا بأس! سأشركك معي!"

عم الصمت لدقائق، ظهر على تايبريو القلق و التفكير العميق.

قال ألشيل: "لا تحزن! أعرف إن وقع الصدمة عليك كبير! لكني حذرتك! لا أعرف ماذا فعلت لهم ليأمروا بقتلها، لكنها أوامر!"

"من؟ قتل من؟"

"الهدف ميم!"

"الهدف ميم؟"

"الفتاة التي رأيتك معها و كلمتك بشأنها من إسبوعين!"

قال تايبريو، بذهول: "سيقتلونها؟"

"حان وقتها!"

"كيف هذا؟ بأي حق؟ تعليماتهم هذه عليهم هم، لن ننفذها، لا حق لهم فيها."

"أقدر حنقك و ألمك، لكن هذه هي أوامر الشهر، قضي الأمر!"

"أي شهر؟ شهر سفك دماء البشر؟ كم مرة سمعت كلمة "يقتل" في فيديو مدته ثوان؟ الخالق وحده هو من يقضي الأمر. أي هراء هذا؟"

"أنسيت إنك فرد في منظمة أنشطتها تتنوع ما بين القتل و الخطف و السرقة؟ أتعجب منك كثيرًا، و لا أملك سوى أن أحذرك لأنك صديقي و أخاف عليك: لا تجادل، نحن ننفذ فقط! أنا أتفهم حالتك، لكن إن سمعك أحد، فلا أبشرك.. من يجادل، يصيبه رصاصنا!

لم تعد مثل من يسمع الأخبار فيشعر بالهم و النكد، أصبحت منا، هذه حياتنا و تجارتنا.. و إطمئن، من عهدي بهم أقول لك: هي.. أكيد من جنت على نفسها."

سكت تايبريو و قد زادت حدة توتره و قلقه و شعر بإختناق و عجز لم يشعر به من قبل في حياته كلها، لم يهمه إنكشاف أمره بقدر ما كان مرعوب و قلق بشأن مصير مادلين.

الفصل التاسع و الثلاثون:

قام تايبريو بزيارة نورا مرة أخرى محاولًا أن يتبين نيتها و ما تنوي فعله بعد ما تلقى من أخبار..

إنتظر تايبريو نورا في صالون بيتها و ما أن نزلت نورا السلم حتى قال لها تايبريو: "أريد أن أنتقم منها!"

"ممن؟"

"من خطيبتي.. مادلين! هل نسيتيها؟"

"و لِمَ سأتذكرها؟"

"أنا لم أستطع أن أنساها لحظة!"

قالت نورا: "(بتهكم) و كيف ستنساها و هي خطيبتك؟ (ببرود) لِمَ تريد الإنتقام منها؟ هي بريئة، هادئة، مسالمة، إحساسها عالي، و لديها حُب الظهور.. كما إنها قَبِلَتَك، إذن هي تحبك، لا تظلمها و لا تقسو عليها.."

"(مفكرًا) تحبني؟ (معارضًا) أتذكر الآن، كانت تبكي يوم خطوبتنا، هي خائنة لا تحبني! عرفت العالم كله إني سافرت من أجل المال، غدرت بي و كسرت كبريائي!"

"ماذا تريد مني الآن؟"

"أريد أن أنتقم من مادلين، أريدك أن تساعديني على الفتك بها، هذه الظالمة الخائنة، ألم تجرحك من قبل؟ أليست هي من قلبت حياتك الجميلة رأسًا على عقب؟ فلننتقم منها معًا.."

"ما هذا الذي تقوله؟ إهدأ! لا يمكنني فعل هذه الأمور المشينة في إنسانة. أنا أسامحها، أسامحها من كل قلبي، لعل الرب يغفر لها و ينقذها من الضلال الذي تعيشه."

"هل هذا كل شيء؟"

"و ماذا تريدني أن أفعل؟ لا يمكنني إيذاء إنسان حتى لو كان سيقتلني.. لن أتحمل مثل هذا الذنب! فلينقذنا الرب من شرور النفس.. إذهب و إبعد عنها.. لا تكن بهذا الشر مثلها!"

"هل أنتِ مدام نورا التي كانت تحدثني المرة السابقة هنا في نفس البيت؟"

"و ماذا تغير؟ أنا على موقفي هذا منذ أن ولدت، أتمنى دائمًا أن يحل السلام الكون.. لِمَ نؤذي بعضنا البعض؟ الإنتقام لن يعود بالنفع.."

"لكني أريد أن آخذ حقي منها، أريد أن أراها باكية راجية ذليلة معذبة."

لم ترد نورا، نظر لها تايبريو و كأنه يطلب منها أن تأخذ موقف و تسايره، تمنى لو واجهته بالحقيقة و ما تنوي أن تفعل بعيدًا عن ثوب البراءة و الحكمة..

مل تايبريو من الانتظار و شعر إنه لا طائل من زيارته هذه، فإستدار متجهًا للباب..

أغلقت نورا المسجل في الخفاء و بهدوء، ثم استدارت و قالت، بنبرة حاسمة: "سيحدث ما تريد، سأفعله من أجلك، لطلبك هذا، فقط، من أجل كرامتك التي سحقتها.. (جلست على الأريكة) تعاطفت معك و ليس بيدي تعاطفي هذا.. إستطعت أن تغير إحساسي و أقنعتني."

إقترب منها تايبريو قائلًا: "لكن.. ماذا سنفعل؟"

"اترك الأمر لي!"

"أريد أن آخذ حقي بيدي، أنتقم أنا منها، إمنحيني هذا الشرف، لتكون لي العزة!"

"كثرت مطالبك، سترهقني، ستجعلني أتراجع عن موقفي و أتخلى عن وعدي."

"أرجوكِ!"

"سأرسل لكَ! هذا ميعاد غدائي، صاحبتك السلامة!"

شعر تايبريو بأن نورا تريد التخلص منه، و بهذا قُلِبَت محاولته تلك و أصبحت خطر، أصبح تأثيرها سلبي محرض يخشى عواقبه.

إنصرف تايبريو و هو يظهر عليه الغيظ و خيبة الأمل، خرج و بمخيلته الكثير من السيناريوهات المقلقة التي يتوقع حدوثها بعد هذه المحادثة.

الفصل الأربعون:

في حديقة فيلا عمة مادلين، دخل تايبريو و كأنه يبحث عن شيء أو شخص، رأته سيڤين، التي كانت تجلس في الحديقة تقرأ مجلة و ترتدي نظارة شمس سوداء، فأقبلت عليه..

قال تايبريو: "جئت أقابل والدي مادلين أو عمتها لأمر هام.. لكن يبدو لي إنهم غير متواجدين هنا الآن، سآتي في وقت آخر."

إستدار تايبريو ليذهب، أوقفته سيڤين قائلة: "إنتظر! هل تعرف مادلين؟ هل تعرف أين هي؟ أرجوك، قل لي!"

"و من أنتِ؟"

"أنا سيڤين، أنا إبنة عمتها!"

"و أين عمتها؟"

"هي هنا.. هي تنتظر مادلين.. لِمَ لم تأتي معك؟ و كيف عرفت عنوان هذا البيت؟ هل قرأت مادلين خطابي؟"

"أنا تايبريو.. (أظهر لسيڤين الكارنيه) شرطة!"

"شرطة؟ أنا لم أستدعي رجال الشرطة، أنا إستدعيت مادلين، ماذا حدث لها؟"

"مادلين في خطر، نريد أن ننقذها.. تسلمنا خطابك نيابة عنها.. يمكنك أن تنقذيها إن أردتِ.. نحتاج إلى الكثير من الأجوبة التي لم نستطع العثور عليها بعد.."

"سأقول لك كل ما أعرفه، لكن أريد أن أطمئن عليها!"

"حدثت جريمة قتل.. و هي متورطة!"

"متورطة؟ كيف؟ من ورطها؟"

"هي من ورطت نفسها.. سيدتي، لا يمكنني الإدلاء بالكثير من التصريحات."

"أنا جاهزة لأي سؤال.."

"هو ليس تحقيق! (سارا معًا في الحديقة بخطوات بطيئة) أريد أن أتحدث معكِ عن مادلين و حياتها إلى أن إنقطعت أخبارها عنكم، كما يبدو لي."

"من أين تريدني أن أبدأ الحكاية؟"

"أين والد و والدة مادلين؟ لِمَ لا تعيش معهما حاليًا؟"

"إنفصلا والداها العام الماضي!"

"لِمَ؟"

"لا أعرف، لكن حدث الإنفصال بعد أن تعرض والد مادلين لمصادرة أمواله و أملاكه.."

"كيف تلقت مادلين هذا النبأ؟"

"لم يبلغا مادلين و أخيها، كارل، بالخبر إلا بعد شهرين من إنفصالهما لتكون الصدمة أقل قوة عليهما و يستطيعوا جميعًا التغلب على هذا الحدث و التكيف و التعايش معه.."

"ألم تعيش مادلين مع أحدهما؟"

"لا، صمم كارل أن تبقى مادلين معه و تمسك بها للنهاية و واجه والده و والدته بالحقيقة التي كانا يخبئاها عنهما؛ قال لهما إنهما لم يكونا مرغوبين من البداية "لم تريدانا يومًا، لن أتنازل عنها!". كانت كلماته هذه كالصاعقة و التي أنهت أي جدال في الموضوع لقوتها و مرارتها.."

"و أين عاشا؟"

"في بيتهما الأصلي، منزل والداها.."

"ألم تصادر أملاك والدها؟ ألم يكن البيت من ضمنها؟"

"المصادرة جعلت والدهما يكتب البيت بإسم كارل، إبنه الكبير، ليحمي المنزل من المصادرة."

"و أين ذهبا والداهما؟"

"تزوجت والدتهما من آخر، بعد إبلاغ كارل و مادلين بنبأ الإنفصال بشهر.. و والدهما عاد ليعيش في مزرعة والده في أطراف المدينة بعد أن صدم بخبر رهن إبنه البيت الذي حماه و دافع عنه بإستماتة ليبقى.. ترك بيته بعد شجار حامي بينه و بين كارل."

"و كيف عرفتِ كل هذا؟"

"كارل كان خطيبي! كان يحكي لي كل شيء!"

"و لِمَ رهن كارل البيت؟"

"كارل كان مدمن رهانات.."

"آها، و ماذا حدث للبيت؟"

"أنقذه مهندس الحاسب الآلي الذي كان يعمل في العقار الذي كان به البيت؛ دفع قيمة الرهن في كتمان و سرية، و لم يطالب برد أي مبالغ له.. حتى إن مادلين لم تعرف إلى الآن إن بيتها الذي كانت تعيش فيه كان مرهون و تم إنقاذه."

"كيف عرفتِ؟"

"هذه الأشياء دائمًا ما تظهر مهما حاولنا إخفائها."

"و أين كارل الآن؟"

"تركنا جميعًا.. مات!"

"متى و كيف؟"

"في خطوبة مادلين، أتته مكالمة تليفونية تفيد بوجوبية تنفيذ عقد الرهن فورًا، لم يستطع تحمل الصدمة حينما وقعت بالرغم من توقعه لها.. فمات إثر أزمة قلبية حادة.."

"(في أسف وحزن) أعتذر! (صمت) (بهدوء، متعجبًا) خطوبة مادلين؟ هل هي مرتبطة بأحد؟"

"كانت مرتبطة!"

"ما قصته؟"

"لا أعرفها كاملة.. لكن كان كارل يقول لي إنه يجب أن ينقذ مادلين من مصير مخزي يتجهان نحوه.. يجب أن يحميها بالمال، بقوة المال، يحميها من الذل و الهوان.. و خصوصًا لأن بيتهما العزيز عليهما و مكان إقامتهما الوحيد مهدد بالضياع.. فتراهن مع صديق له إبن رجل ثري إسمه تورجوت على خيل في سباق الخيول.. إن كسب تورجوت، فسيأخذ من كارل لوحة فنية أثرية.."

"كان يمكنه بيعها و إنقاذ البيت.."

"لوحة لا يمكن بيعها إلا بتهريبها و التكتم على بيعها.. لا يمكن نقل ملكيتها و لا يمكن كسب أي مال منها."

"أعتذر على مقاطعتك.. ماذا حدث بعدها؟ ماذا كان سيحدث إن كسب كارل؟"

"إن فاز كارل، فسيعطيه تورجوت ساعته الذهبية.. ثم رفع تورجوت الرهان و تراهن على شاليه يمتلكه.. ثم رفع تورجوت الرهان أكثر و أكثر.."

"واضح تحمسه لهذا الرهان بالذات؛ لا يقين في المجازفات.. "

"أرى إنه كان مخطط لشيء.. فقد أصر على الرهان و مضى على تعهد إنه في حالة فوز كارل، سيعطيه تورجوت سيارته، أحدث سيارة موجودة في أسواق البلد كلها.. و إن فاز تورجوت، فسيأخذ من كارل بطاقة الإئتمان الخاصة به. وافقه كارل و أضاف إتفاقية لرهانهما هذه المرة، كتب فيها بإنه إن خسر تورجوت و فاز كارل، سيرتبط تورجوت بمادلين، أخته، و هذه الإتفاقية تسرى مع التعهد الذي قطعه تورجوت على نفسه، بمعنى، يمكن لهذه الإتفاقية أن تحرر تورجوت من تعهده. ما أثار دهشتي هو موافقة تورجوت الفورية على هذه الإتفاقية و هو حتى لم يرى مادلين من قبل، لكن يبدو إن حماسه أعماه.."

"من أين أتاه هذا الحماس؟"

"أظنه الغش!"

"الغش؟"

"نعم، الخيل الذي كان معروف بقوته، كان واضح عليه، في هذا السباق، التعب و الإرهاق و كأنه مصاب؛ إصابات كانت لاتزال تنزف دماء.

لم يستطع الخيل إكمال كيلو واحد، تخطته باقي الخيول.. فجأة، نهض الخيل و ركض بلا توقف و إقتحم الحاجز البابى للكيلو الأول و الثاني و الثالث و فاز في السباق و هو في قمة القوة و النشاط على عكس كل التوقعات من أكثرها تفاؤلًا لأسوأها على الإطلاق..

كانت ضربة قوية لتورجوت الذي لم يخالطه الشك في خسارة هذا الخيل.. لكنه الآن موقِّع على تعهد سيخسره سيارته، و التي و إن علم والده بخسارته لها و تهوره و رهاناته سيكون أقل تصرف له معه هو حرمانه من الميراث.. و إن عرف والده بإرتباطه بمادلين، و التي لم تختارها له العائلة، فسيطرده من البيت بلا رجعة..

فمن الواضح لي إنه قَبِل أن تتم خطوبته على مادلين سريًا بحجة إنه سينظم أموره أولًا مع عائلته.. كل ذلك في سبيل الإحتفاظ بالسيارة و الثروة حتى لا يستخدم كارل التعهد ضده و يهدم كل شيء. في هذا الوقت، كان كارل يحاول إقناع مادلين بتورجوت بطريقته الخاصة."

"و وافقت مادلين و تمت الخطوبة."

"كانت تتألم كثيرًا و تنهار و هي تحكي لي كيف خدعها كارل و كيف هانت عليه، كانت تحاول دائمًا أن تكذب نفسها و كل مرة تقول قصة جديدة تبريء بها كارل.. تمت الخطوبة بالفعل لكنها فسخت بعد شهرين من وفاة كارل."

"متى كانت الخطوبة؟"

"بعد علمهما بإنفصال والداهما بحوالي شهرين."

"(لنفسه) شهرين.. شهرين! (لسيڤين) و ماذا عن تورجوت؟ ماذا فعل؟"

"ما أن سمع تورجوت نبأ وفاة كارل حتى إختفى من الحفل.. يقولون إنه كان قد سافر في أمر طاريء."

"و كيف فسخت الخطوبة؟"

"لم تقل لي مادلين شيء بخصوص هذا الموضوع.. أعتذر!"

"لا مشكلة! و ماذا حدث بعد الخطوبة؟"

"تدهورت حالة مادلين أكثر.. فجئت لها لأزورها و لأدعيها أن تمكث معنا هنا.."

"كيف كان حالها وقتها؟"

"شاءت الأقدار أن أراها و أسمعها في هذا الوقت بالتحديد.. حينما ذهبت لها لأدعوها أن تعيش معنا، رأيتها هذا اليوم و هي عائدة إلى بيتها."

"أين كانت؟"

"أظنها كانت في زيارة لوالدتها، لكنها لم ترها، أخبرتني إنها حاولت أن تراها، لكن زوج والدتها هو من فتح لها باب البيت و تحجج بإنشغال والدتها، زوجته. كان هذا بمثابة رسالة منه لمادلين بإنها غير مرغوب فيها و لا في زياراتها في حياة والدتها الجديدة.. حتى إنه عارض دخول مادلين البيت، كان جاف معها، أتذكر كيف تحدثت عنه مادلين و الدموع تغالبها."

"ماذا عن والدها؟ ألم تزوره قط؟"

"بالفعل زارته، في نفس اليوم، (مبتسمة) و كأنك كنت معها! في نفس اليوم و نفس النتيجة، لم تقابله إلا إنها رأته من بعيد و هو نائم على فراشه في المستشفى، كان في غيبوبة."

"ماذا حدث له؟"

"تدهورت حالته الصحية تمامًا؛ فقد كان يعيش شهور ما بعد الإنهيار الذي حدث فجائيًا و لم يترك شيئًا."

"له كل الحق! و من منعها من زيارته؟"

"عمتها؛ خالتي! رأت في مقابلته لمادلين إثارة لأوجاعه التي تحاول أن تشتت إنتباهه عنها.. كما إن مادلين تشبه إلى حد كبير والدتها، و هو كان يحبها، من الواضح و حسب ترتيب الأحداث، كانت هي أفدح خسائره، كان متوقع أن تعود الحياة كسابقها و يعودا معًا إلا إنها ذهبت في طريق آخر يلغي أي إحتمال من هذا القبيل."

"(بتعاطف) كان هذا كثيرًا.. (لنفسه) أكبر من أن تتحمله مادلين!"

"كما ترى، بعد أن كانت أسرة نموذجية متماسكة و مترابطة تعيش في حب و سعادة، تفككت فجأة، و كان أثر ذلك صعب جدًا على مادلين.. حتى كارل، أخيها، كان دائمًا، من بعد إنفصال والداهما، يطمئنها، و لا أدري إن كان يطمئنها بهذا أم يرعبها، (نظر تايبريو لها بإهتمام) كان يقول لها: "لم يبق لنا في هذه الحياة سوى بعضنا، سنعيش سويًا، ليس لنا أحد، سندعم بعضنا البعض و نطفو، لن نغرق." الآن، (متأثرة) كارل لم يعد موجودًا، ترك مادلين و هي لا حول لها و لا قوة، لا تعرف شيء عن الحياة و أساليبها و قسوتها و التعامل معها. أُغلِقت كل الأبواب أمامها و تُرِكَت وحيدة. مسكينة مادلين، دائمًا ما كانت تتعرض لمضايقات من الكثير في المدرسة و الجامعة و الشوارع لأنها مسالمة و رقيقة و هذا ظاهر عليها، كما إن الحياة علمتني إن الضعيف يقوى على البريء."

"لكن.. هل كانت تعمل؟ كيف عاشت و تدبرت أمرها؟"

"أنقذها الرب! معجزة إلاهية، الرب رحيم بنا! كانت لا تعمل و كانت هذه أزمة على وشك الحدوث، لكن.. تداركها القدر.. بعد وفاة كارل بإسبوع و قد أوشكت كل الأموال الموجودة في

البيت على النفاذ، أتاها جواب من البنك.. فتحته، علمت إن لها حساب في البنك بإسمها و فيه رصيد لا بأس به.. فرحت، لكنها تعجبت منه.

ذهبت مادلين إلى البنك و عرفت إن والدتها كانت قد أنشأت حساب لها منذ سنوات، حسب نظام بنوك المدينة آنذاك، و خصصته لمادلين لتأمين مستقبلها.. لا أعرف لِمَ فعلت والدتها هذا و لا أدري إن كانت والدتها نفسها تعي السبب الذي دفعها لإنشاء هذا الحساب، لكن.. الحدس و القدر؛ كل شيء له سبب و حكمة. وصلنا إلى.... نسيت، آه، بعد كل هذه الأحداث، ذهبت لها و رأيتها و هي عائدة إلى بيتها و قد.. (تنهدت) كان مشهد مؤثر حقًا لا يمكنني محوه من ذاكرتي.."

"(بإهتمام) كيف كان حالها؟ (بفضول) و كيف كان هذا المشهد؟"

"كان مشهد غير معتاد! كانت مع مادلين زجاجة شربات أحمر في يد و أكواب بيضاء بلاستيكية في اليد الأخرى.. كانت كلما صادفت مادلين شخص في طريقها إلى البيت و الذي لم يبعد عن المتجر بأكثر من ١٥٠ متر، أعطته بعض من الشربات في كوب.

دخلت مادلين العقار و كان يظهر عليها الإرهاق، كنت أشعر و كأنها ليست في حالة إتزان عام. أخذت مادلين تشرب من كوب بلاستيك بعض الشربات و هي تضحك و كأنها تعلن عن مناسبة جميلة تشرب الشربات من أجلها..

ثم إنسكب من مادلين بعض من المشروب و هي تصعد السلم على باب المركز الذي يعمل فيه مهندس الحاسب الآلي، فحاولت مادلين إزالته بعنف.. فشعر من كانوا بالداخل بحركة غير طبيعية بل و مخيفة خارج المركز. خرج المهندس ليرى ما يحدث، فوجد مادلين تحاول أن تنظف الباب بشراسة و حينما رأته، قالت: "أسفة لما حدث للباب، لكن أتعرف؟ أعطاه منظر أجمل، لِمَ أحاول أن أحرره من جماله؟ هكذا أجمل!"

قال لها بقلق: "هل أنتِ بخير؟"

ردت: "سؤالك له إجابتين فقط، لا ثالث لهما، و أنا لا أحب أن أُقيد بإجابة.. لكني أنا بخير، بخير.. بخير حال! ألا تراني؟ أنا أشرب الشربات الأحمر بدلًا من أن أشرب مرارتي و همي. آه، نسيت أن أعطيك بعضًا منه، أنت تستحق الكثير منه، لقد فعلت الكثير لأخي و أعطته الحاسب الآلي (ساخرة ببراءة) و علمته مهارات عاش بها سعيدًا مرفوع الرأس، عاش بها ناجحًا مبهرًا و ها أنا ذا، ألتقط نتائج أعماله الواحدة تلو الأخرى و ينعكس علي و على حالي سُمعته و وقع أعماله. لهذا لا بد.. لا بد لك أن تأخذ من هذا الأحمر، هذا الأحمر الذي يسرى في العروق، أشعر بأنك ينقصك الكثير منه، أنت تحتاجه أكثر و أنا أشكرك به جزيل الشكر، إن وفى بالغرض."

تغير وجه المهندس و ظهر عليه الخجل، وضعت مادلين بعض الشربات في الكوب له و أعطته له دون أن يمد يده..

ثم خرجت مساعدة المهندس لترى ما يحدث في الخارج، فقالت مادلين: "لدينا ضيوف، أهلًا بكِ! (نظرت له المساعدة) إنتظري، سأعطيكِ البعض منه أنتِ أيضًا!" و سكبت مادلين البعض منه بالفعل في كوب للمساعدة، لكن الزجاجة لم تكمله للأخر مثلما كانت تكمل كل الأكواب السابقة، فغضبت مادلين غضب عارم و صاحت: "زجاجة خائنة! لن أظلم أحدًا، لن أظلمها، هذا ظلم، يكفي ظلم!" و ألقت بالزجاجة بعنف على الحائط، فإنكسرت، فنزلت مادلين بجوارها و أخذت تبكي بحرقة بجوارها و هي تمسك الزجاج المكسور..

نظر لها المهندس بقلق و لهفة، نزل و ركع بجوارها في هدوء، لكنه لم يستطع أن يفعل شيء لها، و هنا ظهرت أنا و هدأتها و صعدنا لبيتها. و لم يهدأ المهندس، ظل يسأل عنها كل ست ساعات تقريبًا إلى أن أقنعتها، بصعوبة، أن تترك هذا المكان و تعيش معنا هنا.. معي أنا و والدتي حتى لا تعيش معذبة و لا تعيش وحدها. هذا ما إستطعت أن أسمعه و أراه و ما أتذكره الآن."

"و كيف كان الحال حينما قدمت هنا؟"

"والدتي دائمًا تفرض القيود و تصدر التعليمات، مادلين لم تستطع تحمل سيطرتها و غضبها و ثورانها علينا إن عصينا أوامرها.. قلت لها أن تتبع الدبلوماسية معها، لكنها رفضت و إعتبرته إعتراف منها بقوتها علينا.."

"ماذا قررت مادلين أن تفعل؟"

"قررت أن تتناسى تعليماتها.. بهذا ستثور علينا والدتي و تشب النيران في البيت، لكنها قالت إنها لن تخرج من غرفتها و ستهدأ النار طالما لم تلتقي بالجاز الذي يشعلها.. و إستمر الوضع هكذا لشهرين ثم قررت مادلين أن تتركنا و تذهب بعيدًا عنا في مكان آخر مع أناس أخر بلا قيود، تريد أن تأخذ حريتها كاملة.. هذا كل ما أعرفه! لكني أؤكد لك إن مادلين بريئة و طيبة و نقية و حساسة جدًا، لا يمكنها أن تجرح أحدًا حتى لو نوت..

(راجية) والدتى تتمنى أن ترى مادلين يومًا و تعتذر لها.. هل يمكنك إيصالنا بها؟ هل يمكنك تحقيق أمنية والدتي المريضة التي لا يمكنها مغادرة الفراش إلا بكرسي متحرك؟"

"سأفعل ما بوسعي.. أتمنى لها الشفاء العاجل، أنا أسف!"

"لِمَ تتأسف؟"

"لو مقابلة مادلين مهمة لهذه الدرجة، فلنجتمع في فندق ديلاي، سأتصل بكِ لنحدد الموعد، هل يمكنني أن آخذ رقم يمكنني التواصل معكِ عبره؟"

"سأكون ممتنة لك إن حققت أمنية والدتي هذه، بهذا ستنهي الألم و الضغينة التي عاشتها مادلين و لازالت تؤثر فيها، هذه خدمة كبيرة!" كتبت سيڤين رقم الهاتف على ورقة معها و أعطتها له..

قال تايبريو: "أشكرك!" و خرج من بيت سيڤين و قد حصل على معلومات مساعدة جدًا له في حل لغز حالة مادلين.

الفصل الحادي و الأربعون:

عاد تايبريو إلى آلاي و ذهب إلى بيت مادلين...

كانت الصحف متراكمة على باب بيت مادلين و كأنها قد تركته منذ أيام، فلا أثر لها.. إلتقط تايبريو الصحف و إذ به يجد صور مادلين على الصفحة الأولى تقريبًا من كل الصحف، كلها تتحدث عن خطورة أقوال مادلين و تتسآل عنها.

وضع تايبريو الصحف مكانها و ذهب إلى مكتب صديقه تشاد، المكان المحتمل أن يجد فيه إجابات.

دخل تايبريو مكتب تشاد قائلًا: "ما الجديد في قضية جوريوس، تشاد؟"

"مساء الخير أولًا!"

"مساء الخير!"

"لازلت متحمس للعمل! لا جديد، سوى..."

"مادلين..."

"كيف عرفت؟"

"إستجوبتها؟"

"نعم! هي.. جاءت هنا و أدلت بأقوالها!"

"أين هي؟"

"من؟"

"أقوالها!"

"في الجزء الثاني من الملف، سأريك إياه! (ذهب تشاد إلى مكتب السكرتارية و بعد دقيقة عاد إلى مكتبه و هو يقلب في الملف) قلبت كل شيء بأقوالها هذه.."

أعطى تشاد الملف لتايبريو، قائلًا: "وارد جدًا أن تكون مادلين هي القاتلة!"

أخذ تايبريو يقرأ في الملف، ثم قال: "(لنفسه، في ذهول) ما هذا؟ (لتشاد، في ثبات) أقوالها مثيرة للإهتمام، بالرغم من ذلك، يبدو لي إنها ليست القاتلة، ليست لديها فكرة عن شيء، لا ترابط و لا إحتمالية لوقوع أي مما قالت!"

"لِمَ تغير الحقائق إذن؟ بالعكس، كل الشبهات عليها! أترى كيف غيرتها؟"

"بما لا يمت للواقع بصلة! و ماذا عن أقوال آيماس و السيدة التي دخلت لجوريوس بعده؟"

"آيماس بعد إستجوابه، لم يقل أي شيء جديد عن مرات زيارته لجوريوس، كله مسجل لدينا.. لكن عند سؤاله عن مادلين قال إنه تحدث معها ٣ مرات و كأنهم كانوا ٩ مرات بالنسبة له، كل مرة كان ينشب بينهما جدال لدرجة إنه شك في نواياها، حسب أقواله.. قال أيضًا (و هو يقرأ من ملف): "فقد كانت، بعد كل المشاحنات بيننا، إن رأتني، إبتسمت لي إبتسامة لطيفة و كأنها لم تعرفني من قبل. و ما إستفزني هو ما كانت تفعله بعدها؛ أي مريض أو جريح، إنسان كان أو حيوان، كانت ترسلهم لي لأعالجهم و هي تعي إني أعمل في الطب النفسي و تظهرني عاجز و أرفض مساعدتهم، كانوا يقولون لي إنها من أرسلهم و قالت لهم إني بلا عمل و يجب أن أشغل وقتي بشيء حتى لا أجن، أهانتني كثيرًا بتصرفاتها و كلامها و نظرياتها الجاهلة، أريد أن أقدم بلاغ فيها!"

(ضحك تايبريو و تشاد)

أما السيدة، التي دخلت لجوريوس بعد آيماس، فبعد الضغط عليها و تهديدها بالحبس لإن أمرها مثير للريبة، إنفجرت باكية معترفة بإنها لم تر جوريوس قبل ذلك و لا صلة تربطها به من قريب أو من بعيد.. و علمنا بعدها إنها شخصية ملفقة لأغراض أشخاص أخرى، كزوجة ماثيو مثلًا، قد تكون هي من أرسلت هذه السيدة لجوريوس، قاتل زوجها، و قد قررت أن تنتقم منه بنفسها.. بالرغم من ذلك، لا دليل مادي ضدها يدينها.. لكن كيف عرفت هذه السيدة أن تَحبُك دور الأم على جوريوس؟ ماذا كان مصدرها؟ من يعرفه ليدلها و يرشدها؟"

"كيف أتت بمعلومات عن جوريوس جعلته يقتنع لهذه الدرجة بصدقها؟"

"هذا هو السؤال، من يعرف جوريوس و أراد أن ينتقم منه بإستخدام هذه السيدة؟ ما وجه الإستفادة من ظهور والدته الآن؟"

"مثلما إفترضت، قد تكون زوجة ماثيو لها دخل في الموضوع."

"إن حولنا خيوط القضية لأسئلة؛ هذه الأسئلة التي نطرحها الآن، فلا دليل على معرفة سابقة لزوجة ماثيو بجوريوس، لا وجود لها في المشهد و لا علاقة تربطها بجوريوس غير إنه قاتل زوجها و هو قيد المحاكمة.. فقد مات جوريوس مسمومًا يوم الزيارات! لكن إسمها تم ذكره بشكل عابر أثناء إستجواب السيدة و لا تفاصيل واضحة، كل الإجابات مبهمة فيما يخصها."

"(ضحك) كيف؟ هي تجهز لحفل زواجها الجديد، زوجها القديم إنتهى من حياتها، أغلق كتابه معها.."

"كل شيء جائز!"

"(نظر في الملف مرة أخرى) مات مسمومًا! هل هذا فقط ما توصلت إليه نتائج التقارير؟"

"أخذ جوريوس جرعات زائدة من الدواء جعلته يهزي لساعات قليلة، ثم فقد الوعي. جاءنا التقرير المبدئي عن سبب الوفاة إن الدواء تفاعل مع مادة أخرى غير معلوم مصدرها و لا نعرف إلى الآن كيف تناولها، لازالت قيد البحث، أدت إلى تسممه و موته.."

"أي دواء؟"

"دواء مسموح به.. أعطاه إياه آيماس، طبيبه النفسي!"

"مسموح به؟ طبعًا وفقًا للملصق على العبوة؟"

"و ما غير ذلك؟ على العموم، المعمل الآن يقوم بدوره!"

"ماذا عن الطعام الذي أتت به السيدة لجوريوس؟ ألم يحلل؟"

"أتصدقني إن قلت لك إن لا أثر له؟ لا أثر مادي له سوى إثبات حاله في سجل من سجلاتنا."

دقيقتين صمت، حاولا فيها تايبريو و تشاد كشف إلتباس الأمر.

قاطعه تايبريو سائلًا عما يشغله حقًا و أتى ليعرفه متوسمًا أن يجد طريق له: "ألا تعرف أين هذه الفتاة التي أدلت بأقوالها الغريبة في هذه القضية؟ ألا تعرف أين مادلين الآن؟"

"مادلين محتجزة لدينا!"

"أتمزح؟"

"أنا لا أمزح، إستكمل قراءة الملف! إتخذت قرار بشأنها كرد فعل على أقوالها هذه."

"لكنها بريئة!"

"و كيف عرفت؟ لا تقل لي بالحواس و الإحساس، أرجوك لا تقولها لي."

"أين هي الآن؟"

"في غرف الإحتجاز تحت قيد التحقيقات بأمر النيابة العليا!"

"أي غرفة؟"

"١٠٤"

"سأخرجها من هناك، على ضمانتي، سأتحمل المسئولية كاملة."

"تعرف حجم المخاطرة هذه؟"

"نعم، أعرف!"

"إذن؟"

"سأتولى أنا مهمة التحقيق معها و معرفة كل شيء عنها حتى تخلي طرفها من هذه القضية."

"هي من ورطت نفسها بنفسها. لِمَ تهمك إلى هذا الحد؟"

"أليس هذا بعملي؟ أنا دائمًا ما أقوم به لأقصى حد، أنا منقذ الإنسانية!"

إستدار تايبريو خارجًا من المكتب..

قال تشاد: "تايبريو، تحتاج أن تكتب إقرار أولًا، ثم لك القرار و حرية التصرف في نطاق القرار."

جلس تايبريو على المكتب، و بدأ يكتب الإقرار ثم وقع أخر الورقة.

نهض تايبريو و أعطى تشاد الورقة و إتجه نحو الباب.

قال تشاد: "مادلين في خطر!"

"سأنقذها منه!"

"هناك مخاطر أخرى تحدق بها غير خطر عقوبة جريمة الشهادة الزور و تضليل العدالة، حلقات النيران المشتعلة تترصد بها.."

"ماذا تقصد؟"

"قد تكون هي القاتلة، قاتلة جوريوس لإن هذه هي المصلحة الوحيدة لها في الإدلاء بمثل هذه الأقوال الوهمية.

آيماس يتهمها بتشويه سمعته و الزج به فيما لا يعلمه و تزييف حقيقة شخصيته و يطالب بتعويضات عن الأضرار المادية و المعنوية التي سببتها له و لازالت تتسبب فيها..

نورا، زوجة ماثيو، لا تستبعد أن تكون مادلين، بعد أقوالها هذه، لها يد أو المحرضة على قتل ماثيو و إشعال الحريق في ممتلكاتهما بالإتفاق مع جوريوس..

و قد إعترفت مادلين إنها تعرفهم الثلاث: ماثيو، جوريوس، و آيماس.

ستكون محظوظة مادلين إن عادت لرشدها قبل فوات الأوان، و ستكون الأكثر حظًا إن إستطعت أنت، منقذ الإنسانية، أن تثبت برائتها من كل هذه الإتهامات..

أتمنى لك كل التوفيق، يا صديقي!"

خرج تايبريو من المكتب و هو غارق في التفكير، ماذا سيفعل؟ سؤال مهني حياتي بحت، تمنى لو أتاه الحل مهما كان صعب، مهما بلغت صعوبته، لكنه أحس إنه أمام إمتحان سيظل ضميره يصحح إجاباته فيه للنهاية.. و كان فعلًا إحدى هذه الإمتحانات.

الفصل الثانى و الأربعون:

دخل تايبريو الغرفة رقم ١٠٤، فوجد مادلين جالسة في صمت على فراش في حزن و خوف و قلق، و ما أن رأت تايبريو حتى قالت، متفاجئة: "تايبريو!"

"مادلين!"

نهضت مادلين من الفراش مسرعة إتجاه تايبريو قائلة: "كيف أتيت إلى هنا؟ سيعرفون إنك هنا.. لا أعرف إن كان مسموح لي بالزيارات أم لا.. ألا يجب أن تبتعد عن هذه الأماكن؟ قد يقبضون عليك إن تعرف أحدهم عليك أو أعادوا فتح أية قضية مما تورطت أنت فيها!"

"لا، أنا في أمان معكِ! (إبتسمت مادلين) لا تقلقي! لِمَ أنتِ هنا، مادلين؟"

"هذا هو السؤال الذي أسأله لنفسي طيلة الوقت منذ أن تم إحتجازي هنا.. سأقول لك ما أعرفه.. إجلس، إجلس معي (جلس تايبريو على كرسي و جلست مادلين على طرف الفراش) أنا لا أعرف أين أنا بالضبط! لكني أفزع حينما أرى ساكنيه أو أسمع وقع خطواتهم، أشعر بالبرودة هنا، لا يلائمني هذا المكان، لا يريحني، و أنا لم أفعل شيء يستحقه فيهوِّن علي قسوته.

سأحكي لك: ذهبت ذات يوم لأدلي بأقوالي في قضية مهمة و أنقذ بريء، فقال لي ضابط الشرطة بما يعني إني أهم شخص من الشهود و إني أهم عنصر في القضية كلها.. أتعلم؟ (بتأثر و براءة) حاولت أن أوقف جوريوس، لكني لم أستطع، لم أستطع فعل شيء؛ ترك معي أصدقائه و أخذ يشرب من هذه المياه المسمومة، ثم فتحت عيناي و كأنني كنت أنا أشرب معه.. لكنهم لا يصدقون أقوالي، مهما قلت. بالرغم من ذهول الضابط من أقوالي الأولى، رأيت هذه النظرة في عينيه، هم لا يأخذون أقوالي على محمل الجد و كأنها مؤلفات."

"(لمادلين، بهدوء) تخاريف! (لنفسه) مكتوبة في الملف "تخاريف"! فتحتِ عيناكِ! (متأثرًا) أحلام، مادلين! أحلام!"

""تخاريف"؟ سمعت هذه الكلمة من قبل، ربما!

(بإنفعال ممزوج بالبراءة) ماذا بهم؟ ماذا يريدوني أن أقول؟ أنا لا أحيد عن الحقيقة، فكيف لي أن أسرد أوهام؟ لِمَ يضغطون علي؟ أليست الحقيقة بكافية؟ هي موجعة، ألم يكفهم الوجع وجعًا؟ هل يتلذذون بالعذاب؟ أم إنها ليست بموجعة، هل هناك حقيقة ليست بموجعة؟ إذن، هي لم تكن الحقيقة؟ ماذا يريدون مني؟ يريدون مني أن أكذب و أردد ما يقولون؟ هل هذه هي الحقيقة التي يبحثون عنها؟ فليبحثوا عنها بعيدًا عني، لِمَ يجبروني على الإدلاء بشهادات غيري؟

أحاول أن أساعدهم، صدقني، لكنهم لا يقدرون مساعدتي لهم و لا يقبلونها.. لن يضيع الحق، سأحميه دومًا.

(بحسرة و حزن) حتى إنهم قد أخذوا قلمي مني، لم أعد أتذكر شيء، لا يمكنني تقديم أكثر من ذلك، إستُهلكت، أُرهقت، هُلِكت.. و لم أعد أعي شيء، أخرجني من هنا، تايبريو، أنا لا أعرف

غيرك، كلهم يقسون علي و يتهمونني بما ليس في، إنقذني منهم! أستحلفك بأغلى ما عندك، تايبريو، بأغلى من عندك، أستحلفك بكل غالي عندك، لا تتركني!

أنا لم أهدأ إلا حينما رأيتك.. دعوت الرب أن ينقذني و ها قد أتيت أنت لتخلصني، الحمد للرب!"

"ماذا حدث لكِ؟ إحكي لي!"

نهضت مادلين و قالت: "(و كأنها تتجنب الإجابة و تخفي شيء) لا شيء، فقط أفتقد بيتي، ألن تخرجني من هنا؟ هل أنت صديقي أم حليفهم؟ مهما كنت و كانت نظريتك، أنا لست بهذا السوء، أنا لن أضر أحدًا، هل أذيتك من قبل؟

(عادت لتايبريو، ناظرة في عينيه) بحق كل لحظة جمعتنا، لا تتخلى عني! بحق كل حرف بخلت علي به و كان لي و عني يصف شعورك نحوي سلبًا أو إيجابًا، بحق قدسيتهم عندك المستمدة من قدسية إحساسك و قدسية مشاعرك؛ إن كانت سلبًا، فتحمّلني للحظات و سأرحل دون رجعة بلا مجال لأي صدفة أخرى تجمعنا، أعدك! و إن.. إن كانت إيجابية، فإثبت لي، إن تريد، أو ساير إحساسك و إقطع الطريق أمام الذنب المضني.

مضيت هنا من المدة ما يكفي، الآن، وحدك أنت أملي، لا تخيب أملي، أعرف إنك لست مثلهم، أتيت أنت هنا لسبب لتثبت شيء، تخطيت المتاهة و وصلت لي هنا لسبب، ماذا ستثبت؟ لجأت لك، ماذا ستفعل؟ طمئني! أستتركني لهذا الجحيم؟ أم ستفك قيودي منه؟ لا تفاجئني، أرجوك، بما يخيب ظني. أعدك.. أعدك بماذا؟ أعدك بألا أتركك تجلس وحيدًا أبدًا، إن رأيتك. ما هو تحدي لك سيكون تحدي لي...."

"هل هذه عهود؟"

"نعم!"

"أيمكنك أن تريحيني و توقعي ورقة بهذه العهود؟ فأنا لا أعرف ماذا سيجلب لنا المستقبل، أيمكن أن تطمئنيني بوعدك؟"

"إطمئن! أنا لا أنسى شيء أبدًا! العهد هو مسألة روحانية.. و سأطمئنك على كل حال!"

سحبت مادلين ورقة من فوق الطاولة الموجودة أمام الفراش، أعطاها تايبريو قلم، كتبت مادلين العهدين و وقعت في أسفل الورقة ثم أعطتها لتايبريو و الذي وضعها في جيبه و هو غارق في التفكير.

قال تايبريو لمادلين، بحماس و حذر: "سنهرب من هنا!"

"نهرب؟ هل أنت جاد؟"

"نعم!"

"هل فعلت هذا من قبل؟"

"سأفعله معكِ و سننجح بمشيئة الرب! (بصوت منخفض) إرتدي معطفك و سنخرج بهدوء من هنا، و لنحرص بألا يرانا أحد، لاحظت باب خلفي، سنستغله، لا تقلقي، أنا معكِ و أنتِ معي! لن تريهم مرة أخرى، لن يضايقوكِ بعد الآن!"

"هل هذا وعد منك؟"

"طالما أنا حي فهو عهد و سأثبته لكِ اليوم.. لكن، أرجوكِ، ساعديني!"

"كيف؟"

"(و هو قلق، ينظر حوله مفكرًا) سنرى، سنرى!"

في هدوء و بسرعة و بفرحة عارمة، جذبت مادلين معطفها و إرتدته و ساعدها تايبريو و خرجا معًا من شرفة الغرفة، من الدور الثاني، ثم دخلا المبنى مرة أخرى من شرفة جانبية في الدور الأول.

بعد ذلك، خرج تايبريو و مادلين من الباب الخلفي و كأنهما كانا في مهمة و أنجزاها و إضطرا أن يخرجا من هذا الباب، نظراتهما كانت توحي بإنهما تم الإستهانة بهما، قال تايبريو، بصوت عال: "لن نأتي هنا مرة أخرى، مهما تحايلوا علينا، أبدًا.. أبدًا.."

و ما أن خرجا من الباب حتى إختباءا و ظلا يأخذان منعطفات و يسلكان شوارع غير مزدحمة، كل هذا ليقنع تايبريو مادلين إنه ليس منهم.. كما إنه عرف إن مادلين تحب المغامرات و التحدي، فحاول أن يعوضها عما حدث لها بما تحب...

و ما أن وصلا إلى سيارة تايبريو الزرقاء، و ما أن إقتربا منها حتى أطلق عليهما وابل من الرصاص. ركض تايبريو و مادلين و هما منبطحان و إختباءا خلف شجرة، ثم خلف السيارة، و بعد أن قل معدل إطلاق الرصاص، فتحا السيارة بسرعة و دخلاها.. و إنطلق تايبريو بالسيارة. في هذه الأثناء كان تايبريو يردد، بصوت منخفض جدًا لم تسمعه مادلين: "الهدف ميم!"

قالت مادلين: "هل هناك جريمة حدثت أم إنها سوف تحدث؟"

"أي جريمة؟"

"ماذا كان هذا؟ هل أنت بخير؟ أنا أظن إني لم يصيبني الرصاص، أظن هذا، إذن، لم تحدث الجريمة بعد؟ كانوا يستهدفوننا؟ كيف تتبعونا؟ الرصاص كان من مسافة، كان من أعلى المبنى، ألم تلاحظ هذا؟"

رد تايبريو و هو مشغول البال: "لاحظت!"

"هل هذا إحتفال أم محاولة إغتيال؟"

"لا أعرف!"

"و لن تعرف! لم تقع إصابات، لا وجود لضحايا، لن يذكروها في الصحف أو النشرات الإخبارية.. لكن هل ستتكرر مرة أخرى؟ هل يريدون الشهرة و يصممون أن..."

"لا، لا شيء من هذا!"

"أتعرفهم؟"

"كنت أود ذلك!"

"كيف؟ أليسوا هم مثلك؟ مجرمون!"

رد تايبريو، و هو شارد الذهن: "نعم!"

"أنت لا تضيف لي شيء! ألم يفزعك ما حدث؟"

"أفزعني!"

"حسبت إني فقط من يفزع حينما يتعرض لضرب نار، أراحتني! لكني لم أتعرض له، قد يكون إحتفال أو إستعراض قوى. لن يكون أي طلق ناري دائمًا بصورته تلك التي تخطر فورًا على الأذهان بمجرد وقعه على المسامع؛ لن يكون محاولة إغتيال.."

لم يرد تايبريو، فقد كان منهمك في عالمه المرعب الذي لم يجد مخرج منه بعد، و لاحظت مادلين ذلك.. لكنها كانت قد تعبت من الكلام و لازالت مذهولة بما حدث، إحتاجت لبعض الوقت تمضيه في هدوء مع نفسها، ففضلت الصمت.

مرت دقائق و لازال تايبريو كما كان قبل فترة صمتهما، فسألته مادلين: "ما بك؟ لِمَ هذا التجهم و النظرة المتشائمة الشاردة؟ فيم تفكر؟"

رد تايبريو، في حيرة و حسرة: "صديقي!"

"أنظر إلى نفسك، أتكرهه لهذا الحد؟"

"أنا أعزه بقدر هذا الحد! أنا متأثر لحاله و ما يعيش فيه."

"يعيش في كهف بدائي؟ أم خندق في الصحراء؟ (بإهتمام) ماذا عنه؟ أود أن أسمع قصته.. أحب القصص و منذ أن (تغير وجهها) تركتني والدتي و أنا لم أعد أسمع أي منها."

"المشكلة في خطيبته، هي إما ساذجة أو طائشة."

"لا تهينها في غيابها.. حاول أن تكون مهذبًا، على الأقل عندما تتحدث عن الناس، لم أطلب منك أن تكون مهذبًا معي!"

"أنا مهذب دائمًا!"

"أنا لم أفهم بعد! هل لديها عقار و قد إستأجر صديقك هذا شقة لديها و أنت متأزم للحال الذي يعيش فيه؟ ألا يستطيع أن يدفع الإيجار المطالب به بالرغم من إنها خطيبته؟ كانت خطوبتهما مبنية على المصلحة أم تغيرت شخصياتهما و الأحوال؟ سؤال مهم!"

"ليست هذه هي القصة، تستمتعين بالإفتراض و صنع الأحداث؛ نبرة صوتك و تعبيرات وجهك، تتحمسين لها و أنتِ تثيرين الأسئلة بصنع مواطن تعجب."

"إذن هي أجبرته أن يعيش في قوقعة في البحر محرومًا من حياته!"

"أنتِ لا تستسلمين.... لا!"

"و أنت تبذل مجهود كبير في تحليلك لشخصيتي! لا.. (تنهدت) أكيد أجبرته أن يعيش في بيت في غابة، ليروِّض أم ليروَّض؟"

"الموضوع ليس كذلك مطلقًا.."

"إذن..."

قاطعها تايبريو: "لا، لا!"

"و ماذا لديك؟"

"هذه الفتاة أثارت غيرة زوجة رجل عصابات بتصرفاتها الغير مسئولة.. تصر هذه الزوجة أن تنتقم من هذه الفتاة، و لم تكتفي الفتاة بهذا.."

"(بإهتمام) تقصد طماعة؟"

"ربما! لكِ الحكم أولًا و أخيرًا.. هذه الفتاة قد ورطت نفسها في قضايا هي لا تعرف عنها شيء."

"كيف أتت بالأدلة إذن؟ لتكون مسموعة، يجب أن يكون لديها بطاقات سماح و هي الأدلة.. إن لم يكن معها أدلة، و أنا أشك في هذا، فهي ترتكب جريمة في حق العدالة؛ ستورط أبرياء من دون أن تدري و ينجو المجرمون بفعلتهم.. لكن، ما مشكلته هو؟ هذه مشكلة النيابة و المحققين!"

"هو يحبها، هذه مشكلته و هذا هو كل ذنبه. يريد أن ينقذها قبل فوات الأوان، هل عندك حل؟"

"هي تواجه عدة مخاطر، هل هو مستعد؟ ماذا فعل إلى الآن، بعد أن اكتفى من الحديث لنفسه في المرآة؟"

"ذهب إلى زوجة رجل العصابات، لم يشعر بأي خير منها، كيف يقنع خطيبته أن تبتعد؟ كيف يحميها؟"

"قد ينجح و قد يفشل، لا بد أن يوقف الخطر أولًا.. لكن هؤلاء، من أطلقوا النار علينا، أيحسبونها أنا؟"

"(متأهبًا) ماذا؟ (مستنكرًا) ما دخلك أنتِ؟ (مؤكدًا) أنتِ بعيدة كل البعد عنها! (متعجبًا و مستنكرًا) كيف و لِمَ خطر على بالك هذا؟"

"لا أدري! مجرد حدس.. (في شجن) و كذب الحدس إبتلاء!"

دقيقة صمت مرت، ظهر فيها على تايبريو التوتر و إستكملت مادلين بعدها كلامها: "لقد أخطأ صديقك هذا حينما واجه هذه السيدة، يبدو لي إنها تدبر مكائد، و إن صح حدسي، أتعلم ماذا ستفعل إن كانت كما أظن؟ ستقضي على صديقك هذا لتستفرد بها، أليس هو حاميها؟ ألم يظهر نفسه و دخل بيت الأفاعي دون أي واقي؟ هو من يحتاج لإنقاذ.. في إنقاذه لنفسه أو إنقاذها هي له نجاة لها.. أما عن النيابة، فهذه الفتاة لن تقدم على هذه الخطوة إلا و معها شهادة لم تقوى على كتمانها، صديقك هذا قد لا يكون على دراية بكل شيء كما يظن نفسه."

توقفت السيارة، نظرت مادلين حولها، قال تايبريو: "وصلنا!"

"أين نحن؟"

"سنقيم هنا لبعض الوقت، إن سمحتِ!"

"أتضعني أمام الأمر الواقع و تسألني مطلقًا لي حرية الإختيار الإجباري؟"

"أيمكن أن أتولى عنكِ الإختيار و القرار هذه المرة؟ حضرت لكِ مفاجأة، ستشكريني لاحقًا عليها."

خرجت مادلين من السيارة و قالت: "ليست كل مفاجأة تستحق الشكر، ما هذه الثقة المستفزة؟ كما إني أكره المفاجآت."

خرج تايبريو من السيارة و رد عليها قائلًا: "أحتاج أن أقضي بعض الوقت هنا، أهذا يرضيكِ؟"

"اقضيه و اتركني لحالي!"

"لن تَهوني علي!"

"لكنك هنت علي بالفعل، ألا يستثير هذا كرامتك المبجلة؟"

"لإنك دائمًا ما تحطميها، أبعدتها عنك و عن تعاملي معكِ أنتِ فقط حتى يمكننا تخطي المحادثات و الساعات بسلام قدر الإمكان، فأنتِ صعبة الميراس!"

سكتت مادلين و لم ترد عليه، فقد تذكرت وعودها له منذ ساعات قليلة مضت. إستكمل تايبريو كلامه قائلًا: "أنا أترجاكِ أن ترافقيني، ألا يمكنكِ أن تتنازلي مرة؟ ألا تحرصين على فعل الخير؟"

"و ما الخير في هذا؟"

"مهمة إنسانية نبيلة!"

"أنا لا أفهم!"

"أيجب أن تفهمي؟"

"ماذا تظن نفسك؟ لِمَ تستهين بي؟"

"اعتذر، سأطلعك على كل شيء في الوقت المناسب، أعدك!"

"ما الفرق بين هذا الوقت المناسب و الآن؟"

سكت تايبريو و لم يجيبها.. سألته مادلين: "متى سيحين هذا الوقت المناسب؟"

"لا أدري!"

"أنت لا تدري شيء، هذا هو الموضوع و ما فيه!"

"نعم!" إستكمل تايبريو كلامه: "أستدخلين معي، مادلين، أم نذهب إلى مكان آخر؟"

"(لتايبريو) تفضل! (لنفسها) لنرى ما هذا الخير! سيصحبه تحدي؛ لا خير يمكن القيام به في هذا الزمن من دون تحدي، خصوصًا إذا كان عظيم الأثر!"

دخل تايبريو و معه مادلين الفندق وقت غروب الشمس، حجزا غرفتين، صعدا السلم، كلًا منهما دخل غرفته. نامت مادلين مع حلول الليل، أما تايبريو فظل مستيقظًا طوال الليل يفكر و يفكر قائلًا، لنفسه: "ستنساني على كل حال، فلتبعد عني بإختيارها هي حتى يفيدها النسيان و يكون في صالحها.. يجب أن أفعلها شئت أم كرهت.. إنقاذ الأبرياء واجبي و لن أتخاذل عنه بسبب حبها، فليستمد واجبي هذا قوته من حبي لها.. شهران، الموضوع كله شهران و سينتهي كل شيء كإني لم أكن!

الحب يقوي، لا معاناة فيه.. و أنا أحبها و سأقوم برسالتي المهنية، فهما لا يتعارضا.. إن كانت تحبني، ستفهم، ستعرف، ستعذرني، و قد تشكرني.. لكن.. هل تحبني؟ نظراتها تقول هذا، فقط نظراتها.. إلى متى؟ (في ألم) شهرين، لم يتبق منهما سوى إسبوعين، لن أبقى في بالها حتى و لا أعلم ماذا سيخطر في بالها إن رأتني بعدها و كأنني غريب لم تعرفه أبدًا و لم تصادفه في حياتها..

لن يبقى لي عندها أي ذكرى! سأعذب أنا بهذه الذكرى وحدي، ستكون بداخلي أنا وحدي، ستكون ذكرى لشخصين لا يمتلكها سوى واحد منهما، فالآخر ليس لديه أي خبر عنها، أي خبر هذا و هو حدث من ماضيه؟ لكنه سيسحق ماضيه بنفسه، طوعًا أم قهرًا؟ لا أعلم! لا أفهم! لكني أعرف.. أعرف إني سأحذف من حياتها، أنا و أوقاتي و كلامي و شعوري، كورقات شجر، لا تعيرها الشجرة أي إهتمام، هي فقط تبدلها بإستمرار.. فأنا، بالنسبة لها، مؤدي مؤقت لدورالبطل في مشهد أو مشهدين من الفيلم، فيلم من أفلامها.. في الوقت الذي ستبقى هي في حياتي بطلة قصة حياتي، ربما محورها، ليست أبدًا بشخصية عارضة، ليتها تعي ذلك!

منذ متى و أنا أكرر كلمة "ربما"؟ جعلتني أحتمل حدوث أي شيء و لا أجزم بأي شيء مطلقًا."

"عالم مادلين المُثير"

رواية

تأليف: نهى علاء الدين

الفصل الثالث و الأربعون:

في صباح يومهما في الفندق، إتصل تايبريو بمادلين يطلب منها أن تقابله عند المسبح، و أخبرها إنه سيكون في انتظارها بعد ثلث ساعة.

من الواضح إنه قد تزامن وقت وجودهما في الفندق مع التجهيزات لفترة الأعياد المجيدة، فقد كان كل العاملين في الفندق مشغولين بمهام تنفيذ الديكور المناسب لهذا الوقت من العام.

خرجت مادلين من غرفتها و من مبنى الفندق... و هي في طريقها للمكان المتفق عليه مع تايبريو، إصطدمت مادلين بفتاة، نظرت مادلين لها نظرة مطولة..

قالت الفتاة، في لهفة، لمادلين: "كم إشتقت إليكِ، مادلين!"

لم ترد مادلين عليها..

لاحظت الفتاة رد فعل مادلين و تعجبت منه، فقالت لها: "أنا سيڤين! كنا نأكل و نلعب و نتحدث بالساعات.. أنا إبنة عمتك، مادلين، ماذا حدث لكِ؟ ألم تري والدتي بعد؟ عمتك!"

وقفت سيڤين جانبًا لتخلي الطريق أمام مادلين لترى عمتها.

ما أن رأت مادلين والدة سيڤين، تغير وجهها و صاحت فجأة في وجه عمتها: "أنا لا أعرفك.. أنا أكرهك، أنا أمقتك، أنا لا أريد أن أراكِ، أنا أكرهك، أكرهك!"

تدخلت سيڤين و قالت: "إهدأي، مادلين! هي مريضة و قد أتت من أجلك، ألن تسامحيها؟"

"أسامحها؟"

"نعم! أنتِ لست بقاسية، مادلين.. إصفحي عنها، ستجيدين الراحة بالتسامح مع الماضي و تهدئة الأمور."

"أي راحة؟ أنا لا أبحث عن الراحة، و أي شي من هذه السيدة لا يهمني، لا يعنيني، لا أتمناه.. و من أنتِ؟"

"ألا تذكريني؟"

"من أنتِ لأذكرك؟ ماذا فعلتِ لي لأذكرك؟ إن كنتِ، كما تزعمين، قضيتِ وقت معي، أن لا أتذكر أي شعور مميز تثيرينه في أو يربطني بكِ."

"كيف هذا؟"

نظرت مادلين حولها محاولة الهروب بعيد قدر المستطاع بإحساسها و بأفكارها، لكنها نظرت بيأس. لم تستطع مادلين إستكمال الحديث، فإنسحبت مادلين بسرعة من المكان و كأنها لا تريد الوقوف في مكان يجمعها بهما.

أخذت مادلين تركض و تركض بجانب مسبح الفندق، حتى إصطدمت هذه المرة بتايبريو، فقالت له و عيونها حمراء محاولة أن تخفي دموعها، بتلقائية: "إبعدهم عني! إبعدهم عني!"

"من؟ أبعد من عنكِ؟"

عادت لنفسها، فقالت: "لا أعرف عم تتحدث!"

"من هذه السيدة التي كنتِ تتحدثين معها؟"

"أي سيدة؟ (نظرت حولها) آه، (نظرت لتايبريو) هذه السيدة، إنها سيدة متوحشة!"

"ماذا فعلت؟ هي سيدة طيبة جدًا و يقولون إنها تشبه عمتك!"

نظرت لها مادلين ببراءة ثم قالت: "قد تشبهها لإنها تشبه والدي، لكنها ليست هي، سأريك صورة لعمتي، ليست هي.. هذه السيدة فظيعة! أتعرف ماذا فعلت؟ هددتني! إما أن تأخذ مفتاح غرفتي و تخترق خصوصياتي و تقيد حريتي بإحتلالها غرفتي أو إنها ستشعل النيران فيها و تحرق قلبي على حياتي و حريتي.. إبعدها عني، لا أريد أن أراها.. فلنذهب بعيدًا عن هنا!"

قال تايبريو، و كأنه إقتنع: "متوحشة!"

سار تايبريو و مادلين خطوات للأمام بعيدًا عن سيڤين و والدتها..

علقت مادلين على كلمة تايبريو، و هي تنظر للأمام: "عرفت الآن لِمَ كرهتها من أول نظرة!"

"و إبنتها؟"

"لم ألحظها.."

وقف تايبريو و مادلين و أصبحا متقابلان وجهًا لوجه، سأل تايبريو مادلين: "لم تقولي لي.. أين أخاكِ، مادلين؟"

"أخي؟ أخي مشترك بصفه شبه دائمة في سباقات السيارات.."

"كان مشترك؟"

"لا، مشترك مشترك و لازال مشترك.. لا مكان لـ "كان" بيني و بين أخي!"

"أين هو؟"

"أخي... أخذ سيارة السباق و ذهب بها بعيدًا.. قادها مسرعًا و بَعِد عنا.. أخذها و لم يعود إلى الآن!"

"أين ذهب؟ مات!"

"(بإنفعال) لا، لا، لم يمت! من قال لك هذا؟ هو كاذب! لم يمت! تذكرها، إحفظها، إفهمها، إعرفها، إدركها.."

"أين هو الآن؟"

"كان مولع بأنتاركتيكا! هو هناك، أنا أرجح هذا!"

"ألن يرسل لكِ دعوة؟ ألم يشتاق إليكِ؟"

"ظروف الإرسال ستكون متعبة و صعبة جدًا هناك.. و هو.. لا يعرف أين أقيم حاليًا."

"و ماذا عن تورجوت؟ هل تخلى عنكِ؟"

"لا، أخي أعطاه بدلة هدية، لم يرتديها إكرامًا له و أعادها بعد أن إنتزع منها الأزرار الماسية؛ سرقهم و لازال يتظاهر بالكبرياء و الإحترام.."

إستكمل تايبريو كلامه و هو يسير خطوات بطيئة للأمام و تزامنه مادلين: "أريد أن أحكي لكِ عن حياتي، عن والداي.. (بغضب و حزن) اللذان تهربا من أبنائهما."

"هما والداك و سيظلا والداك مهما فعلا، كل شيء مهما بلغت عظمته لا يضاهي لحظه بجوارهما.. و مهما فعلا، فهما بشر و لهما حياتهما.."

ذهل تايبريو بكلام مادلين، لكنه لم يجد سبيل للعدول عن قراره، فقال: "إنفصلا و تركاني مع أختي، كانا لا يريدانا من الأساس، لم يبقيا علينا.. ما أن أعلن والدي إفلاسه حتى تركته والدتي و تزوجت بآخر.. لم يبق لي سوى الإدمان، أتعرفين هذا الشعور؟"

قالت مادلين و هي تحدق به مذهولة بكلامه الذي أثار بداخلها الأوجاع بسبب مهاجمة لقطات من الذكريات لها مع كل كلمة نطق بها: "مستحيل!"

"فعلًا مستحيل، (مهاجمًا) أنا كاذب! عرفت ثلاث حقائق؛ (بعنف) عرفتِ حقيقتين مني، لكن لم أعرف أي حقيقة منكِ."

"ماذا تقصد؟ عم تتحدث؟ أي حقائق؟"

"أليست هذه حقائق مادلين الأصلية؟"

إستدارت مادلين و قالت في قلق: "أنت لا تعرف عني شيء!"

"بلى، أنا أعرف كل شيء!"

نظرت له مادلين محدقة به قائلة، ببراءة و ذهول: "ماذا؟"

"أترين هذا؟ (رافعًا شريحة إليكترونية) هذا هو السر، شريط حياتك الحقيقي! مرات مقابلاتنا لم تكن صدف، مادلين، كنت فقط أوثق اللحظات."

"(في إستنكار) لا، لا، لا!"

"أعرف كل شيء لحظة بلحظة و هذا هو دليلي (ناظرًا للشريحة)، هذه حقيقتك!"

"كذب!"

"مهما قلتِ، فمصدرك أوهام، سراب، حياة إفتراضية اختلقتيها أنتِ، أنتِ من إفترضـها، تعيشين حياة إزدواجية.. (بإنفعال متأثرًا) و لن أكون أنا ضحيتك، (ببرود) لن أدفع الثمن مثلهم، (ناظرًا للشريحة) سيُدفع لي!"

"من هم؟ أي ثمن؟ مهما رأيت أو سمعت، لن تشعر أنت بما شعرت؛ فهي حياتي أنا، و لا دخل لك فيها! أي هراء هذا؟ أتساومني على حياتي؟ هل أنا في حلم؟"

"أي حياة هذه؟ لدي نسخة حياتك الأصلية، هل سيهمني ما لديكِ أو ما تقولين؟ لكن أخبريني.. (بسخرية) ألا تكتفين من القصص؟ هل تناغموا جميعًا ذات مرة على ورقة واحدة؟ (بعتاب و مهاجمة) الرب يعلم كم حياة دمرت بسببك!"

"(بإنفعال) لا، لا، لا تقل هذا! (مستنكرة) أنت.. أنت لست مثلهم! لست مثلهم! لا تقل هذا!"

"ماذا تريديني أن أقول؟"

"أريدك أن تصمت، اصمت للأبد! و إن سكت الآن، لوفّى هذا بالغرض!"

"الحقيقة صوتها عالي و واضح ليهزم دائمًا ضجيج الأكاذيب!"

و كأن بناء مادلين الشعوري لكيانها الوجودي ينهار و يتركها خاوية لتخترقها سيول الحياة، فقالت، في ضعف و خوف و إستنكار: "أية حقيقة هذه؟ أية أكاذيب؟"

"أفيقي من نومك! أفيقي من وهمك قبل فوات الأوان، مادلين!"

"اصمت! لا تلوث إسمي بنطقك له.."

إستدارت مادلين محاولة أن تتدارك الصدمة و تفهم ما يجرى..

قال تايبريو: "فلتكن قصتي هزلية، كما أنا عندك، و كما نحن جميعًا في مخيلتك.. (مهاجمًا) مخيلتك؛ معمل سري لترويض البشر و تحويل المواقف و طلاء الدوافع بما تختارينه أنتِ من لون مناسب. كم تستغرق هذه العملية؟ (بحنق و تأثر و إنفعال حتى إحمرت عيناه) شهرين؟ شهرين.. شهرين!"

نظرا إلى بعضهما البعض في حنق و غل و تحدي.

قال تايبريو، ببرود و سخرية: "أتعجب و أتسآل، إلى أي شعور ستحولين هذه اللحظة؟ إلى ما خارج حياتك.. هذه التي لا تعرفين عنها شيء؟"

"حياتي لا تعنيك في شيء، هي ملكي أنا!"

"كيف؟ سأبيع هذه الشريحة بأعلى سعر.. حياتِك مثيرة حقًا، مادلين، أنتِ لم تعطيها حقها في الوصف، بذلت مجهود كبير لأقف على وتيرة الأحداث.. يا للخسارة! صاحبة هذه الحياة و مالكتها، كما تزعم، لم ترها، لم تدركها يومًا."

"اعطها لي!"

"أبدًا! أنتِ لم تعترفين بها، لِمَ ستهمك؟"

"اعطني إياها! أنا آمرك!"

"و أمرك مطاع، سيدتي! ها هي الشريحة! (ألقى تايبريو بالشريحة في المسبح) لم تعد معي، لم تعد معنا! لا نحتاجها، (بحب) عودي إلى نفسك، مادلين، عودي إلى رشدك و أحداثها كلها ستستعيديها في ذاكرتك!"

"(مقهورة) أنت! أنت بلا قيمة لتقارن نفسك بي أو لتضع نفسك في موقع يمكنك فيه أن تتحدى شخص مثلي أنا أو معاملته بالند. (بإحتقار) لا، لا، أنت لست منهم! أنا كنت محقة! أنت أسوأ منهم، هم بجانبك ساكني السماء. (بقوة و إنفعال) بقدر كل آلامي، أنا أمقتك!"

تركته مادلين مسرعة و قفزت في المسبح وراء الشريحة الإلكترونية، لكنها قفزت بطريقة إندفاعية خاطئة، فإرتطمت بالقاع و أصيبت بجرح في رأسها. بالرغم من ذلك، قاومت مادلين شعورها بالدوران و أخذت تبحث عن الشريحة بين الكور الملونة الموجودة على سطح المسبح، لم يكن في المسبح في هذا الوقت سوى هذه الكور و الشريحة و مادلين..

شاهدها تايبريو و ذهل بها و بمحاولاتها.

لم تجد مادلين الشريحة، فلجأت إلى حافة المسبح، البعيدة عن تايبريو، و سندت عليها لبعض الوقت، كان قد خاب أملها أن تجد الشريحة، فحاولت أن تضغط على نفسها أن تتذكر و تسترجع الذكريات؛ أي ذكرى جميلة، كذبتها، أي ذكرى مؤلمة، إستعرضتها في مخيلتها، حاولت قدر الإمكان أن تستعيد أي ذكرى من حياتها، ترفضها و لم تتقبلها، من دون أن تقيم أي منها بمقدار للصحة..

ضغطت مادلين على نفسها أكثر حتى لا يظهر لها شخص مثل تايبريو يواجهها بما هو لها و هو ليس بها مرة أخرى.. و بهذا تتابعت على مادلين الصدمات التي حاولت مرارًا طوال المدة الماضية أن تتغلب عليها؛ توالت عليها مشاهد مفزعة، بعضها رأته، بعضها عاشته، بعضها تظن إنها عاصرته، و كلمات مؤلمة، بعضها سمعته، بعضها تظن إنها سمعته. لم تكن مادلين تريد أن تخسر حياتها، إن كان كلام تايبريو هذا صحيح أو خاطيء، أخذت تحاول أكثر و أكثر و زاد هذا من إرهاقها و وهنها..

أوشكت مادلين أن تفقد الوعي بعد أن زاد نزيف الجرح، و شعرت بهذا، فقررت أن تحاول مرة أخيرة بإستماتة آملة أن تجد الشريحة، لكنها فقدت الوعي تمامًا. لم ينتظر تايبريو أكثر من ذلك، وضع معطفه جانبًا و ألقى بنفسه في المسبح ورائها..

في هذه الأثناء، نزلت مادلين إلى قاع المسبح و كادت أن تغرق.. و تايبريو لازال في طريقه لها إلا إنه إصطدم بشبكة عريضة في المسبح، مما أدى إلى إنطلاق جهاز الإنذار، سبح تايبريو بجوار الشبكة و هو كل همه إنقاذ مادلين..

ما أن إنطلق جهاز الإنذار حتى تجمع الناس حول المسبح و شاهدوا الدماء على سطح المسبح و تايبريو يسند مادلين و هي فاقدة للوعي تمامًا.. إستغرب كل الحاضرين و أثار هذا المشهد الكثير من الشكوك و التأويلات.

أخرج تايبريو مادلين من المسبح و خرج معها، و ربط رأسها بقطعة قماش و طلب الإسعاف.

لم تنطق مادلين بحرف و هي في المستشفى؛ توقعوا إنها في حالة من الصدمة الكاسحة المدمرة.

الفصل الرابع و الأربعون:

بعد أن قضت مادلين يومين في المستشفى، و إكتسبت لعبة تايبريو أو محاولته، كما إعتبرها، جانب و شبهة جنائية من دون أي قصد منه أو تخطيط، عادت مادلين إلى بيتها و هي ضعيفة مذهولة و مصدومة.

"حطام! ليس بي سوى حطام! لم أعد سوى كتلة حطام! هذا الذي يقوى علي لا يعرف إني قد بنيت نفسي من رماد نار نشبت في و أحرقتني طويلًا بلا هوادة، حولتها أنا بمعجزة لطوب صخري يقويني و يحميني من وجعي.. و ماذا كان سيفعل إن كان يعلم؟ أكثر من هذا؟ لا أستخف أبدًا بجبروت الإنسان.

و أنا.. كنت لوهلة أشكي له همي! هو مثلهم.. القسوة في دمائهم، فليتركوني! خلقت كي أعيش وحدي!

أخطأت حين وثقت به، أخطأت حين أحببته، و أنا أعترف بخطأي دومًا، مهما صغر أو عظم! لكن.. هل أحببته أم كان مجرد شعور في لحظة غامرة؟ يا ربي، هل هذا حقيقي؟ و إن يكن و إن كان كلامه هذا صحيح، سأستغل ما ينسبه لي ضده، سأنساه و لن يؤرقني هذا العذاب بعد الآن.. أنا لا أُجمِّل فقط المواقف و الأشخاص، يمكنني أن ألبسهم من القبح أزياء و أنساهم كأنهم لم يخطو أبدًا على هذه الأرض و لم تكن لهم حياة..

لكن لا، أنا لا أجمل شيء، كان واقع و لم تسمح الظروف لمن قام به أن يشرحه لي هكذا، أنا أقدم لهم خدمة العمر.

سأفتقده على كل حال هو و أحاديثه.. لكن سرعان ما ظهر وجهه الحقيقي.. إن كان فقط قد تمهل، لكنت عشت في غيبوبة خذلان إلى أن ينهي الخالق أمري، لكنت عشت في قصة.. ليست مني، ليست من.. صنعي...

أنا أعيش في وهم! وهم؟ لكن أيهما الوهم في هذا؟ جرمه أم براءته؟

سأبدأ من جديد، قد أجد محتالًا جديدًا و ما أكثرهم!

أنا لا أعيش حياتي؟ من يعيشها إذن؟ إذن قد تكون حياتي الحقيقية سعيدة بينما أنا أظن إنها بائسة؟ و قد تكون العكس؟ و لِمَ كل هذه الإفتراضات؟ لِمَ هذه الحيرة التي باتت تتمكن مني و تهلكني؟ لِمَ هذه القسوة؟ (و هي تبكي) كانت القسوة في نبرته، في صوته، في نظراته، في كلماته، لماذا ينتقم مني؟ و ماذا يعرف عني و لا أعرفه أنا عن نفسي؟ أنا أعيش حياتي كما أرغب، هذا حقد منه، لا يريدني أن أكون هادئة سعيدة راضية، يريدني أن أكون مثلهم و أعاني مما يعانون؛ أعاني من الإضطرابات النفسية التي لا حصر لها، هذا هو غرضه و هذه هي نيته.

حياتي هي ما أقوله أنا فقط، ما أتذكره و أذكره، ما قمت به، أليس هذا هو المنطق و الشائع و المعروف؟ قلما أساير أنا شائعهم و منطقهم و ما هو معروف. كاذب! غادر! فلينتقم منه الرب، فلقد تجرأ علي كثيرًا! و.. و.. لا داعي لهذا الآن!

هو تحداني أن أمسك بشريط حياتي و أمسك بزمام حياتي، فتماديت بإستماتة في المحاولة الخارقة المذهلة إلى أن فقدت وعيي، ألم يكن هذا ما حدث؟ آثار الجرح تشهد على شجاعتي! ألم يكن هذا ما حدث؟ ألم يكن هذا؟"

بكت مادلين بحرقة، و هي في أثناء بكائها و نحيبها، رن جرس الباب، ففتحت، و إذ به بساعي البريد يعطيها جواب من المحكمة.

أغلقت مادلين الباب و فتحت الظرف و قرأت ما به... ثم قالت:

"محكمة؟ بشأنه؟ أنا لا أريد أن أراه أو أتذكره و لا أريد أن أتحدث عنه أو إليه.. ماذا سيقولون لي؟ عم سيسألوني؟ أنا لم أرتكب جرم، أنا لا واجب علي، أنا مثلي مثل أي محامي، أنا محامية نفسي، أحامي و أدافع عن نفسي، لا أحتاج أحدًا! لا مجال للخوف، أنا محامية عندها قضية ستتحدث بشأنها للقضاة و للرأي العام و لهم مطلق الحرية في تحديد مصائر المتهمين..

أنا المحامية، لكن.. ما هي القضية؟ إبتزاز؟ قهر؟ خداع؟ غدر؟ القضية هي إخراج شخص من حياتي بلا رجعة و سأعطيه حقه أمامهم و أقول ما لدي و سيُرَد لي حقي، أيًا كان! سأطلق العنان لضميري، إن كان هذا ما يرضي من سأتحدث في حقه، و أنا أعي إنه لا يرضيه شيء أبدًا، مثله مثلهم، بل أسوأ، أسوأ!

أريد أن أنام لعلني أحلم بالخلاص و أخرج من حصاري، لعلني أجد الراحة هناك في شيء، في شخص، في مشهد. أتمنى أن تحترم كوابيس الأحلام كوابيس الواقع و لا تتحداها و لا تنافسها حدة."

الفصل الخامس و الأربعون:

يوم المحاكمة! صادف أن كانت حالة الطقس في هذا اليوم سيئة للغاية و لم يكن من الإختيارات خيار تأجيل الجلسات و الأحكام، فتأخر موعد بدء المحاكمات إلى ما بعد الظهيرة بساعات قليلة لظروف إستثنائية طارئة..

كانت أول قضية تنظرها المحكمة في هذا اليوم قضية "محاولة قتل مادلين سوليدين آلاد" و هذا ما أعلنه الحاجب..

في قاعة المحكمة، جلس الحاضرون على مقاعد على الجانبين، معظمهم ممن كانوا في الفندق وقت الحادث و أثاروا الموضوع حسب تأويلهم له. على يمين الحاضرين، قفص الإتهام و يقف فيه تايبريو، و في الوجهة أمام الباب، منصة القاضي و المستشارين، و على يمين المنصة، يقف ممثل النيابة.

كانت هيئة الشرطة قد أوكلت محامي للدفاع عن تايبريو و كان يجلس في الصف الأول من مقاعد الحاضرين.. أما مادلين فلم توكل محامي لها.

و بدأت الجلسة فعليًا حينما نادى الحاجب: "مادلين سوليدين آلاد"

دخلت مادلين قاعة المحكمة و هي متوجسة و سارحة....

إجتازت مادلين مقاعد الحاضرين من دون أن تلتفت لأحد إلى أن وصلت أمام منصة القاضي و المستشارين في منتهى الهدوء و الثبات.

سألها القاضي: "ما إسمك؟"

"مادلين سوليدين آلاد"

"إقسمي أن تقولي الحق!"

"أنا دائما أقول الحق، لكنه لا يرضي أحدًا!"

"ليس هذا وقت للجدال و للقيل و القال، أنتِ في ساحة القضاء."

"أقسم بالرب أن أقول الحق و لا علاقة لي بأهوائهم."

علق القاضي: "غير مضبوط!"

تدخل أحد المستشارين: "قالتها و الجزء الأخير منها لا ينقص و لا يغير في المعنى!"

عم الصمت لحظات معدودة قطعتها مادلين بثقة قائلة: "سيدي القاضي، حضرات المستشارين، تتلخص قضيتنا في.. في سراب! لعل ما إجتمعنا اليوم لنناقشه سراب، لأننا في.. سراب."

"أي سراب تتحدثين عنه؟"

"سراب حلم سنفيق منه، حلم بلا مدلول، حلم إسمه الحياة!"

علقت النيابة: "لا وقت للفلسفة، فلنلتزم بموضوع القضية! فالنبدأ من البداية، بداية الحدث.. إنظري إلى قفص الإتهام، (نظرت مادلين للقفص) هل طلب منك هذا الشخص أن تأتي معه؟"

"نعم!"

"و وافقتِ؟"

أومأت مادلين برأسها..

"لِمَ؟"

"كان دوره أن يختار!"

"كيف أقنعك؟"

"لا أعرف! لا أجد تفسير لذلك.. قد يكون على دراية بكود معاملتي."

"ماذا حدث هذا اليوم؟"

"كنت في الماء، أتذكر هذا جيدًا! أنا لا أنسى شيء! لم يكن حلم، لا، لم يكن حلم، مستحيل.. كنت أبحث فيها عن شيء، عن حياتي، عن سراب.. سراب، كما قيل لي بلا شفقة أو رحمة."

قالت النيابة للقاضي: "أكتفي بهذا الآن.. سأكمل بعد المحامي!"

قال القاضي: "محامي المتهم يتفضل!"

نهض المحامي من مقعده و تقدم نحو مادلين قائلًا: "شكرًا، سيدي القاضي! أستاذة مادلين، في هذا اليوم، يوم الحادث، هل ذكر لكِ المتهم شيء؟ شيء مثلًا يوضح دوافعه أو يبرر فعلته من وجهة نظره أو من وجهة نظرك.. (نظرت له مادلين في تعجب) ماذا قال لكِ؟"

"هذه أسرار! لا بد في هذا المكان المبجل بالعدل إحترام خصوصية المرء و تقديسها."

سايرها المحامي قائلًا: "لكنه للضرورة و إنقاذ متهم إن ثبت إنه بريء."

نظرت مادلين لتايبريو و هو في قفص الإتهام و كأنها تسأله، أومأ لها برأسه أن تقول.

"قال لي بما يعني إني نائمة و يجب أن أفيق من وهمي!"

علق المحامي قائلًا وكأنه يريد أن يثبت شيء لا مفر منه: "(كأنه شيء بديهي) نائمة لتفيق.. (مطولًا) فألقى.. بها في المسبح، القضية واضحة جدًا، سيدي القاضي."

تدخلت النيابة: "و لِمَ أخرجها إذن؟"

رد المحامي: "لفخره بجريمته!"

علق تايبريو بصوت منخفض متعجبًا: "من أين أتيتم بهذا المحامي؟"

سألت مادلين المحامي، بلهفة: "هل هذا ما حدث بالفعل؟ صحيح؟ أرجوك، قل لي! لا تكن مثله، هذا مخادع!"

علقت النيابة على كلام مادلين: "نريد الأقوال بالضبط كما قيلت و كما تلقيتيها، أستاذة مادلين، و ليس "بما يعني"."

قالت مادلين: "لغياب الدقة التامة أنا أقول "بما يعني"، حتى لا أظلم أحدًا بقول تعبيرات و ألفاظ لم يذكرها أو أنسب إليه معاني كانت بداخله لم أصل أنا لها. أنا آخذ بالإنطباع، لا متسع عقلي عندي لكلام البشر، و لا يعنيني سوى مغزاه الشعوري.. الإنسان هو كتلة شعور يوصلها في صيغة كلمات و أفعال.. فبذلك تصلني الرسالة كاملة!"

إنتظر المحامي مادلين حتى إنتهت من كلامها ليعلق على ما سمع منها، قال المحامي، بفضول: "مخادع؟ قلتِ "مخادع"، ماذا فعل؟"

"يريد أن ينسب لي حياة ليست بحياتي، يريد أن يتلاعب بي زاعمًا إن معه الحقيقة، إن معه حياتي.. كاذب.. لكن، أيمكنه أن يحرمني من حياتي؟ سواء صادق هو أو كاذب، في الحالتين، هو مخادع!"

سألتها النيابة: "السؤال بمنتهى الوضوح و المباشرة: هل أغرقك؟"

"أغرقني؟ نعم! في وجع و متاهات و حطام الحيوات!"

سألها القاضي: "ماذا قال لكِ بالتفصيل؟"

ردت مادلين: "لِمَ سيهمنا الآن؟ على كل حال، قال لي بما يعني إن إنطباعي عن حياتي، حياتي أنا، خاطيء و وهمي.. قال لي.. و لِمَ تسأل؟ هذا الكائن ليس بمهم.. لكنه قال لي.. (متأثرة، و قد إحمر وجهها و أصبحت على وشك البكاء في ضعف و ألم نفسي عميق) "أنتِ!" أنا.. إني أعيش في حلم، في عالم إفتراضي! (إنهارت باكية) قال لي بما يعني إني لا أعيش حياتي، فهل كان يقصد إني لا أستحقها؟ إني يجب أن أحرم منها؟ إنها ليست ملكي أنا؟ أعيش حياة أخرى موازية و فقدت حياتي التي مُنِحت إياها؟ ماذا كان يقصد؟ أوجعني بكلامه و سرق عمري و حياتي مني و دمرها أمامي و إبتلعتها الماء.. بالرغم من إني.. لم أتهاون أبدًا في إستردادها، أبدًا، و خسرتها.. لكن ماذا يحدث الآن؟ لِمَ يحدث و أنا لم أضر أحدًا مطلقًا؟ لِمَ يتلذذ الجميع بعذابي؟ حتى بعد أن إستغنيت عن البشر، لم يتركوني و شأني بل شرعوا يحطمونني و يتلصصون علي و يتفننون بطرق لمحوي بها من على وجه الأرض."

قالت النيابة لمادلين: "تريدين التعاطف معكِ!"

ردت مادلين، بعزة نفس: "بلى، أنا لا أحتاج أحد، مررت بما هو أليم و موجع، و عاهدت نفسي أن أكتفي بها حتى بالإحساس و الكلمات.. إن كنت قد بكيت، فأنا لا أعي كيف يستطيع الناس السيطرة على دموعهم أو إخفائها، لكني لا أريد شفقة من أحد، لا أريد شفقة من أحد.."

كان تايبريو يسمع مادلين بإنصات شديد، بإحساسه و قلبه قبل عقله و أذنه، و كان هذا كافي بقتله معنويًا عدة مرات و بدأ يشكك في صحة قراره و يؤنب نفسه كلما تذكر إصراره على أن يقوم به، حتى نيته البريئه لم تهدئه.

و من هنا، أعلنت فترة إستراحة لظهور الإرهاق و التعب على مادلين.

فترة الإستراحة كانت مدتها ساعة كاملة، تبادلا فيها تايبريو و مادلين النظرات و الأحاديث الغير منطوقة.

قالت مادلين و هي تنظر لتايبريو و تتوارد في ذهنها مشاهد كثيرة جمعتها بتايبريو من الحقيقة و مشاهد أكثر من صنع خيالها: "عشت معك ألف حياة!"

رد عليها تايبريو، بصدق، في مخيلته أيضًا بتوارد الأفكار: "عشت معكِ كل الحياة!"

قالت مادلين: "لم يهمني صيف و لا شتاء!"

رد تايبريو: "كنت أعشق مواسم تلاقينا و هي أفضل المواسم على الإطلاق."

قالت مادلين: "المواسم! فلتعود المواسم كيفما كانت، بل أكثر مرارة من ذي قبل، فالآن هي مواسم ما بعد الفراق!"

قال تايبريو: "لمعة عينيك!"

ردت مادلين: "إنطفأت بتقبلي لحقيقتك.. إنطفأت بإنطفاء بريقك بداخلي، إنطفأت .. و إخفي لمعة عينيك هذه، لن تعطيك أبدًا عذرًا!"

قال تايبريو بعينيه متوسلًا العتاب: "ألن تعاتبيني؟"

ردت مادلين عليه دون أن تنطق: "لا تستحق العتاب، و ماذا أنتظر منك لأعاتبك و لأناله منك؟ ما يؤلمني، ما أكرهه، ما أرفضه."

و دقت الساعة الثامنة معلنة إنتهاء الشهرين؛ تايبريو، من سيكون بعدها بالنسبة لمادلين؟

عاد الحاضرون إلى مقاعدهم و القاضي و المحامي و النيابة و المستشارون..

قال القاضي: "(لمادلين) أراكِ في حال أفضل الآن.. (للمحامي) يمكنك إستكمال الإستجواب!"

قال المحامي لمادلين: "ما تفسيرك، أستاذة مادلين، لما فعله هذا المتهم؟ ما تفسيرك لما حدث لكِ؟ تحدثي بحرية، عرفينا ماذا حدث!"

سكتت مادلين لبرهة ثم تحدثت بثقة و بصوت عالي يخالطه الأسى: "أصبح الطلب ليس بقائم! (بتأثر) كان طلب واحد، تعددت العروض على أنواعها، ما يشبع الطلب من العرض أصبح متوفر.. و ماذا رأيت بعدها؟ رأيت المبيعات و قد إرتفعت نسبتها.. (متأثرة) كم زادت المبيعات و إشترى البائعون الكثير و الكثير و لم يلبثوا حتى باعوا كل شيء.. (في إنكسار) و المشتري راضي بكل شيء، بأي شيء؛ فقد إنهار من الوجع و الحرمان و الانتظار منذ أمد بعيد."

كل الحاضرين أصابتهم الحيرة بكلام مادلين، هل له مغزى؟ هل ينوه عن شيء بطريقة غير مباشرة؟ هل هذا ما حدث لها جراء الإرتطام و الصدمة؟ لكنهم جميعًا تعاطفوا معها و إزداد تحاملهم على تايبريو كمجرم يستحق العقاب.

سأل القاضي مادلين: "أستاذة مادلين، بِمَ تتهمين هذا المتهم الماثل في قفص المحاكمة؟"

"يحاول إفساد جهود السلام، لا يعرف سوى المساومة و الإبتزاز. أي سفير هذا؟ كيف عينوه و وضعوه في هذا المنصب؟ منذ أن رأيته و أنا ذهلت به و بما يرتديه و إحترت، أي بلد يمثل؟ و مهما كانت، هل هو فخور بزيها إلى هذا الحد؟ ثم شهدت على ما فعل؛ كسر كل البروتوكولات، كنا نحسبه دبلوماسي، لكن قسوته لا قرين لها...."

فجأة، قطع الحاجب شهادة مادلين، و دخلت نورا قاعة المحكمة بنظرات قوية فيها غموض و غرور و ثقة و توعد منتصر قبل أن يحدث.

قال لها القاضي: "ما إسمك؟"

ردت: "نورا مراليي"

قال لها القاضي: "إقسمي أن تقولي الحق!"

"أُقسِم أن أقول الحق!"

"طلبتي الشهادة في قضية "محاولة قتل مادلين سوليدين آلاد"؟ ماذا لديكِ؟"

"لدي ما يثبت إن هذا المتهم حاول إغتيال مادلين سوليدين آلاد قبل ذلك، فقد لجأ لي و ظن في أسوأ الظنون، لإني إخترت من أحب و إرتبطت به و لا ذنب لي إنه كان، كان، له نشاطات لم يبيحها النظام الحاكم وقتها."

عارضتها النيابة: "زوجك هذا مجرم! لا تحاولي أن تهوني الحقائق بالتحايل عليها و بالتقليل من بشاعته.."

ردت نورا: "بالضبط، هذا قلب للحقائق عند البعض، و أظنه ما تعاني منه (نظرت لمادلين) مادلين، أليس كذلك؟ قرأت الكثير من المقالات و الأحاديث و التكهنات عن مادلين، و هذا ما إستطعت أن أتبينه، (بفضول) أليس بصحيح؟ (تنهدت) لكني، و كما هوجمت الآن، أريد أن أريكم حجم الكراهية التي تواجهها شخصية تحاول أن تغير مرارة الحياة لتجعلها عذبة يمكن العيش فيها، و ماذا وجدت؟ وجدت من يناهضها! (ناظرة إلى تايبريو) من يتلذذ بوجود الوحشية ليخرج في مهمات و مغامرات و يتلقى الأوسمة و التقديرات.. من يخادع و يمكر و يضلل و هو ما لدي عليه إثبات.."

صاح فيها تايبريو: "كاذبة مستغلة.. مخادعة ماكرة مضللة!"

قال له القاضي، بحزم: "إصمت، لم آذن لك بالكلام!"

ردت نورا: "تستطيع أن تُكذِّب صوتي، لن ألومك. بالرغم من ذلك.. (رافعة شريط كاسيت) هل لك الجرأة أن تكذب صوتك؟ صوتك.. أنت! أم أنت لا تعترف به؟ أتسمح المحكمة؟"

علقت النيابة: "التسجيل للغير غير قانوني!"

قالت نورا: "خُفت على مادلين، فسجلت له! فاجأني و لم يكن لي حيلة وقتها."

قال القاضي: "المحكمة تسمح!"

أتى حاجب المحكمة بكاسيت، وضعت نورا الشريط و دارت أخر محادثة لتايبريو معها و هو يطلب الإنتقام من مادلين..

راقبت نورا وقع الشريط على كل الحاضرين و إطمأنت تمامًا من مفعوله عليهم، كلهم تأثروا به و هو دليل كافي لإدانة تايبريو و الخلاص منه. كان هذا هو هدف نورا من هذه الشهادة و خطتها الإحتياطية التي أجلتها لتزرعها اليوم و تحصدها الغد.

بعد أن إنتهى الشريط، إستكملت نورا كلامها قائلة، في مرارة و حزن و حسرة: "لم أعرف إلى الآن من هذا المتستتر على قاتل قاتل زوجي؟ من هو المتستتر على قاتل زوجي الأول؟ فأنا، و منذ أن حدثت نكبتي هذه، لم أصادف إلا عديمي الرحمة، و خصوصًا هذا الذي يقف خلف القضبان؛ لا يهدأ له بال و لا تمر عليه ليلة من دون أن يفكر في شر لزوجي الحالي و الذي، لعلمكم جميعًا، أصبح رجل شريف.. و هو، هذا الذي يمثل أمامكم متهم أمام القانون يحاكم بالقانون و لطالما إعتبر نفسه حامي القانون و مطبقه، هذا.. لم ينفك عن محاولة الزج بزوجي في أي عمل غير مشروع ليقبض عليه متلبسًا و يحسرني مرة ثانية على من أفقد.. و بهذا و بالرغم من هذا، تنقذه لي الأقدار السماوية كل مرة.. أعرف أن لا شيء يخفى في هذه البلدة، أنا لا أعرض مشكلتي أو أحكي قصتي، أنا فقط أوضح مدى جرم و شر من سيُحكم عليه، ليكن حكم عادل رادع."

سأل القاضي تايبريو: "هل لديك أقوال ردًا على ما سمعت للتو؟"

أدرك تايبريو موقفه و فهم إن نورا تتلاعب بالأحاسيس و الكلام، كما إنه لا يملك ما يدافع به عن نفسه و ليس بحوزته أي دليل يدين نورا و لا حتى إطلاق الرصاص الذي تعرض له هو و مادلين، فإكتفى بقول: "سأشتاق لمن تراني سفيرًا، فليحمها الرب!"

ردت نورا: "من أمثالك!"

نظر تايبريو لنورا بغيظ ثم ظهرت عليه نظرات بها قبول للخسارة و قال: "ما قالته أستاذة مادلين صحيح، كل كلامها صحيح، لا يمكنني أن أعدل عليه، فلا أصح من كلامها."

هنا بادلته نورا نظرة الغيظ و أضافت إليها نظرة وعيد.

قال القاضي، لنورا: "هل لديكِ شيء آخر تضيفينه؟"

قالت نورا: "لا، هذا كل ما لدي و لم أبخل به!"

قال القاضي لنورا: "نشكرك، يمكنك الإنصراف!"

في طريقها للخروج، لمحت نورا مادلين و هي في حالة ذهول و صدمة و عدم تركيز تام، قربت منها دون أن تشعرها بأنها تريد أن تتحدث إليها. ما أن شعرت مادلين بقربها نحوها سألتها، ببراءة: "من أنتِ؟"

ردت عليها نورا، بود: "أنا صديقتك، مادلين! أنقذك دائمًا!"

إبتسمت نورا و تركت مادلين كما كانت..

خرجت نورا من قاعة المحاكمة، و وقفت مع زوجها مارشي أمام الباب..

قال مارشي: "أشهد لكِ إنكِ نفذتِ ما وعدتِ!"

ردت نورا: "ألم أقل لك أن تترك الأمر لي؟ هذا الذي تلاعب بك و تلون ليوقع بك بات مصيره مدمر مخزي و أصبح مهزومًا."

"لكن كيف عرفتِ إنه ضابط شرطة؟ أنا..."

"أنت لا تتبع أثر أعضاء فريقك، أنت تقبلهم حسب أوراقهم و مهاراتهم المعروضة أمامك، هذا ما ينقصك.. و عرفت بالصدفة طبعًا.. ذاع صيت القضية المتهم فيها ضابط الشرطة و أتوا لي رجالك يعلموني بما جد حينما كنت مسافر، مارشي، و عرفت منهم كل شيء، عرفت كيف خدعك و خدعهم جميعًا و وعدتك و وعدتهم أن أنتقم منه و فعلت.. (تنهدت) و لكني لا ألومه.. فقد سبقك و كان على وشك أن يقوم بالمهمة التي طالبتك بها و لم...."

قاطعها مارشي: "قمت بها بالفعل.. لكنه كان معها وقتها و أنقذها..."

"و تركته يكمل معك، أنت لم تهتم بالموضوع كما يجب و لم تفكر فيه؛ لِمَ لم تقتله في الحال؟"

"لم يكن له أثر، لكن لم نكن نتوقع إنه..."

"ضابط شرطة!"

"لكنك أذهلتيني، نورا، كيف عرفتِ هذه الأشياء التي قلتيها للتو عن هذه الفتاة؟"

"أنا لا أطلع أي مخلوق على مصادري الخاصة، لكني سأخبرك، مارشي.. سر أدائي المذهل في هذه اللعبة كان أحد المقربين جدًا من مادلين؛ فتاة من ضمن الحاضرين وقت حادث الفندق.. هذا إلى جانب قراءتي المتمعنة و تحليلاتي لأقوال مادلين المنشورة في كل مكان. (سارحة في إتجاه باب القاعة) و كان هذا أسهل مما تصورت.. لكن، لا أظن إنني إنتهيت؛ (ناظرة لمارشي) هذا الضابط من الآن فصاعدًا سيوقف عن العمل، كلامه سيظل غير موثوق فيه مهما قال و شهد و أقسم، لن يزعجنا بعد الآن.. أما مادلين، مسكينة مادلين، راح من تحايل بطرق لإنقاذها. (تنهدت) سأنتقم منها إنتقام ودي، لا ضغينة فيه! و بهذا.. قد أكون حققت شيء مما أردت، لا أدري ماذا بعد.. تصارعنا الرغبات و المواجهات و حتمًا لا بد من الإستمتاع ثم وضع الحد.. لا أدري إلى أين سنصل، لكن لم تهدأ النفوس بعد."

داخل قاعة المحاكمة مرة أخرى..

سأل القاضي مادلين: "ألديكِ شيء آخر تضيفينه؟ شيء مفهوم؟"

ردت مادلين، و هي مصدومة مما سمعت و تتحدث بصعوبة تظهر ألم بالغ غير مفهوم لها: "هذا السفير.. هذا السفير حاول أن يقتل خطيبته بإطلاق الرصاص عليها، و ما أثار دهشتي، هو إنه كان يركض معها وقتها و كأنه أصابه الفزع هو أيضًا و كأنه يحاول أن يتفادى الرصاص.

كما إنه استولى على السفارة و إنتزعها لنفسه، شجبت فعلته و واجهته، فواجهني أنا و فاجأني (بإنفعال) و قال لي إنها بيتي، زاعمًا و مُصِّرًا إنها بيتي، بيتي أنا و إني أعيش الآن في بيت وهمي و إن لم أقتنع بهذا، سيغرقه و يغرقني أنا معه.. و في النهاية، ماذا فعل؟ كان يريد أن يقتلني، يسلب حياتي مني، ثم يجعلني أفارقها للأبد.. أفارق حياتي و كأنني بلا حياة، نعم، كان بهذه الوحشية، لكنه أعطاني الخيار. (إنهارت مادلين باكية)"

علق المحامي: "(لمادلين) نحن نتفهم حالتك، حتى إن المتهم حالته الإجتماعية أعزب، و ليس له علاقة بأي سفارة و لا يمكنه أن يكون سفير، و هو من آلاي.. (للقاضي) كل ما فهمناه و خرجنا به، سيدي القاضي، من هذه الجلسة إن الأستاذة مادلين تعاني من إضطرابات نفسية و آثار ما بعد الصدمة.. كل هذه الأقوال هي مضيعة للوقت."

نظرت له مادلين نظرة ألم و براءة تدين بها ما يقوله عنها..

ردت النيابة على المحامي: "ألم تسمع أقوالها في قضية جوريوس، و التي لم تنتهي بعد؟"

قال القاضي: "هذا إنتهاك لبند سرية التحقيقات، لن يؤخذ به و لا بمدلوله!"

ردت النيابة: "وسائل الإعلام كلها تناقلت الأقوال.. أنا لا أقصد أن أذكر الأقوال أو أخلط الأوراق، أنا أقصد إنها هي هكذا قبل وقوع الحادث، إما إنها تضلل العدالة أو لديها مرض ذهني أو نفسي.. المتهم بريء، لا دليل حقيقي ضده، كلها إفتراءات، لا مدلول واقعي عليها."

قال المحامي: "لكن.. قد تكون هناك علاقة بين أقوال الأستاذة مادلين في التحقيقات و بين محاولة قتلها!"

ردت النيابة: "ليست هناك أية علاقة بينهما على الإطلاق!"

قال المحامي: "و ماذا عن أقوال الأستاذة نورا؟"

"لم تأخذ تصريح بالتسجيل، إذن، هو غير معترف به!"

"لا، المحكمة قبلته و سمعته.. معترف به طبعًا!"

قال القاضي: "هل إنتهيتما؟"

قال المحامي: "نعم، أعتذر!"

قالت النيابة: "نعم!"

عم الصمت لدقائق، و خرج القاضي و المستشارون للمداولة، ثم عادوا بعد ربع ساعة..

قال القاضي: "حكمت المحكمة حضوريًا على المتهم تايبريو يوللير بالسجن عامين و تجريده من كل الأوسمة و تغريمه مبلغ ١٠٠٠ تدفع بالعملة التي يختارها صاحب الفندق الذي حدث فيه الحادث تعويضًا للخسائر التي لحقت بفندقه. رفعت الجلسة!"

وقف الحاضرون و خرج القاضي من القاعة..

نظرت مادلين لتايبريو و هو ظل ناظرًا لها.. سارت مادلين في طريقها إلى باب القاعة و كأنها أدت مهمة و معتزة بها لكنها حزينة و قلقة من شيء.. أما تايبريو، فدخلوا عليه أصدقائه الضباط في القفص وجدوه لازال ناظرًا لمادلين إلى أن خرجت من قاعة المحاكمة ثم بكى، فسأله أحدهم: "أتبكي منها أم تبكي عليها؟"

رد عليه تايبريو: "أبكي على قدرنا، أبكي من ظلمها الناعم لي."

علق آخر: "قدر كل إنسان، إن علم حقيقة الأحوال، هو أفضل الأقدار له على الإطلاق."

الفصل السادس و الأربعون:

بعد يوم المحاكمة مباشرة، أي في اليوم التالي، نُفِّذ الحكم..

بعد أن إنتهى تايبريو من وضع المقتنيات التي كانت معه في أمانات السجن، قابله تشاد قبل أن يدخل زنزانته، و تركهما العاملون في المكتب لبعض الوقت بأمر تشاد..

قال تشاد لتايبريو: "لم تتم مهمتك مع العصابة بعد، و أكتشف الأمر، قد يحاولون قتلك.. أظن السجن آمن مكان لك و سنزيد التأمين و نأتي بدعم."

"كنت في المكان و الوقت المناسب لأنقذ بريئة و وُجِّهت لمهمة أخرى كلفني بها القدر، و الآن، أظنني في المكان المناسب. لكني أخاف على مادلين، نورا لازالت طليقة، قد تؤذيها، إن لم تكن قد فعلتها و إنتهى الأمر.. لكنها حكمة الرب و أعلم إن هذا الأنسب و سيحميها الرب!"

"إطمئن، نورا سافرت مع زوجها، خرجت من البلد و مادلين لازالت هنا في آلاي. ماذا كان سيحدث إن كنت قد تركتها كما هي في غرفة الإحتجاز إلى أن يبت في أمرها؟ كنا في غنى عن هذا! تحملت المسئولية و إنقلبت عليك! على العموم، علي ان أخبرك إن فترة إحتجازها القانونية قد إنتهت وحُرِّرت من مسئوليات الإقرار.. لكن مادلين ستبقى قيد المتابعة الرسمية إلى أن تنتهي التحقيقات.. و أعدك لن تشعر بشيء إلى أن تعود."

قال تايبريو، في هدوء: "أرجوك، بعيدًا عن العمل، إطمئن عليها من وقت لآخر إلى أن أخرج.."

"سيخفف عليك الحكم؛ السلوك القويم يخصم عام كامل، طبقًا لقانون مدينة آلاي!"

سكت تايبريو و حاول أن يخفي دموعه..

خرج تشاد ثم عاد مرة أخرى قائلًا: "لكنها.. قد تتسبب في مشاكل أخرى! أنت تعاملت معها، قل لنا كيف نعدلها عن ذلك، بعيدًا عن التحقيقات و الإتهامات؛ أقوم بهذه الخدمة من أجلك! قل لي.. لِمَ تفعل هذا؟ هذا السؤال يحيرنا جميعًا و لا نجد له إجابة!"

سكت تايبريو للحظات ثم قال: "هذا ما يحدث لذوي الطبيعة الحساسة البريئة النقية.. اتركوها كما هي، في هذا عزائها، بهذا يمكنها مواكبة الحياة بقسوتها و جفائها و خشونتها، هكذا ستعيش حياتها بسلاسة و ببساطة.. هذا هو سلاحها، النسيان و تخفيف حدة طباع البشر و خياناتهم و أطماعهم و شرورهم بإضافة خيال لأفعالهم و كلامهم و هكذا إنقلب حالها و بهذا لن تضر أحدًا..

(متذكِّرًا) مادلين تعيش في عالمها الخاص، (مبتسمًا) و عالمها هذا مثير حقًا!"

الفصل السابع و الأربعون:

جلست مادلين في غرفتها و كأنها تقيم حياتها الجديدة، تحلل كل ما حدث لها، محاولة أن تخرج بنتيجة من تحليلها:

"إعتقدت إني أحلق في سماء الحرية بينما، في الحقيقة، كنت أدور و أتحرك في حلقات سكك حديد سجني، قيودي. حرية زائفة.. قيود حقيقية!

أُجرح و لا أعرف كيف أجرح.. و إن جرحت لا أسامح نفسي و أتألم أكثر و أضعف أنا أكثر و هم يزدادوا قوة علي أكثر و أكثر. لن أقول ياليتني، لقد فعلت كل ما كان في وسعي آنذاك.. لن أعيد فتح الماضي، ليس لدي ما أقوله أو أضيفه، فلأكن منصفة لنفسي مرة، يكفي أن الرب الخالق يعرف نيتي."

وقفت مادلين أمام الرف الذي تضع عليه الأربع صور، هنا سنعرف أخيرًا من كانوا.. صورة والدتها، صورة والدها، صورة أخيها، و صورة لعمتها؛ والدة سيڤين، هي في الحقيقة صورة لسيدة مبتسمة و تشع حياة تشبه والدها إعتبرتها عمتها و لحظّها وجدت مادلين هذه الصورة منذ سنوات في إحدى المجلات.

قالت مادلين، و هي تنظر إلى الصور، بهدوء: "فلتهدأوا، فلتنعموا بالسلام، فلأمنحكم هذه الأمنيات من أعماقي بلا تزييف أو إدعاء، أتمنى لو أن أهبكم إياها!"

إستدارت مادلين و سكتت لبرهة ثم قالت و من عيونها الدمع يفيض: "كرهتكم و تصنعت حبكم حتى لا أموت كرهًا.. أحببتكم و تصنعت كرهكم حتى لا أموت حبًا.. حاولت أن أعيش، فقط أن أعيش، محاولة ألا أموت قهرًا."

ثم عادت إلى نفسها و كأنها فاقت من حالتها و قالت بلامبالاة و هي تمسح دموعها: "لا، لا، الناس عندي سواء، لا أحب أحدًا و لا أكره أحدًا."

إتجهت مادلين إلى فراشها و هي مجهدة و قبل أن تغمض عينيها قالت: "ذاكرتي محايدة دائمًا ما بين يمكن و لا يمكن!"

نامت مادلين نوم عميق، لكنها لم تهنأ به فقد راودتها الكوابيس..

إهتز كل شيء حول مادلين بقوة و سقطت الكثير من الأشياء و أصبح من الصعوبة الوقوف على الأرض في ثبات، حدث زلزال مرعب.

إستيقظت مادلين من النوم و هي خائفة و مفزوعة تسابق الزمن و موجات الإهتزاز، أخذت معها الصور و خرجت مندفعة إلى الخارج.

كان الظلام حالك و ضوء سيارات خافت يأتي و ينقطع و النخل الممتد مصفر اللون على الجانبين و كأنها في مكان معزول عن الدنيا..

فجأة، ظهر ما أثار الذعر في مادلين و الحنين المرعب الحذر، كان هذا واضحًا عليها و متجلي في نظراتها بالرغم من إنها لم تستطع رؤيته بوضوح..

كان كارل.. من رأته و أرهبها وجوده! كان يمسك معه قطعة حديد و يقترب من مادلين، لا يتحدث و لا يحيد نظره عنها.

قالت مادلين: "كارل! أخي، أنت معي؟ أتيت لي؟ لِمَ تنظر لي هكذا؟ لِمَ لا تحدثني؟ (إقترب كارل منها أكثر) لا، لا أريدها، شكرًا، لا، لا (قاومت مادلين كارل، لكنه أدخل بها قطعة حديد إخترقتها و لم تخرج منها و كإنها إختفت بداخلها)."

نهضت مادلين من نومها مفزوعة ترتعد و تلهث، حاولت أن تهدأ و تقنع نفسها إنها كانت في حلم ولم يحدث شيئًا و تلوم كارل.. "لِمَ تريد أن تؤذيني، يا أخي؟ لازالت آلام الإختراق موجعة، ماذا كان هذا؟ إشتقت لك، أبهذا تبادلني الإشتياق؟"

و حدث زلزال في آلاي.. بالفعل!

إزداد رعب مادلين و ذعرها، نهضت مسرعة من فراشها، كل شيء حولها كان يتساقط و ينكسر و كأن دنيتها تنقلب رأسًا على عقب..

لم تلبث لحظة، أخذت مادلين حقيبتها و هي في أسوأ حالاتها، لكنها خافت أن تتخطى عتبة الباب و تصادف من صادفت و يحدث لها ما حدث في الحلم. بالرغم من ذلك، لم تجد مادلين مفر، فتخطت عتبة الباب و عبرت حديقة بيتها و هي تبكي بحرقة و تقول في هلع: "الحلم، الحلم حقيقة؟ ماذا سيحدث لي؟ ماذا سيحدث لي؟"

على عكس الحلم، رأت مادلين الكثير من الأشخاص في الشارع، و يظهر عليهم التبلد و اللامبالاة، شتت هذا إنتباه مادلين و أثارها، فقالت: "لم يرحمني بشر قط، فليرحمني الرب!

(جثت على ركبتيها و هي تبكي في وسط الشارع) تعبت من الحياة و قسوتها و مراراتها ، يا إلاهي، إمنحني القوة، إنصرني عليهم!"

نظرت مادلين حولها للمارة المتبلدين في حنق و غل و غضب و بدأ المطر ينهمر.. أطلقت مادلين صرخة مدوية، فعاد الهدوء يسكنها تدريجيًا بعدها و هي تلهث و تتساقط عليها قطرات المطر..

أهذه بداية جديدة لمادلين؟ دنيا كُتِبَ أن توجه لها و تعيشها؟ كيف ستكون بها مادلين؟ من ستكون بعدها؟

و هكذا... قضت مادلين وقت الأعياد المجيدة..

من ناحية أخرى، تم سحب تراخيص آيماس و أحيل إلى المسآلة التي قد يتبعها محاكمة و إجراء شطبه من سجل الأطباء بلا رجعة فقد أثيرت حوله الشكوك.. البعض يرجح إنها بسبب مادلين، و البعض الآخر لم يتبين السبب بعد و لم يستبعد إن قضية جوريوس لها دخل فيما يواجهه آيماس بشكل أو بآخر.

علمت نورا بما حدث لآيماس من نشرات الأخبار و أجج هذا النار التي لم تنطفيء بعد بداخلها، فذهبت نورا إلى البريد و وضعت ظرفًا في صندوق بريد بنظرة ثقة و غرور و وعيد، ما كان يمكن قراءته بوضوح على الظرف هو إسم "مادلين".

و إنطفأت الأضواء في كل مكان مستعدة لإستقبال أول دقات ساعات العام الجديد.

النهاية:

حالة مادلين لم تكن بمرض غير مكتشف، هي ببساطة كانت تغوص في التفكير و التخيل لدرجة لا يمكن التمييز بينهما أو التفرقة؛ تفرقة الخيال عن الحقيقة، و كان الخيال أكثر تأثيرًا حيث إنه إستمد تأثيره من وقع الحقائق الصادمة عليها.

التطور التدريجي لحالة مادلين في جزء "عالم مادلين المُثير":

١) تلقت مادلين من الحياة أوجاع هائلة لم تتخيل أن تعيشها يومًا (مرحلة الذهول (تمهيدية))
٢) غيرت مادلين ما تصادفه و ألفت بدلًا منه قصص تهدئها (مرحلة التعايش (التبسيط و التهوين))
٣) خلطت السخرية بالحقائق بتخيلاتها التي رسختها في ذهنها و فلسفتها الغير إعتيادية (مرحلة الحيرة)
٤) تحكمت فيها الإنطباعات التي عاشتها (مرحلة التشابكات)
٥) مُزِجَت تلقائيًا إنطباعاتها مع أحلامها و تخيلاتها (مرحلة المفاجآت)
٦) صدمات و هزات عالم مادلين الخاص المثير للتساؤلات (مرحلة الزلزال)
٧) نهاية تأذن لبداية جديدة (مرحلة الحطام)

و هكذا تكوَّن عالم مادلين الخاص، بالنسبة لها، و ظهر "عالم مادلين المُثير" للجميع!

المغزى الفلسفي للرواية هو: ليس كل شيء هو ما نراه و ما نسمعه، بل هو ما نشعر به و ما ندركه. أما المغزى الإنساني فيتلخص في: حينما يقسو المجتمع على ضحاياه يحولهم لأشخاص أخرى لا علم لهم بما أصبحوا عليه يردون للمجتمع ما فعله بهم بطريقة غير متوقعة غير مفهومة و أحيانًا يكون هذا من دون أي قصد منهم... فرفقًا بالإنسان!

جميع الحقوق الخاصة بهذه الرواية و حقوق النشر كلها محفوظة كاملة للمؤلفة: نهى علاء الدين

© 2017 NOHA ALAA EL-DIN ALL RIGHTS RESERVED

و إلى اللقاء في الجزء الثاني إن شاء الله

E-Mail: Noha.worksliterature@gmail.com